

كتاب

العواصم من القواصم

تصنيف الشيخ الامام ابي القضاة
ابى بكر محمد بن عبد الله بن العربي
رحمه الله



وقف على طبعه وتصحيحه

الاستاذ عبد الحميد بن باديس
حقوق الطبع محفوظة له

الطبعة الاولى

المطبعة الجزائرية الاسلامية

سنة ١٣٤٥ هـ ١٩٢٦ م

❖ كتاب ❖

❖ العواصم من القواصم ❖

تصنيف الشيخ الامام قاضي القضاة
ابى بكر محمد بن عبد الله بن العربي
رحمه الله تعالى



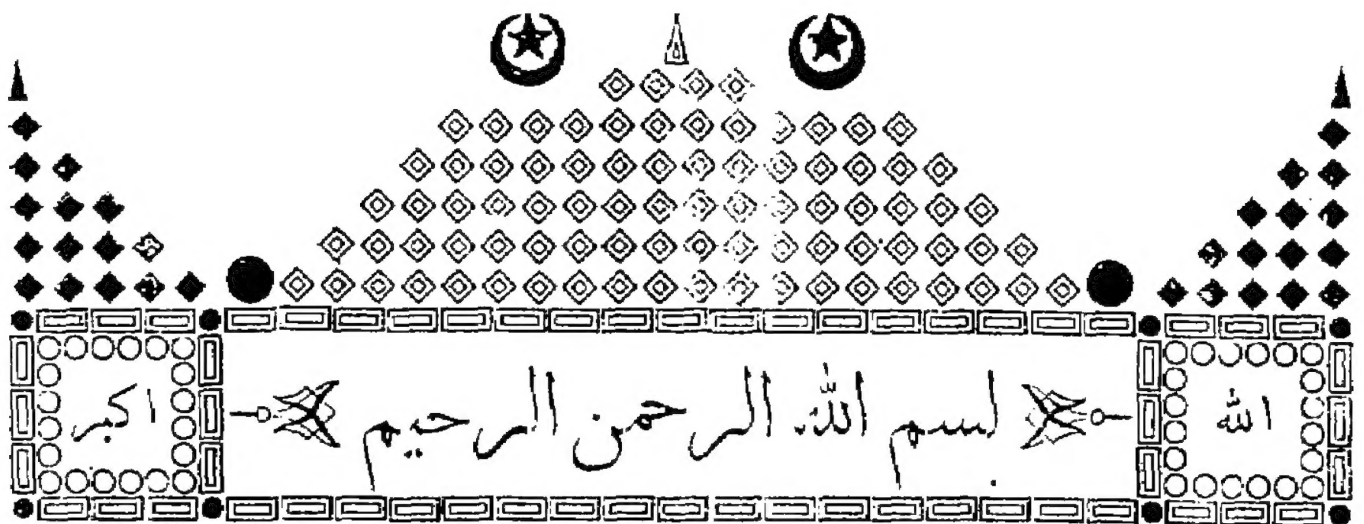
❖ وقف على طبعه وتصحيحه ❖

الاستاذ عمر الحمير بن باديس
حقوق الطبع محفوظة له

الطبعة الاولى

❖ المطبعة الجزائرية الاسلامية ❖

سنة ١٣٤٥ هـ ١٩٢٦ م



وصلى الله على محمد وآله قال صالح بن عبد الملك بن سعيد قرأت
على الامام محمد ابى بكر بن العربي رضى الله عنه قال الحمد لله رب
العالمين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم
وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم
وآل ابراهيم انك حميد مجيد . اللهم انا نستمد بك المنحة ، كما نستدفع
بك المحنة ، ونسالك العصمة ، كما نستوهب منك الرحمة ، ربنا لا تزغ
قلوبنا بعد اذ هديتنا ، ويسر لنا العمل كما علمتنا ، واوزعنا شكر ما
آتيتنا ، وانهج لنا سبيلا يهدي اليك ، وافتح بيننا وبينك بابا نفد منه
عليك ، لك مقاليد السموات والارض وانت على كل شيء قدير .
اما بعد فان الله ببالغ حكمته ، وغالب قدرته ، وان كان
واحدا في ذاته ، واحدا في صفاته ، واحدا في مخلوقاته ، فانه خلق
المخلوق نوعين ، وابدع من كل زوجين اثنين ، لان الوحدة له خالصة

حقيقة وبيانا، فتكون الاثنية عليه دليلا وبرهانا. وفطر الآدمي
 فركب عليه وفيه الازدواج ابتلاء، يختلف به الحال استغلا واعتلاء،
 اختفاء (١) وجلاء، نعمة وبلاء، ايرفعه في عليين، او يقذفه في سجين؛
 قال سبحانه لقد خلقنا الانس في احسن تقويم، ثم رددناهم اسفل
 سافلين؛ عليه البيان: بين منزلي الدليل والعيان؛ وجعل فيه حقائق
 تشترك مع صفاته العلى واسمائيه الحسني في الحد؛ وتنفرد عنها بالتعالى
 والجد؛ ذلك ليستدل بها عليه؛ ويرجع في تحصيل العرفان اليه؛
 وخلق له الملك والشيطان واخبر الصادق بواسطته وسطته؛ ان
 اعبد بين اثنين منها تجتذبه كل واحدة الى جهته؛ وتحاول وضعه في
 حصته. وتحصيله في زمرة. والرب قد احكم العقوبة بحكمته؛
 واطهر هذا التدبير بقدرته. وانشأ فيه العقل والهوى، وخلق له
 الضلالة والهدى. وشرح له النجدين استدراجا ليرد. وشرع له
 الدين منهاجا ليقارب ويسدد. وجعل له على كل واحد من الطريقتين
 علما. ونصب عليه مناديا. فمنهم من تعرف فاجاب وعرف. ومنهم من

صهدف فاني وحرف . والخير والشر مقرونان في قرن . والعقل والهوى
معقودان في شطن . والدليل والشبهة يتحاربان (١) في ميدان واحد
ويتسابقان الى عطن . والتوفيق والخذلان يتباريان على سنن . والعلم
السابق والكلام الاول والكتاب الثاني يبرم اعلاقيها . ويفتح اغلاقيها
ليهاك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة وان الله لسميع عليم .
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو العزيز الحكيم . ومن اجل هذا
ومن جبال . جرى كل احد من الخلق مجراه . وتباينت المدارك .
في المناجى والمهانك . فلئن اضاء نهار الادلة لقد اغطش ليل الشبهات
او اتضحت جادة التحقيق لقد خفيت بها بنيات . حتى خفيت واضحة
الطريق . فاهتدى فريق وضل فريق . واعلام الحق وان كانت
قد خفيت . فقد انتشرت الوية الباطل واستشرفت . والناس اتبع
كل ناعق . لا يفرقون بين السابق واللاحق . وابناء ساعتهم . لا آباء
عاقبتهم . اشف عليهم القواصم السابقة . وحاقت فوقهم العواصم
المتلاحقة . فان اكبوا على ما هم فيه هلكوا . وان لمحووا علوا اعتاقوا
النجالا وادركوا . ولكل سابقة من القواصم . لاحقة من العواصم



ونحن بتأييد الله ومعونته نرتقى في المعراج . الى التمييز بين هذا الازدواج ، وبين
ما فيه من قواصم المكر والاستدراج ، وعواصم الانقاذ والاخراج ، بفضل الله
ورحمته . وهدايته وعصمته . لا رب سواه . ولو شاء الله سبحانه
جرد الدلالات عن الشبهات . ولم يقسم المعارف الى الضروريات
والنظريات . ولا خلق العبد مشحونا بالشهوات . متقاعدا عن العبادات
مائلا الى الراحات . والكل شاهد ودليل . بفعل او قيل . كما قال
تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . وقال تعالى ولكن حق
القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين . فتعارضت اسباب
المقادير عليه . فمع توجه الوظائف اليه . وصار لا يدري على اي صدغيه
يقع . ولا من اي جهة يستبصر او ينتفع . ان اقامه الشرع الى
العبادة اقعده الراحة . او اراد العف بالكف جذبته الاستباحة .
قاصمة . وصار بهذا الارتباك . جملة عظيمة في يد الاشتباك .
هاوين في دركات الهلاك . وتقطعت بهم الاسباب ايادي سبا في
الضلالات . وسلكوا من الباطل في متاهات . تعطيل من غير تحصيل
وكيد حائق (١) في تضليل . التقى الكل في حيرة النظر في اربعة مواقف

(١) هذا اقرب ما ظهر من الحق

الموقف الاول

قالت طائفة لا معلوم ولا مفهوم - وانما المرء بوهة او بوم - وما تشبثوا (١) به خيالات لا تحقيق لها - اى شيء يوثق به لثباته وانت ترى الظل يتحرك وهو ساكن والنبات ينمى وهو واقف وتعاين الشمس فى مساحة درقة والقمر فى قيد المجن والكواكب كهيئة الدنانير المنتشرة وتقولون ان خلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وانه معلوم بالخبر والادلة وتقولون ان الدنيا خيالات والحقائق فى الآخرة وان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ، واذا كنت فى نومك ترى امورا لا تشك انك على راس الحقائق فيها فاذا جاءت اليقظة ذهبت من يديك واقلت عنك ما كنت تظن انك آخذ بناصره قابض له بيد العرفان تقوده بغاية البيان ، فلما يومنك ان تكون يقظتك كذلك وانك الان على ما انت عليه من حقيقة فى غير حقيقة (٢) * عاصمة * قال ابن العربي رضى الله عنه وهذا

(١) اى تشبثوا

(٢) خرج فى الهامش وعلى عدم من البيان فى البيان خ

موقف أول لا يدخله ليت ولا اختها لعل بل هو احسن وادل ،
 قل لي ابو علي الحضرمي بالثغر (١) حرسه الله وكتبه لي بخطه ليس هذا
 مذهبا لاحد ولا مقالة لبشر وانما تصدت الملمحة بذكر هذا (٢)
 البلاغت بالعلم لتسترسل العامة وهو محال في محال سمي بالعربية هوسا
 وهذيانا ، وسمي باليونانية سفسطة يعنون خذلا نا ، وقال ابو حامد
 الغزالي ان هذا الاشكال لا يتضح بالدليل وانما يروى منه القليل
 ويشفي العليل ، ما يفيض من نفحات رحمة الله على القلوب ويشرق عليها
 من نوره حتي اذا انشرفت الصدور وصقلت القلوب تجلت فيها
 الحقائق مبادئ وغايات وسوابق ولواحق ، قال الامام الحافظ وهذه
 * قاصمة * اعظم من الاولى فانها صدرت عن اشتهر في العلم
 وقد انحط عن المرتبة العلى الى السفلى (٣) وتخرج عن زمرة العقلاء
 ولا ينجى منها الا ان تفهموا * عاصمة * ان هذه كلمة صدرت

(١) الاقرب من الحق

(٢) لعله البلاغة لتستتر عند العامة

(٣) كذا بالاصل

مناحي صوفية لانها تعتقد ان المعقول فوق المحسوس
وانا وان كنا في عالم الحسن ابدانا ، فنحن في عالم العقل قلوبا
والقلوب لا تزال تنقطع بينها وبين الابدان العلائق ، وتحسم
المقاطع ، حتي لا تبقي بينها وبين البدن علاقة ، ولا يزال الروح
يكده (٢) يترقى من درجة الى درجة في المعارف (٣) ويتطلع من
ينرج الى برج حتى تنتهي الى حيث خرجت وترجع من حيث
جاءت . وهذا الكلام كله بناء منهم لامر (٤) الباطن ، على عقائد
اختيارية (٥) ركبوها بزعمهم على قواعد عقلية واسكتوا عنهم
المعارضين وسكنوا قلوب الشادين بما رووا عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ، وهذا الحديث ليس له
اصل في الدين ولا يدخل في منزلة من منازل السقيم فكيف الصحيح
من المسلمين ، ولكنه جزء من خطبة عظم بها الخطب ، وصار بها
الناس الباطن ، وقد كنت فاضته في امثالها واشرت بامحة من
الامساك عن الحديث الا ما صح على قدر منزلتي منه ويقول لي

(٢؛ ٣؛ ٤؛ ٦) اقرب ما يظهر تحت الحق

(٥) او اختيارية وهو اقرب

بضاعتي في الحديث مزجاة ، ولقد اخذ معي في ذلك ابو بكر الفهرى
عند انكفائي من العراق فاعلمته بذلك سن قوله فلم يعذره كما لم
اعذره وليس يخفى على ذي لب يتوقف هاهنا قليلا بنفسه (١) ولا
يعجل بالحوقلة فقد امتلات من هذا الكلام كل حوصلة . ولنتعرض
للدليل ، وان كان ليس بموضع دليل ولكن هاهنا « نكتة بديعة »
استفدتاها في « نزهة المناظر وتحفة الخواطر » وهي ان الحقائق
تارة تنكشف بالدليل من الاشكال ونارة تنكشف

دلالة الالفاظ على المعاني

فان الشيء قد ٢ فليبادر بكشف غريبه واتخذ هذا

٢ اذا ناظرت وفي الاسترشاد اذا ارشدت وبعد هذه

المقدمة نقول : ان غلاة الصوفية ودعاة الباطنية يتشبهون بالمتبعة
في تعلقهم بمشبهات الايات والآثار على محكماتها فيخترعون
احاديث او تخترع لهم على قالب اغراضهم ينسبونها الى النبي ويتعلقون
بها علينا ، فمنها حديث الناس نيام وليس بخبر وانما هو مثل ضربه

(١) في الاصل بدون نقط واين قاعل يخفى ؟

(٢) بياضات بالاصل

الحكيم فضل الآخرة على الدنيا فاما اولا فاما على
 ان ما في الآخرة ليس على حقائق ما في الدنيا وانما في الدنيا من الآخرة
 اسما لا معاني حتى نسبوا ذلك الى ابن عباس من الصدر الاول ليرتبوا
 عليه ان امور الآخرة انما هي اسماء لا اشتراك بينها وبين
 معاني الدنيا في الوجود نسبتها لما في الدنيا كنسبة البحر في المظلمة الاسد
 والجزار و يختم - كتب الملك - الى الملك والشيخ وملك
 الموت الفجر في رمضان في الدنيا بل هذان من
 دينك ، وهذه الامثال والخبار معاني صائبة وفي منهج التمسك باثر
 « صفة الجنة » وذلك ان البنية في الدنيا مبتدأة بترتيب وفي
 الآخرة منشاء دفعة في كرة ، وهي في الدنيا تستحيا
 تشبث وفي الدنيا تبقى وفي الآخرة تدوم وفي الدنيا في
 الآخرة لا تنعصر وفي الدنيا نافعة من وجه ضارة
 من نوع مذمومة من غيره محبوبة في حال مكرومة وهي
 في الآخرة متجددة كل صفة على (١) مقابلتها وهكذا
 الكل كاملا صدر عن كامل لا نقص فيه الا عن كماله

الحق من الاولية والتقديس عن الحدث وجواز تطرق الافات والنقص
لا سيما وقد علم بالدليل كل عاقل ان الدنيا حقيقة على ما هي عليه
والاخرة حقيقة على ما هي عليه وليس ما يستغرب بينهما من التباين
وهما مخلوقتان باغرب من التفاوت الذي بين الخالق والمخلوق في
الذات والصفات ، ولكل واحد من هذين القسمين الاعلى الا شرف
والاسفل الادنى حقائق (١) وما بينهما من التفاوت لم تبطل حقيقة
الاكمل حقيقة الا نقص بل وجبت لكل واحد صفاته . « تمثيل
من دليل » قد ارسل الله الرسل الى الخلق على اختلاف اطوارهم في
ازمانهم فما قال احد منهم انا في غير حقيقة ، ولا كانوا ينفون الحقائق
عن اقوال المرسل في دعاوي التوسط . وهم متفقون على اقرار الحقائق
في نصابها . واثباتها من بابها ، وانما قاربوا ادلة الرسل بالشبهات ،
وجروا في ميدان النظر والدلالات . فعاند من عاند . وسدد من
سدد . « توجيه » ويحتمل ان يكون ابو حامد قد بني هذا على
مذهب الصوفية في ان العالم من ثمرات العمل . وهو وان كان
قلب القوس فليس في اول رتبة . وانما يكون ذلك

دعوي في النظريات او في الزيادة على مقتضى الادلة . وربما شبهوا في ذلك بقوله واتقوا الله ويعلمكم الله فافاد هذا الظاهر ان العلم ثمرة التقوى التي هي اصل الاعمال ومزجها (١) جميعها او كلها واثروا ذلك عن مالك رضي الله عنه اسكاتا لنا واعتضادا لامامته (٢) علينا من قوله : ليس العلم بكثرة الرواية . وانما هو نور يضعه الله في قلب من يشاء قال القاضي ابو بكر : وهذا مقطع شريف ليس من غرضهم في شيء وانما له حقيقة معلومة وهي ان العبد اذا واضب الطاعات ونبذ المعاصي لم يكن ذلك الا باستمرار علمه واستدامة نيته فان العمل بالقصد والقصد يرتبط بالعلم فانها اخوان فاذا دام العمل الصالح دل على دوام العلم واذا علم ولم يعمل او شك ان يذهب العلم ويكون نقصان العمل علامة على نقصان العلم او ذهابه ، فان قيل وكيف يذهب العلم بذهاب العمل والعلم اصل والعمل فرع عليه والفرع هو الذي يذهب بذهاب الاصل قلت عنه جوابان احدهما اننا نمثل لكم ما يحققه فنقول انك ترى الغصن في الشجرة الناضرة ذابلا

(١) لعل الاصل ومرجع

(٢) لعل الاصل بامامته

فتستدل به على نقصان مادة الاصل (١) « التي كانت عنده بالري »
 ولولا نضوب المادة وهى الاصل من الاصل لما ذوى الغصن في
 الشجرة الناضرة فكان ذهاب الفرع لذهاب الاصل وعلامة عليه .
 الثانى وهو - التحقيق - ان التقوى والعلم جميعا من جملة الاعمال
 وكلاهما من الاعمال القلبية وتنفرد التقوى بقسم منها وهو من عمل
 الجوارح . وهى مأخوذة من الوقاية وهى الحجاب الموضوع دون
 المكروه فاذا اتقيت الله بقلبك اولا كما يجب كان ذلك تعليما منه
 لك بوضع الحجب التي تقيك عذابه ، ووقاية العلم به للعذاب قبل
 وقاية العمل له للعذاب فاذا نقص العمل كان لنقصان العلم ضرورة
 ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزنى وهو مؤمن
 اخبر به انه لا يقدم على الزنا الا بعد فوات جزء من العلم ، وقد بيناه
 فى قانون التاويل، وشرح الصحيحين . وورد الحديث الصحيح : تعرض
 القطن على القلوب كالحصن عودا عودا فإى قلب اشربها نكتت فيه
 نكتة سوداء فيصير اسود مرابدا كالكوز محجبا لا يعرف معروفا ولا
 ينكر منكرا الا ما شرب من هـواله . وهذا تنبيه بالغ ونص فيما

اردناه للخصم دافع . مزيد تحقيق ولا ينكر احد من المسلمين
لا من الفقهاء ولا من المتكلمين ان صفاء القلب وطهارته مقصود
شرعى انما المستنكر صفاء يوجب تجلي العلوم فيه بذاته اذ هو
مقابل له فى اصل الخلقة ، وانما الحق ان القلب بمداومة الطاعات ،
والفكرة فى ملكوت الارض والسموات يكون ذلك من ادامة
المعرفة علما على النجاة ويكون عمارة للبدن بالطاعات ، وقد قام
الدليل العقلي على ان العلم هو من العمل قبل العمل وكذلك قام
الدليل الشرعى وشهدت له التجربة على انه انما نخشى الله من عباده
العلماء ، وكل من علم ان ملكوت الله فى ارضه وسمائه الذى فيها
بدنه (١) وحملته من مخلوقاته لم يصرفه الا فى طاعته فان قصر
فبفوات (٢) عمله بما قصر فيه وعمما قصر عنه وعمما قصر به وهذا
كاف فى الغرض ، تكلمة فنرجع الى المراجعة مع القول الاول
للقوم الاولين فنقول لهم هذا التشكيك والخيالات الا تردونه الى
الشهوات فى الفرج والبطن والمعاش فى قوام الحياة فتدخلون

(١) كذا بالاصل وتامل واعلم منها

(٢) لعله عليه

فيها التشكيك وتردون اليها الخيال والاختيال ، ولا يكون عندهم
 فيها فرق بين النظر والاهمال ، ولا بين الحلو والمر والمستقذر
 والمستخبث ، فان لم ينقادوا اليه نبذناهم في يم الاعتراض ، ان لم
 يكن بنا قدرة على القيام فيهم بالواجب والانتهاض . فان قيل قد
 روى ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن شرح الصدر قال هو
 نور يقذفه الله في القلوب قيل له وما علامته قال التجاني عن دار الغرور
 والاناة الى دار الخلود . وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق
 من ظلمة ثم رش عليهم من نوره فايركب عليهما . قلنا هذان
 حديثان موضوعان لا اصل لهما ، ياليتك لم تصل عليه ثم تنسب
 الكذب (١) عليه ، وما انت في ذلك الا كمن يخاف بالله الذي لا
 اله الا هو لقد كان كذا وهو كاذب ، فياليتك لم يعظمه ولم يكذب
 فيما يقرن بتعظيمه من حديث . اما ان الحديث الاول له معنى
 صحيح في الدين ، فان هجر الدنيا يدل على خلو القلب من حبها ،
 واما الحديث الثاني ففاسد للمعنى لاثاره في الشريعة ولا مبني ، ونعوذ
 بالله من الغرور والغرور انما خلق الانسان من طين ثم نفخ فيه من

روحه ، والذي يعقل هو الطين باقران الروح فان قيل فقد قال الله سبحانه وغرتهم الحياة الدنيا . فان كان لها حقيقة فليس فيها غرور قلنا وليس عندكم قول ولا رب ولا دليل ولا اعتراض فما لكم تدخلون دارا لستم مقرين بانكم فيها ثم تطمعون ان تتصرفوا بمنافعها ، لا تكونون من ذلك انصرفوا صاغرين ؛ واتقلبوا خاسئين . فان قيل ايها المرشد ان قال المسترشد هذا اخرجت من الدار من ليس منها فما الجواب عن هذا لمن هو من اهلها . قلنا الدنيا حقيقة بذاتها غرارة بمثلها فانها موجودة حقيقة فانية حقيقة منقضية حقيقة ؛ فهي اذا نظرناها القاصر السؤال المغلوب بالشهوات المذمومة في اللذات ركن اليها غرورا ، واذا نظرناها العالم بفنائها وانها طويق لا مأوى اتخذها لذلك مسلكتا ، فنال من بغيته دركا ، على ما بينا آتفا . فان قيل

منه قلنا نحن لا ننكر الا على تركيب الفاظ عربية او شرعية على معان صافية ونسبتها الى النبي وهذا هو الكذب معامدا ولا سيما اذا افرغت على قالب تبني عليه اغراض مقصودة في محل معروفة ؛ فاما تنوير القلوب فهذا امر شرعي . قد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

في مظان الاجابة من آخر الليل وعند الخلوة على ما روى في الصحيح
انه صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعائه حينئذ : اللهم اجعل في
قلبي نورا وفي نفس نورا وفي لساني نورا وفي بصري نورا وفي
شعري نورا وفي بشري نورا وفي مخي نورا وفي عظمي نورا
وفي لحمي نورا وفي يميني نورا وفي يساري نورا وفوقي نورا
وتحتي نورا وامامي نورا وخلفي نورا وفي قبري نورا وعند لقائك
نورا وعلى الصراط نورا واجعلي نورا واجعل لي نورا واعطني
نورا واعظم لي نورا ، فهذه ثلاثة وعشرون ، منها في صحيح مسلم
سبع عشرة دعوة والباقي صحت من طرق والخير كله نور والشر
كله ظلمة حقيقة لا مجازا واخص ان العلم نور والجهل ظلمة
والسرور نور والغم ظلمة . والحديث الذي ذكرتموه رواه الترمذي
عن عبد الله بن عمرو ان الله خلق الخلق في ظلمة فالتقى عليهم من
نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل فلذلك
اقول جف القلم على علم الله . وهذا الحديث حسن الاستاد لم يبلغ
درجة الصحة ولكن يشهد له ظاهر القرآن لقوله تعالى والله اخرجكم
من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئا فالمراد بالحديث انه خلقهم في ظلمة

لا من ظلمة، المعنى خلقهم جهالا وضرب للجهل مثلا الظلمة ثم القي عليهم من نور لا فاستنار به من هداية وهو عبارة عن العلم الذي يخلقه الله لمن يشاء والقبول الذي يهبه لمن يريد. — تخيل — قالوا ليس عندنا معنى يوثق به اذ الحسن خائن الا ترى انك لو اخذت قبسا من نار ثم حركته بسرعة حركة مستقيمة على وضع الخط المستقيم لرأيت خطا مستقيما ولو حركته دورية لصار كرة وقد تأتي بالحركة على صفة تكون قوسا من دائرة، تختلف عليه المراتى وهو نقطة واحدة ولو كانت له حقيقة ثابتة لما اختلف باختلاف الطوارى على الذات من خارج — قلنا — هذا ايراد للحقائق بانها خيالات وبيانها ان القبس الذى ذكره له حقيقة مشاهدة وله اذا سكن صورة واذا تحرك صورة فتختلف عليه الصور بالحركات والسكون وحقيقته واحدة وهذا حقيقة الحقيقة؛ الا ترى ان الانسان له حقيقة وتختلف عليه الصور فتارة يكون ناطقا وساكتا وقائما وقاعدا الى غير ذلك من حالاته وتصرفاته ولا تتغير له حقيقة باختلافها عليه بل له حقيقة دائمة ابدا لا تتغير وهذه الصفات حقائق في ذاتها على تغييرها معلومة محقة وكل بذاته متحيز وفي سبيل العرفان سائر وكذلك الاجسام كلها والعالم بأسره.

الموقف الثاني

ذهبت طائفة الى ان تحقيق العلوم في مواقعها واعترفت بتعلقها بمعلوماتها ولكنها ذهبت الى ان الادلة وان كانت تفيدها وتقتضيها ولكن رحمة الله ولطفه اذا فاض على العبد جاءه به من العرفان ما يستغرق مقتضى الادلة من البيان وهذا نحو مما تقدم ولكن تعلقت به طائفة جليلة كالخارث ابن اسد المحاسبى اولا وابى القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ثانيا وبين الرجلين طوائف لا يحصون كثرة من مشهور ومذكور وهذان العالمان سلكا طريقا متوسطة بين الغلو والتقصير ونجحت في آثارها اسم انتسبت الى الصوفية وكان منها من غلا وطفف وكاد الشريعة وحرف وقالوا كما تقدم لا ينال العلم الا بطهارة النفس وتزكية القلب وقطع العارثق بينه وبين البدن وحسم مواد اسباب الدنيا من الجاه والمال والخلطة بالجنس والقبال على الله بالكليه دائما وعملا مستمرا حتى تكشف له الغيوب ويرى الملائكة ويسمع اقوالا ويطلع على ارواح الانبياء ويسمع كلامهم، وهذا ووراء هذا غلو ينتهي الى القول بمشاهدة الله، يدخلونه في باب الكرامات اذ كان من المجزئات. — قاصمه — ولقد

فاوضت فيها ابا حامد الغزالي حين لقائي له بمدرسة السلام في جمادى
الآخرة سنة تسعين واربعمئة وقد كان راض نفسه بالطريقة الصوفية
من سنة ست وثمانين الى ذلك الوقت نحو من خمسة اعوام وتجرد لها
واصطحب مع العزلة ونبت كل فرقة فتفرغ لي بسبب بينا في كتاب
ترتيب الرحلة ، فقرات عليه جملة من كتبه وسمعت كتابه الذي سماه
الاحياء لعلوم الدين فسالته سؤال المسترشد عن عقيدته المستكشف
هن طريقته لاقف من سر تلك الرموز التي اوما اليها في كتبه على
موقف تام المعرفة ، وطفق يجاوبني مجاوبة الناهج لطريق التسديد
للمريد ، لعظيم مرتبته ، وسمو منزلته ، وما ثبت له في النفوس من
تكرمه ، فقال لي من لفظه ، وكتبه لي بخطه : ان القلب اذا تطهر
عن علاقة البدن المحسوس ، وتجرد للمعقول انكشفت له الحقائق ،
وهذا امور لا تدرك الا بالتجربة لها عند اربابها ؛ بالكون معهم ؛
والصحبة لهم ، ويرشد اليه طريق من النظر وهو ان القلب جوهر
حقيل مستعد لتجلي المعلومات فيه عند مقابلتها عريا عن الحجب
كالمرءاة في تراءي المحسوسات عند زوال الحجب من صدهاء لائط ، او
متر من ثوب او حائط ؛ لكنه بتراكم الافات عليه يصدا حتى لا يتجلي

فيه شيء او ينجلي معلوم دون معلوم بحسب مواراة الحجاب له
من ازورار او كثافة او شفاف فتتخيل فيها مخيلة غير متجلية كانه
ينظر من وراء شف ، الا ترى الى النائم اذا افلت قبله من يد
الحواس وانفك من اسرها كيف تتجلى له الحقائق تارة بعينها
واخرى بمثلها . قال لي وقد (١) تقوى النفس ويصفو القلب حتى
توثر في العوالم ، فان للنفس قوة تاثير به موجوده ولكن كما قلنا ما
يتوارد عليها من شعوب البدن وعلائق الشهوات يحول بينها وبين
تاثيرها حتى لا يبقى لها تاثير الا في محلها وهو البدن خاصة كالرجل
يمشي في الارض على عرض شبر ولو علا جدارا مرتفعا عرضه
ذراع ما استطاع ان يبسط خطاه عليه ، يتوهم سقوطه عنه ، فاذا
استشعرت ذلك النفس واستقرت عليه انفعال البدن لها وسقط مسرعا ،
وقد تقوى على اكثر من ذلك فيكون تاثيرها في غير محلها من
جنسها كما ينظر الراي الى جسم حسن فيقع في قبله استحسانه فاذا
نطق بذلك عليه تاثر بذلك الجسم فليط (١) به او هلك في ذاته .

(١) خ تقوى

(١) تعلق به اذى

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : ان العين لتدخل الرجل القبر ،
والجمل القدر ، وقد تزيد قوتها (٢) بصفاتها واستعدادها فتعتقد انزال
الغيث وانبات النبات ونحو ذلك من معجزات خارقات للعادات ؛
فاذا نطقت به كان على نحول ، وهذه نفوس الانبياء ؛ وهي الايات
التي تايدت بها احوالهم ، — عاصمة — قال القاضي ابو بكر فلما
وعيت هذا سماعا وكتابة عنه وقراءة رجعت اليه متاملا بصادق البصيرة
وعرضته على قواعد النظر في المعقول والمنقول ونظرت في افراده ثم
(٣) جمعه فرايت انه لا يخفى على ناظر ان النفس موجودة والبدن
موجود والروح والنفس والقلب والحياة الفاظ وارادة في الشرع
منطلقة في لسان العرب علي معان قد عرفوها ، اذ لا يصح ان يخاطبوا
بما لم يفهموا ولا ان يعبروا بما لم يعلموا ، وهي بينة عند الطوائف
كلها عاقلوها ومتشرعوها ، فاما البدن فمحسوس واما القلب فمشاهد
في بعض الاحوال ولكن عند التعطل عن عمله وعند الانفصال عن
محله ، واما الروح فمعقولة ، واما النفس فاختلِفوا فمنهم من جعلها

(٢) او بصفاتها ؟

(٣) او جمعه ؟

الدم فتكون جسما محسوسا ، ومنهم من جعلها معقولة (١) بمنزلة الروح وحين دارت هذه الالفاظ على السنة الانبياء والحكماء المتأقنين عنهم دارت على رسم التوارد ، فقد يعبر بالروح عن القلب والنفس وعن القلب بهما وعن النفس بالروح وعن الروح والحياة بهما ؛ وقد يتعدى بهذه الالفاظ الى غير العقلاء بل الى غير الاحياء فتجعل في كل شيء فيقال لكل شيء قلب ونفس وروح وحياة استعارة ، فمن لم يعقل وجه الاستعمال تاه في مجاهل لاعماره بعدها ؛ ومن اراد ان (٢) يلتبس بها وجد مجالا مشكلا للتليس لكثرة الاستعمال ، والمعلوم في الجملة انه خلق اخر غير البدن ، كما قال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين فيبين ان الجسم خلق والذي فيه خلق اخر مجاور له مغاير ، وانت ترى في الجملة ان للبدن صفات هي القدرة والعلم والكلام والارادة والحياة والسمع والبصر . فهذه

(١) خ بمعنى

(٢) لعله يلبس

الصفات السبع هي عماد التقدير والتفكير والايجاد والتصرف ، وليس
يمكن ان يقال في الحياة اكثر من انها صفة بها يستعد المحل
لقبول الصفات الست وهي الروح وهي النفس . و ارادت طائفة
التشغيب ان تفرد الروح ببيان ؛ وتخصه بنوع من البرهان ؛ حتى
انتهى بهم القول ان يقولوا : وما الانسان . لقد اخبرني ابو سعيد
الزنجاني بالمسجد الاقصى طهر لا الله عن الاستاذ ابي المظفر شاهقوران
اعرابيا دخل البصرة فرأى حلقة المتكلمين فقصد اليها يظن انها حلقة
ذكر فوجدهم يتكلمون في حقيقة الانسان وقد كان عند نفسه معلوما
فما رأى اهل تلك الحلقة قد ادخلوا في (١) مباداة من (٢) بديد ،
واكثروا فيه من المراجعة والترديد ؛ قام وهو ينشد
ان كنت ادري فعلى بدنه ❀ من كثرة التخليط في من انه

واحتاج شيخ السنة (١) وصاحبه لسان الامة ، ومن دارت عليهم
من طبقتهم الملة ؛ من اعيان السنة الجالة ، ان يعقدوا في ذلك ابوابا ،

(١) كذا بالاصل

(٢) او يريد ؟

(١) لعله صاحبه

وَيَجْمَعُونَ فِي ذَلِكَ كِتَابًا؛ فَاحْسِنُوا عَنِ الْحَقِّ (١) مَنَابَا. فَانِ الْمَلْحَدَةُ
 ادْخَلَتْ هَذَا الْإِلَافَ فِي بَابِ الْأَشْكَالِ تَشْغِيْبًا وَتَلْبِيْسًا. وَالْأَمْرُ فِيهَا
 بِشَهَادَةِ اللَّهِ قَرِيبٌ جَدًّا. — فَانِ قِيلَ — كَيْفَ تَقْرُبُ الْبَعِيدَ الَّذِي
 شَهِدَ اللَّهُ بِبَعْدِهِ. وَلَمْ يَجْعَلْ لِأَحَدٍ فِيهِ سَبِيلًا مِنْ بَعْدِهِ. فَقَالَ وَيَسْأَلُونَكَ
 عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا.
 — قُلْنَا — قَدْ تَكْرَاهُنَا عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ فِي الْأَوَارِ الْفَجْرِ وَشَرَحَ الصَّحِيحِينَ
 بِمَا لَبَّاهُ: إِنْ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَسْأَلْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ عَنِ الرُّوحِ لَعَلَّهُمْ بِهَا وَذَكَرَهُمْ لَهَا فِي كِتَابِهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ إِلَيْهِمْ
 وَمَا كَانَ لِيَأْتِي بِمَجْهُولٍ. وَلَوْ جَاءَ بِهِ مَاقْبَلَةُ الْأَعْدَاءِ مِنْهُ. وَقَدْ كَانُوا
 يَتَرَصَّدُونَ وَجْهًا مِنَ الظَّنِّ (٢). فَكَيْفَ إِذَا وَجَدُوهُ يَأْتِي بِمَا لَا يَعْلَمُ.
 وَيُنَكِّمُ بِمَا لَا يَفْهَمُ. وَإِنَّمَا جَاءَتِ الْيَهُودَ بِعِنَادِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَتْهُ عَنْهَا بَظَنَّةٍ (٣) وَعَادَا (٤) لَمْ تَزَلْ تَنْظَاهِرُ
 بِفَسَادِهَا. مُقْصِدُهَا أَنْ يَقُولَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِيَ كَذْبًا

(١) أَيِ نِيَابَةٍ وَيَحْتَمِلُ الرَّسْمُ مَثَانَا أَيْ مِمَاتَةً.

(٢) خِ النَّقْصِ

(٤٣) هَذَا أَقْرَبُ مَا يَفْهَمُ مِنَ الرَّسْمِ بِدُونِ نَقْطِ

فيراجعون فيه ويجادلونه عليها فامر الله ان يرد عنهم عنها صيانة له عن
تشغيبيهم بما لا يعلمونه ولا يفتقرون اليه ولا يحتاجونه « ا » حتى قالت
جماعة انه كان من وصفه في التوراة انه لا يجيب عن هذا السؤال وهذا وان
لم يرد في الصحيح فليس يبعد لانه من صفات العقلاء فكيف بالانبياء
ان لا يتكلموا في فضول . ولا يخوضوا في غير تحصيل ، ولا يجوز
هذا مع من يقصد التشغيب والتضليل . وانت تري ما انتهى الفضول
بعلمائنا في تعرضهم لحد العلم ان بلغ القول فيه مع الخصوم الى عشرين
عبارة ليس منها حرف يصح وانما هي خيالات والعلم لا يقتنص
بشبكة الحد ، واذا لم يعلم العلم فماذا يطلب او الى اي شيء وراءه
يتطلع ؛ وانما انشا هذا حثالة المعتزلة وكلهم حثالة لاضمارهم الاحاد
قصد ايقاع التشكيك والالباس على الخلق في الحقائق ليتذرعوا بهذه
الطريقة الى مقصدهم الفاسد وجعلوا يفيضون في الاعتقاد والعلم حتى
انشوا كلاما يملأ الفضاء حقه ان يقابل بالاعراض وقد اشرنا اليه في
التمحيص وغيره . — قال القاضي — ابو بكر واذا انتهى النظر
الى هذا المقام فنقول انك ايها المرء بعد لم تثبت لك معرفة النفس

والروح والقلب على ما تزعم ولا استقرت عندك حقيقة لذلك كله ،
 تريد ان تركب عليه انه يعلم المخلوقات ؛ ويوثر في الارضين
 والسموات ، لقد ابعدت مرماك ؛ حقه على ما يجب ، وبعد فركب
 عليه ما تركب . — وما الاشارة — بتجرد النفس والقلب عن علائق
 المحسوسات ، لترتقي الى المعقولات ، فمسي ان يكون ذلك اذا
 مات ، فاما مع الحياة فيبعد ذلك ويستحيل عادة ، وقد كان النبي
 صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الصحيح انه ليغان على قلبي
 فاتوب مائة مرة فكيف يصح ان يدعى عاقل فكيف عالم قلبا
 لا يدركه غيب ؛ ولا تتطرق اليه غفلة حتى يترقى الى حالة الفناء حتى
 يفنى عن نفسه فلا يرى اهلا ولا حالا (١) وقد حلف بالنبي الزواج
 وخالطهن بالوطي وكيف يدعى احد قطع علائق ربطها الله قبل
 ان ياذن بحلها ، وكان النبي يشدها ويحث على النكاح وعلى انتقاء
 الأبكار ؛ لا على انتقاء (٢) الانكار (٣) ؛ واي نفس تكون ذلك
 او اي قلب والنبي عليه السلام لم يرد الصحابة الى ما زعموا من

(١) لعله ملا

(٣٢) كذا بالاصل

الطريقة ، وانا ردهم الى الفاظ القرآن وما كان معهم عليه حتى استأثر
الله به . — واما قوله — ان ذلك ينال بالتجربة معهم والصحبة لهم
فان التعرض للتجربة انما يكون في الممكن فيحك ما يمكن (١) في
مدق التجربة ؛ واما الذي لم يثبت بدليل ولا سبقت به عادة فكيف
يتعرض له بتجربة والصحابة لم يسلكوا طريقه ولا نظروا تحقيقه ،
والذي يدل على بعده الحديث الصحيح واللفظ لمسلم ان حنظلة الاسدي
وكان من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنا عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا فذكرنا بالنار قال فجئت الى البيت
فضاحتك الصبيان ولا عبت المرأة قال فخرجت فلقيني ابو بكر
رضي الله عنه فقال كيف انت يا حنظلة قال قلت نافق حنظلة قال
سبحان الله ما تقول قال تكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
يذكرنا بالنار والجنة كنا راى عين فاذا خرجنا من عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم عافسنا الازواج والاولاد والضيعات ، ففسينا كثيرا
قال ابو بكر والله انا لنلقى مثل هذا فانطلقت انا وابو بكر فدخلنا
علي رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نافق حنظلة فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم وماذا كنت يا رسول الله تكون عندك تذكرنا
 بالنار والجنة كأننا رأى عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج
 والأولاد والضيقات فنسينا كثيرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم والذي نفسى بيده لو تدومون على ما تكونون عندي في الذكر
 لصاغتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة
 وساعة . فتفطن الصحابة لتغير القلب عنده مفارقة النبي صلى الله عليه
 وسلم عن الحالة التي يكون معه عليها ، ومالوا النبي عن ذلك فاخبرهم
 ان تلك الحالة لو دامت لصاغتكم الملائكة معاينة وذلك ممنوع من
 الله للخلق فما يفضى اليه ممنوع والا فلم لم يحضهم عليه ، وهل كان
 فوق منزلة الخلفاء منزلة يرتقى اليها وما كانهم ملك ولا صاغتهم .
 — واما قوله — بمقدمة نوع من النظر وهو النظر في حقيقة القلب
 فليس له حقيقة الا التي لليد وكلاهما وتمرة وهل هما الا جسم مركب
 من لحم او من لحم وعظم وعصب . — فان — قال — اكشف
 لي عن حقيقة القلب — قيل — له واكشف عن حقيقة اليد ولعالك
 تظنها الجارحة المشاهدة ؛ لقد قصر نظرك ان او قننته عليها ، هيئات
 بك هي معنى وراء ذلك ، فانك تشاهدها مصروفة مقدرة موجدلا



منيلة معينة (١) تارة (٢) وصاحبها قائم (٣) الفيلا (٤) كالخرقة الملقاة
فلو رمت انت وصاحب وصاحب الجيم في طيه وطابن (٥) في عبيعتها
والفاء (٦) في الاهيته ان يذكر في ذلك حرفا يفيد علما لم يستطيعوا؛
ولولا التطويل لسردت عليكم في ذلك مناظرات من انزهة المناظر
وتحفة الخواطر تعجبون منها فانظروها فيها . — واما قوله — ان
القلب مستعد بذاته لتعلم المعلومات فهذا لا يجوز في صفة الاله فكيف
ان يجعل ذلك للقلب ، لا يصح ان يجعل شيء يعلم بذاته لامن قديم
ولامن محدث وهذا شيء اصلوه ليركبوا عليه انكار الصفات انما اليد
والقلب موجود ان خلقهما الله ويخلق فيهما على الترتيب والتدريج ما
شاء ولكل واحد مجرالا الذي جعل له ليس لواحد منهما صفة الا ان
الله يخلق فيهما ما يشاء ولا يخلق . = واما المرءاة = فلا يصح التمثيل
بها في هذه القضية وانا اعلم قصدكم (٧) فيها واعتقادكم في حقيقتها
فانهم بنوها على ان الادراك فيها انما يكون بانعكاس الاشعة على

(١) نحو بالاصل

٦٥،٤،٢،٢ كلها كذا بالاصل

(٧) خ سرهم

زوايا (١) في مزاياء وذلك مذكور في كتب المناظرة وخاصة المنسوبة
 الى بني الهيثم ، وانا يذكرونها جيبها للناس وتشكيكا لهم وسكونا
 الى ان علماءنا قد احتجوا بها وعولوا في روية الباري عليها وانه
 مرئي في غير جهة ونحن الان لا نفتقر اليها فلا نسلمها ولا نخوض
 معهم فيها وانا اعلمكم انهم اذا اجتمعوا مع اخواتهم المعتزلة فذكروا
 انا نحتاج في مسألة روية الباري في غير جهة بمسألة المرءة ضحكوا
 منا وفكحوا بنا وحكموا بالجهالة علينا . ولقد مشيت يوماً بعسقلان
 الى محرس باب غزة وقد كان القاضي حامد المعتزلي الجنفي ورد
 علينا بها فاجتمع عليه الشيعة والقدرية واهل السنة على طريقتهم في
 قصد الواردين المتحليين بالعلم والمنتسبين اليه وكان بيني وبينه معرفة
 في المسجد الاقصى فقال له احد اصحابه هل تحكم بكفر الاشعرية
 في قولهم ان الباري يرى قال له القاضي حامد لانحكم بكفرهم لانهم
 يقولون انه يرى في غير جهة ويذكرون ماله يعقل ومن قال مالا
 يعقل لا يكفر . وفي هذا الكلام نظر ياتي بيانه ان شاء الله تعالى
 واما ذكرته لكم لتعلموا قدرتنا عندهم ، ولولا انكم لم تتمرنوا بالهندسة

لا ريتكم من خطاهم في المرات ما لا يخفى على من تعلق بشيء من
الطريقة . ولقد قلت يوما لبعض حذاقهم وقد تفاوضنا في المناظر
بسبب القول في روية الله عز وجل على اتصال الاشعة وانعكاسها
بصقالة الاجسام فقلت له فهذا الماء الصقيل اذا نظرت اليه رايت
نفسك معكوسا فيه وانت مستقيم عليه فاذا كان الادراك في انصقيل
لا يكون الا بالانعكاس الشعاع فهذا ايضا انعكاس في انعكاس فكيف
التقيا في خط وانحرفا في زاوية : فبهت ، وجرى من الكلام ما لا
فائدة لكم في ذلك لانه ليس من النابه (١) فانزلوا معهم الى القلب
محل العلم ، فمن اين تقولون انه صقيل واصقالاته تجلت المعلومات فيه
فلا تجدون شيئا يعول عليه ، انما الباري يخلق في القلب ادراك العاوم
ابتداء وبرتبه (٢) فيجري التدبير فيها والتقدير والتفكير على نظام
فذلك النظام المستقيم الجاري على القوام والتقويم سماه سبحانه شرحا
تارة وتنويرا اخرى تعليما منه خلقه (٣) حتى لم يقات منه لهم

(١) او البابه

(٢) خ يركبه

(٣) حن

نظام في الافعال المحسوسة المبانوار الله ؛ (١) النور المحسوس والنور المعقول ، فاعرفه واعترف به ، واقدره وقدره ، وانسبه الى نسبه ، وانزله في منزلته ؛ لاتعديه عن محله ؛ - واما دعواهم - روية الملائكة والانبياء وسام كلامهم فذلك ممكن للكافر والمؤمن اما روية الكافر فعقوبة ؛ وحجبه «٢» ويلاو فتنة ، وما روية المؤمن له (٣) ففكرامة ؛ ولو كان رؤيتهم للملائكة كما يقولون لصفاً القلب الصقيل «٤» فيتجلون فيها لاقتصر رؤيتهم على القلب الصقيل ولم يره قلب اصداء قد تراكم بالرين ، وهذا مما يمنعونه سرا : ولا يقدر (٥) عليه جهرا ، لانهم يتظاهرون بالاسلام . - فاما الفلاسفة - فنعوا ونسبوا الكلام معهم في طريقهم في الالهة ، وعقيدتهم في الملة ، ان شاء الله ، وقد سمعت الصحابة كلام الملائكة وسمعها من لم يؤمن ورءاها في صورة الادمي ؛ ورءاها في صورة

(١) خ بزيادة : فله

(٢) لعل الصواب ويل

(٣) اي لما ذكر

(٤) عليه شبه تشطيب في الاصل

(٥) هذا اقرب ما يظهر

—————٥٥٥٥—٥٥٥٥—٥٥٥٥—٥٥٥٥—————

النمل ، ولم يكونوا من صفاء القلب وقطع العلائق بحيث
يشترطون في رؤيتهم ، وان كانوا من تقوى الاله وفضل المعرفة
باوفى مرتبة . فهذه دعاوى باطلة لا اصل لها في منقول ولا معقول ،
— واما قولهم — ان النفس تؤثر في ذاتها حتى تترقى الى العوالم
فيبعد ان يتخيل هذا عاقل فكيف عالم . انه ليس لشيء تأثير ولا
منع ولا توليد لما ثبت من الادلة في موضعه بانه لاخالق الا الله ولا
يخرج من العدم الى الوجود شيء ، الا بقدرته وقد دللنا على ذلك في
موضعه . — واعطف — على شيخنا بالكلام ، دون غيره من الانام .
لما بيني وبينه من مجلس ومقام ، فاقول سبحانه الله هل اخدنا عنك
في كتاب ، وقيدنا على كل باب ، الا ان الله منفرد بالايحاد ؛ متوحد
بالاستبداد ، وان ماسواه لا ينسب اليه فعل ، ولا يناط به حادث ،
واين ماسردت في مناجاة النملة والقلم ، حتى انتهيت الى المنهج
الامم ، واين التبري من الوقوف على تلك المنازل في النوازل ،
والترقى على تلك الدرجات في المدارج . حتى انتهيت الى بحبوحة
القدس . والان ترد التأثير الى النفس . هيهات ان ما يخلقه الله في
يدن العائن هو كما يخلقه الله في بدن المسحور كما يخلقه في بدن

المضروب والمقتول كما يخلق حركة الخاتم بحركة اليد . اين ما قيدت
بعد ان انفردت في الاقتصاد والمستصفي وما رويت عن امام الحرمين
في مدارك العقول مما قيدنا في انفراد الباري بالايحاد وحدد ؛ وكل
مخلوق محل لجاري مقادير الله ، — فان قلت — ان النفس تؤثر
ذلك عند تعلق القصد منها اليه — قلنا — هذا لا يصح من اوجه
— الاول — ان هذا مما يجب ان يثبت اولا مشاهدة او لخبر صدق
يوجب العلم وحينئذ ينسب الى الله ايجادا بالقدرة الاولى في الاصل
وتجعل النفس وما تعلق به محلا لجاري مخلوقات الله . — الثاني —
انه وان كان انكشفت له المعارف . واتضح له المعقولات
واستبصر بالحقائق والكائنات . فليس في قوة القلب تاثير في الايجاد
وانما غايته الادراك والكشف فاما تعديده الي الايجاد فلا يصح
بحال . — الثالث — انك قد قلت وجدنا بالتجربة فهذا عمر قد قال
ياسارية للجبل وهذا الازاعي قال لرجل يعظه لواطعت الله وقلت
لهذا الجبل ادن لجاءك فتدكك الجبل وسمى حتى دنا من الازاعي فقال له انك
عني انما هو مثل ضربته لصاحبى هذا . — قلنا — هذا الان قول في
كرامات الاولياء وهي اصل الدين . وعمدة من عمد المسلمين .

لا ينكرها الا جاهل • اتفق عليها العلماء واختلفوا هل هي خرق
عادة او اجابة دعوة • ونحن الان لانخوض فى النظر فيها فانها تجوز
بخرق العادة على شروطها التي بينها فى امالينا • ولكنها اذا جرت
لا تجري بتاثر نفس ؛ وانما يسئل العبد الصالح ربه فيجيب دعاءه فى
مطلبه • ويكشف له بالمعرفة عن خفايا جهله • وهذا من الجائز القليل
الوقوع • لكن الناس قد اكثروا فيه الرواية • ودعت طوائف
كثيرة لهذا المنزلة • فاحدث الاكثار من ذلك انكارا واستبعادا فى
اكثر نفوس الخلق — واما اضطراب الجبل — فلا يلتفت الى روايته
وانما اضطرب الجبل بمكة والمدنية لمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه
وهذا باب اخر لا ينتفع به قائله مما نحن بسبيله • وقد بيناه فى
موضعه بدليله — قال القاضى ابوبكر رحمه الله — والذي قيدت عنه
(١) وعن غيره قبله سماعا ورواية ان النبوة ليست بصفة ذاتية للنبي
وانما هي عبارة عن قول الله تعالى بلغ الى خلقى كلامى وهذا مما لا يصل
اليه احد بعمل ولو كان اوفر من عمل الملائكة والادميين وانما
ياتى موهبة من الله وهذه الموهبة التي ليس لاحد فيها حيلة

عليه (١) دليل من الله وهي خرق العوائد وتأثيرات في العالم من فعل الله تشهد بصدق الرسول فلا يصح ان تكون شهادة فنوردها في غير محلها ولا تكون من فعل احد غير الناعل المطلق بالحقيقة وقد قيدنا عنه ان ذلك من قوى النفس بالتاثير في الاجسام العلوية وانما ذلك مما لا ينكر ان يكون للانبياء قال وانما ينكر اقتصارهم عليه ، ومنع قلب العصي ثعبانا . قال القاضي ابوبكر وانا اقول انى لا انكره ولكن اقول هذا النايث للنفوس وانما هو مما يخلقه الله بقدرته وارادته للنبى مع التحدى ليكون معجزة اومع عدم التحدى فيكون اية وكرامة فاما ان يجرى على حكم النفوس مجرى الاشياء المعتادة والتاثيرات المتعارفة فلا . وسترى ذلك في الاملاء على التهافت ان شاء الله تعالى . وبعد النظر الطويل الذى هذا اشارته خرجت عن هذا الغمرة التى اوجبها استرسال مثله فى هذه الالفاظ القلقة التى لاتصح ان تكون فيها اذن لاحد ليذكرها فضلا عن ان يحققها ويسطرها وهى اخلاط غالبية على الفوائد ؛ ومعانى حائدة عن سنن السداد

الموقف الثالث

قالت طائفة لا معلوم الا المحسوس المدرك من الحواس او ما يظهر في النفس ابتداء مما لارينة فيه كجواز الجائزات واستحالة المستحيالات ؛ فاما هذه المعارف التي تدعى ويتعرض لها بالاكْتِسَاب والفكر في تفاصيل طرقها حتى تحصل فليس وراءها طائل لاختلاطها وتشابهها وعدم الوصول اليها ومتى رايت نظارين (١) اتفقا اود ليلان وقف بك على منتهى . بل ترجع تارة وتشك اخرى ، وهذا مما لا يوثق به ولا سيما اذا تعارضت الطرق او حمل معنى على معنى ؛ الا ترى ان الحذاء او حذا نعلا على مثال ثم حذا على ذلك الثانى ثالثا وتمادي كذلك الى سبعة امثلة فانك اذا ركبت السابع على الاول لم تجده على مثاله ؛ وهذا نظر في المحسوسات ولكنه لما بعد اضطرب فكيف فيما يخرج عن (٢) الحس — عاصمة — قال القاضي ابوبكر قال لي ابو على الحضرمي بالشعر ليس هذا مذهبا لاحد وانما اورده

(١) لعل صواب العبارة كذا : نظرين اتبعا او دليلا

(٢) خ عن سبيل

المليحة من (١) الحزمية والباطنية تشكيكا وتشغييا والا فهم مقطوعون في اول كرة بالطريقة التي افصح بها العلماء تصانيفهم وتقول لهم بعد ذلك هذا الكلام تطردونه في الاعمال والعقائد او تقصرونه فان طردوه في الاعمال والتصرفات وطلب المعاش فكلها نظري لا ضرورة فيه قطعاً. او قصروا على الاعتقادات الباطنة قيل لهم الاعمال التي سلمتم جريبات النظر فيها انما ترتبط بالعقائد لانها تنعقد اولاً ثم ترتب بالنظر ، ثم يبرز العمل ما انعقد من ذلك واستقر ، فدل ذلك على صحة النظر ، فاذا صح النظر فيها لافادته دل على صحة النظر في الاعتقاد وحده — فان قيل — علمنا صحة النظر في الاعمال بالعثور على المقصود قطعاً او بالخطا فيه قطعاً . — قلنا — عنه جوابان — احدهما — ان الذي قدم النظر في الاعتقاد اولاً هو رجاء الحصول كذلك في مسئلتنا ثم يكون بعد ذلك العثور على شيء او عدمه (٢) نظر اخر (٣) الثاني انا كذلك نعلم العثور على المطلوب بالنظر في باب الاعتقاد او السقوط عنه وليس يلزم ان

(١) او الحزمية او الحزمية

(٢) (٣) بياض بالاصل

يستوى النظر (١) في الاعمال فان منها ما يبدو قريبا ومنها ما يبعد ومنها ما يقع العثور فيه على المطالب ومنها ما يخطئ ويعلم انه من تقصيره ومنها ما يشكل عليه فيتوقف ولا يعترض ذلك على اصل النظر في الاعمال بالابطال . - وقد يقال - اتم انما مقصدهم (٢) النظر حتى لا يكون ابتلاء ولا وضيفة ولا يقبل من نبي قول لانكم لم تقدروا على تحقيق ذلك فنبذتموه . فانت كما قلت ان حذر (٣) اذا نظرت في الكيمياء عمرك وقد سمعت بعدها او فقدتها فلم يقطعك ذلك عنها وكذلك انت الذي خرجت تطلب الكنوز في القبور وفي المواضع التي ترجوها فيها اولا ترجوها . وياتيك المنجم فيقول لك ربعت هذه البقرة فاقتضت الطوالع ان فيها مالا فعدوت تفنى قلبك وبدنك فيها ومالك . باي محسوس ادركت ذلك ، هل فعلته الا بنظر اصاه طمع . فكيف من ينظر اوليتك ومن اولك او اخرك ومن صورك وقدرك . وهذا الغرض لا تحقره فانا قد ردنا به عن الباطل من

(١) بها مش الاصل هكذا : (والعقائد كما لم يلزم ان يستوي النظر في الاعمال) ولعل الصواب في العقائد

(٢) لعل الاصل طرح النظر .

(٣) هكذا بالاصل وتامل .

اعتقد لا . وافهموا انكم اذا اردتم ان توقنوا مشككا وتدلوا حائرا
 لم يكن فيه شيء انجح من اخذه من بابه ، وهذا ميرة الله في ادلته مع
 اوليائه لاعدائه ، وسنة انبائه في انبائه ؛ - واما - مسألة الخداء فقد
 وقع الخطا فيها بتقصير الخداء في ضبط المثال اولا ، فلوارتبط لتحصيله
 ولم يعجل في تفصيله لكان السابع كالاول وقد جربنا فوجدنا لا ،
 ولكنه اذا حذا قصر فلا يظهر التقصير في الاول لحفائه ولا الثاني
 حتى اذا ائتلف الخطا على المخطى فيه جاء محسوسا ؛ كالجوهر فانه اذا
 ائتلف صار محسوسا ولو فككت الجسم لانتهى الى حد يفوت
 الالات حتى ينتهى الى حد يفوت الحس وهو معقول حتى ينتهى
 الى حد تقف التجربة عنده عقلا بالدليل حسب ما بيناه في كتب
 الاصول . - قال القاضي - وقد راي هؤلاء المحرومون ان النظر في
 علم الكم متفاوت في الجلا والحفا حتى لقد بينت لبعضهم في طريق
 الجدال تارة والارشاد اخرى اذا قال الرجل اثنان في اثنين كم يكون
 مجموعها فيقال اربعة فيعيد السؤال عليه في الاربعة فيقول له ستة عشر
 ثم يعيد حتى ينتهى الى اعداد مركبة يفتقر فيها الى اعمال الفكر
 وربما لم يصب فيها الا بعد لاي . وكذلك لو قال اربعة ونصف

ونصف وثمان ، ثم يقول له اربعة ونصف ونصف وثمان وربع ثلاثة اجزاء من ثمانية وتسعين راي نفسه في اشكال طويل ولكنه يبرز الوجه فيه التفكير ، واذا دخل في استخراج المعلوم من المجهول افتقر الى نظر (١) ويتركه حتي اذا احتاج الى قسمة حقل اودار علي فرائض مختلفة لجأ الى سوال واستغاث بغيره وبذل له ماله ونزل الى الدنية من الجهل والاستجداء الى من هو دونه فان كان ذلك محتاجا ظهر عليه بما له واشترى منه عمله وان كان غنيا ترفع عنه حتي يخضع له . - فان قال - هذا وان كان كذلك فانه يفضي الي يقين - قلنا له -- كذلك النظر في العقائد الدينية يفضي الي يقين - فان قال - فلما اختلف الخلق فيه - قلنا - ليس خلاف من خالف في الحق مبطلا له ، انما علينا ان نعرض عليه الفصول في الوصول حتي يقف على فائدة الدليل ، ونحن نقرب لكم - فنقول - ان معظم اختلاف النظر بالحقيقة في العقائد ليس لاختلافهم في القواعد ؛ وانما ذلك لعسر الطريق وكثرة العوائق وكلال الخاطر وضعف المنة وقلة الرغبة واحتقار الفائدة ، واحدى هذه تبطل الارض . وان الله

شاء ببالغ حكمته ونافذ قدرته ان يجعل الخلق فريقين كما بينا ويقسمهم
الى الهدى والضلال وقسم علمه فيهم الى الجلي الطريق والخفي
الطريق ووضعه درجات ليظهر شرف علمه ولينزل كل احد منه في
درجة حتي يتفاضل الخلق كما كتبه لهم واراده منهم والا فاي دليل
لم يوصل الي مدلول ، قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين . وبالنظر
في التفصيل ، يبين التحصيل ؛ وهذا كله مجاهدة على الدين
وحيل في هدم قواعد الشرائع من الاباحية والتعطيلية .

الموقف الرابع

قالت طائفة العلم صحيح ولا يخلق المرء به بل يستفيده بالتعلم والعلم
لا يحصل الا بالتعلم وهو طالب العلم ولا يصح ان يطلب الامن اهله
وليس له اهل الا المعصوم الذي لا يجوز عليه الخطا ولا يشك فيما يلقيه
وهو الامام المعصوم وفي كل وقت يتناقلون العلم من معصوم الي معصوم
ويتوارثونه من امام الي امام . - قال الامام ابو بكر - وهذا اول
بدعة لقيت في رحلتي فاني خرجت من بلادى على الفطرة فلم اثق في
طريقي الامن كان على سنن الهدى يغبطني تديني ويزيدني في يقيني
حتي بلغت بلاد هذه الطائفة وزرت بها قبر عمرو ففجئتني من

اقوالهم ماقاله (١) عمار المذكور عمرو

اذا المرء لم يترك طعاما يحبه ❀ ولم يته قلبا غاويا حيث ينما
 فلا بد ان يلقى له الدهر سبة ❀ اذا ذكرت امثالها تملأ القما
 كلمات غرارة خاتمتها نبذ الشريعة والحقيقة والاسترسال على الاباحة .
 فلو فجيئتني بدعة مشتبهة كالقول : نناق القران ونفي الصفات
 والارجاء لم آمن باغواء الشيطان وانتدابه ، ان يولجني في بابيه ؛ فلما
 رايت هذه الحماقات اقامت على حذر . - عاصمة - وقلت الحمد لله الذي
 اعذر وانذر ؛ وثبت وبصر ، وهذه ارض ينبغي ان يشد الي
 الانتصام فيها الحزام ، ويفض عن غرر هذه العورات الحتام ، وترددت
 فيها على اقوام لم يكن عندهم الا العقائد السليمة (٢) مع مقدمات من
 الادلة لتحصين العقائد عن صورة شبهة فلبثت فيهم ثمانية اشهر لم
 يبق باطل الاسمعة ، ولا كفر الاشوفهت به ووعيته ؛ تكاد السموات
 يتقطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ، ولم يدعوا للرحمن
 ولدا ، ولكنهم جاءوا باعظم من ذلك كفرا وعندا مع الهماك في

(١) في نسخة زيادة في قبل عمار وتأمل التركيب

(٢) هذا اقرب ما يظهر من الاصل ، وهي غير ماسمعة مما ذكره بعد

الكفر واستهتار ، وأنحلال عن ربقة الديانة والمروءة والحشمة وخلع العذار ، فسبحان الممهل لهم من ملك جبار ؛ ثم خرجت عنهم الى الشام فوردت البيت المقدس طهره الله فالفيت فيه ثمانية وعشرين حلقة ومدرستان احدهما للشافعية باب الاسباط والاخرى للحنفية بازاء قمامة تعرف بمدرسة ابي عقبة وكانت فيه من رؤساء العلماء ورؤس المبتدعة على اختلاف طبقاتهم كثير ، ومن احبار اليهود والنصارى والسمرية (١) جل لا تحصى فاوفيت على المقصد من طريقه ، ووعيت العلم بتحقيقه ونظرت الى كل طائفة بناظر (٢) رأسها وناظرتها بحضرة شيخنا ابي بكر الفهرى رحمه الله وغيره من مشيخة اهل السنة ثم نزلت الى الساحل لاغراض نصصيتها في كتاب ترتيب الرحلة ، وكانت الساحل المذكور بملاوء من هذه اللحل الملحدية ؛ والمذاهب الباطنية والامامية فطوفت في مدن الساحل لاجل تلك الاغراض الدينية فحوا من خمسة اشهر ونزات عكا منها . وكان داس الامامية بها حينئذ ابو الفتح المكي وبها من اهل السنة شيخ يقال

(١) او السحرة ؟

(٢) هذا معدوم في الاصل ونبه على وجوده في نسخة بالها مش

له الفقيه الديبقي فاجتمعت بابي الفتح في مجلسه وانا ابن العشرين فلما
 رأني صغير السن كثير العلم غزير القول مصيب القصد منطقاً (١) منذ
 لقا متدرباً ولع بي . وفيهم لعمر الله وان كانوا على مذهب باطل
 انطباع وانصاف ، واقرار للرجل بفضلها اذا ظهر واعتراف ، فكان
 لا يفارقني : ويسارعني في السؤال والجدال ولا يفترني ، فتكلمت على
 ابطال مذهب الامامية والقول بالتعليم من الامام المعصوم بما يطول
 ذكره في هذا العصب . — ومن جملة كلامنا فيها — انهم يقولون ان
 لله في عباده اسراراً وله فيهم احكام والعقل لا يستقل بدركها ولا يقوى
 على نيل الحقيقة من رين ارتباك الشبه فلا يعرف ذلك الا من قبل
 امام معصوم . وهذا مما ينبغي ان يعلموا انه راجع الى القول بالحلول
 وانما عرجوا عنه ليعبدوا منه وهم عليه محققون واليه راجعون ،
 — قلت لهم — بعد ان فهمت امرهم وتحققت مقصدهم ووعيت عن
 بعضهم انه يوردها بعبارة اخرى فيقول ان الله امر بالحق وعلم الصدق
 علي يد مبلغ معصوم وهو النبي والا يكن الامر على هذا فقد زلنا
 عن درج الحق الى الباطل وعن منزلة اليقين الى الشك وعن حال

الثقة الى الارتياح -- فقلت -- امات الامام المبلغ عن الله لاول ما امره بالتبليغ ام هو مخلد فقال لي مات ، وليس هذا بمذهبه ، ولكنه يسير معي به ؛ وانا حقيقة مذهبه ان الله سبحانه يحل في كل معصوم فيبلغ عنه فالمبلغ هو الله لكن بواسطه حلوه في آدمي ؛ فقلت هل خلفه احد قال خلفه وصيه علي ، قات له فهل قضى بالحق وانفذا ام لا قال لم يتمكن لغلبة المعاند . قلت فهل انفذا حين قدر ، قال منعه التقية ولم تفارقه من يوم العهد الى يوم الموت الا انها كانت تقوى تارة وتضعف اخرى فلما ولي بقيت من التقية بقية فلم يمكن الا المداواة للاصحاب ، لنلا يفتح عليه من الاختلال ابواب . -- قلت له -- وهذه المداواة هي حق ام لا قال باطل اباحتها الضرورة -- قلت -- فاین العصمة ، قال انما تتعين العصمة مع القدرة -- قلت -- فمن بعده الى الان وجدوا القدرة ام لا ، قال لا . -- قلت -- فالدين مهمل والحق مجهول مخمل . قال سيظهر -- قلت -- بمن ، قال بالامام المنتظر -- قلت -- لعله الدجال ؛ قال (١) فما بقي احد الا ضحك وقطعنا الكلام على غرض مني لاني خفت ان احمه فينتقم مني في بلاده -- قلت -- ومن اعجب

ما في هذا الكلام ان الامام اذا او عز الى من لاقدرة له فقد ضيع فلا عصمة له ، واعجب منه ان الباري على مذهبه اذا علم انه لا علم الا بالمعلم وارسله عاجزا مضموفا لا يمكنه ان يقول ما علم فكانه ما علمه وما بعثه وهذا عجز منه وجور لاسيما على مذهبهم فراوا من الكلام ما لم يمكنهم ان يقوموا معه بقائمة . وخرج البحث وشاع به الحديث فاراد رئيس الباطنية المشهور (١) بالاسما عليه ان يجتمع معي فجاءني ابو الفتح الى مجلس الفقيه الديبقي وقال لي ان رئيس الاسما عليه رغب في الكلام معك فقلت انا مشغول فقال هاهنا موضع قريب قد جاء اليه وهو محرس الطبرانيين مسجد في قصر على البحر شامخ البناء مشيد البناء ، وتحامل على فقمت مابين حشمة وحسبة . وللمحرس المذكور رائعة فقطعتها ودخلنا قصر المحرس وصعدنا إليه فوجدتهم قد اجتمعوا في زاوية المحوس الشرقية فرايت الذكر في وجوههم فسلمت ثم قصدت جهة المحراب فركعت عنده ركعتين لاعمل لي فيه (٢) الا تدبير القول معهم والخلاص منهم فلمعري (٣) الذي قضى

(١) الصواب المشهورة

(٢) لعله فيها

(٣) الصواب فلمعري

علي بالاقبال الى ان احديثكم ان كنت رجوت الخروج من ذلك المجلس
ابداً . ولقد كنت انظر الي البحر يضرب في حجارة سود محددة تحت
طاقات المحرس فاقول هذا قبري الذي يقذفونني فيه ، وانشد في سري
الا هل الى الدنيا معاد وهل لنا سوى البحر قبرا وسوى الموت اكفائ
وهي كانت الشدة الرابعة من شدائد عمري التي اتقذني الله منها ،
فلما سلمت استقبلتهم وسالتهم عن احوالهم عادة ؛ وقد اجتمعت الى
نفسى وقلت اهون ميتة واشرفها في اكرم موطن اناضل فيه عن
الدين واكون قيم المسلمين . فقال لي ابو الفتح و اشار الى فتى حسن
الوجه هذا سيد الطائفة ومقدمها فدعوت له وسكنت فبداني وبدرني
وقال قد بلغتني مجالسك ، وانتهى الى كلامك ، وانت تقول قال الله
وفعل الله ؛ فاي شيء هو الله الذي تدعو اليه ، وتكشر من ذكره ،
اخبرني وبين لي واخرج عن هذه المخرقة التي جازت لك على هذه
الطائفة الضعيفة ، وقد احتد نفسا ، واحتدم جلدا ، وامتلا حنقا
وغیظا ، وجثا على ركبته ، كما عمت بقوله (١) ولم اشك انه لا يتم
الكلام الا وقد اختطفني اصحابه قبل الجواب ، وعمدت بتوفيق الله

الى كنانتي واستخرجت منها سهما صائبا كان من عددي فضربت به حبة قلبه فسقط لليدين وللفم؛ ولم يبق له كلمة تجرى على القلم، — وشرح ذلك — ان الامام ابا بكر احمد بن ابراهيم الاسماعيلي الحافظ الجرجاني قال كنت ابغض الناس فيمن يقرأ علم الكلام . وذلك لانه كان معرقا (١) في علم الحديث (٢) عرفا فيه . قال فدخلت يوما الى فعمدت الى جامعها فدخلته واستقبلت سارية اركع عندها واذا فيما يحاورني رجالان وهما يتذاكران علم الكلام فتطيرت بهما وقلت اول ما دخلت هذه البلد سمعت فيها ما اكره وجعلت اخفف الصلاة حتى ابعد منهما فعلق بي من قولهما ان هؤلاء الباطنية اسخف خلق الله عقولا ، وينبغي للنحرير ان لا يتكلف لهم دليلا ، ولكن يطالبهم بلم ؟ فلا قبل لهم بها ولا معدل معهم عنها وسلمت مسرعا وشاء الله بعد ذلك ان يكون رجل من الاسماعلية ولفهم القرامطة يلقون الامر الي معرفتهم (٣) فكشف القناع في الاتحاد وجعل يكتب

(١) اومفرقا

(٢) كذا بالاصل ولعله علما

(٣) كذا بالاصل

وشمكير الامير يدعوه الي الاتحاد ويقول له اني لاقبل دين محمد
الا بالمعجزة فان اظهرتموها رجعنا اليكم وانجرت الحال الي ان اختاروا
رجلا منهم جلدا له دهاء ومنة فورد علي وشمكير رسوله فقال له
انك امير ومن شان الامراء والملوك ان تتخصص عن العوام ولا
تقلد في عقيدتها وانما حقهم ان يفحصوا عن البراهين فقال له وشمكير
اختروا (١) رجلا من اهل مملكتي ولا انتدب للمناظرة بنفسى فيناظره
بين يدي فقال له الملحد اخترت ابا بكر الاسماعيلي لعلمه بانه ليس
من اهل علم التوحيد وانما كان اماما في الحديث ولكن كان وشمكير
يعتقد فيه انه اعلم اهل الارض بانواع العلوم فقال له وشمكير تيك
(٢) مرد اى رجل جيد فارسل الملك الى ابي بكر الاسماعيلي
بجرجان ليرحل اليه الى غزنة حتى يناظر الاسماعيلي لما كان يسمع من
ذكره وامامته في الحديث والملك بعاميته يعتقد انه قائم على كل علم
وانه ليس فوقه احد ولا وراءه مطلب فلم يبق احد من العلماء الا يئس
من الدين وقال سبهت الاسماعيلي الكافر مذهبنا؛ الاسماعيلي الحافظ نسبنا،

(١) الصواب اختارا واختاروا

(٢) كلمة فارسية

ولم يمكنهم ان يقولوا للملك لا علم عندنا لئلا يتهمهم بالحسد فلجؤوا
الى الله ان ينصر دينه وعولوا عليه . -- قال الاسماعيلي -- فلما
جاءني البريد واخذت في المسير وتدانت الدار قلت انا لله وكيف
انظر فيما لا ادري واتكلم بما لا اعلم هل اتبرا الى الملك او لا وارشده
الي من يحسن الجدل ويعلم حجج الله في خلقه على صحة دينه وندمت
على ما سلف من عمري ولم انظر في شيء من علم الكلام ثم اذكرني
الله ما كنت سمعته من كلام الرجلين بجامع الري فقويت نفسي وعولت
على ان اجعل ذلك عمدي وبلغت البلد وتلقاني الملك واستراح ثم
جمع الخلق وحضر الاسماعيلي المذهب مع الاسماعيلي النسب وقال
الملك للاسماعيلي الباطني اذكر قولك يسمعه الامام فلما اخذ في ذكره
واستوفاه قال له الاسماعيلي الحافظ لم . فلما سمعها الملحد قال هذا
امام قد عرف مقالتي فبهت فقال له الملك « انا شمنسد ورخين »
(١) ورجع الي اصحابه وهو يشير الى الاسماعيلي وهو يقول « اجو
مردد انشمند » (٢) وروى انه قال « باكشخان خوستي كه » (٣) فرد
مناظره وطرده . -- قال الاسماعيلي -- وخرجت من ذلك اليوم

وامرت بقراءة علم الكلام ، وتحققت انه عمدة من عمد الاسلام .
 — قال القاضي ابوبكر — وحين انتهى بي الامر الى المقام المتقدم
 قلت ان كان في الاجل شيء فهذا مشبه بيوم الاسماعيلى فرددت وجهى
 الى ابي الفتح الامامى وقلت له لقد كنت فى لاشيء ولو خرجت
 من عما قبل ان اجتمع بهذا العالم مارحلت الى غربنا عن نادرة الايام
 انظر الى حذقه بالكلام ومعرفة قال لي اى شيء هو الله ولا يسئل
 يتمثل هذه الامثلة ولكن بقيت هاهنا نكتة لا بد ان نأخذها اليوم عنه
 وتكون ضيافتنا عنده . لم قلت اى شيء هو الله فاقصرت من
 حروف الاستفهام على اى وتركت الهمزة وهل وكيف واين وكم وما
 وهى ايضا من ثوانى حروف الاستفهام وعدلت عن الام من حروفه
 فهذا سؤال ثان عن حكمة ثانية ، ولاى معنيان فى الاستفهام فإى
 المعنيين قصدت بها ولم سالت بحرف يحتمل (١) ولم تسئل بحرف مصرح
 (٢) بمعنى واحد هل ذلك وقع منك بغير علم ولا تحصيل ولا قصد
 لحكمة ام لحكمة فينبها لنا . فما هو الا ان افتتحت هذا الكلام
 واسحنفرت (٣) فيه وهو يتغير حتى اصفر اخرا كما اسود اولاً من

الحقد ومات قبل ان يموت ورجع احد اصحابه الذي كان عن يمينه الى آخر كان الى جنبه وقال له والله ما هذا الصبي الا بحر زاخر في العلم مارا ايضا مثله قط وهم ماراوا قط احدا به رمق لان الدولة لهم . ولولا مكاننا من رفعة الدولة ملك الشام فان والي عكا كان يجكنا (١) لانا جلبنا اليه كتابه بان يدالغ في برنا وينتهى الى الغاية في محارمتنا (٢) ما خلصت منهم في العادة ابدا وحين سمعت تلك الكلمة من اعظامي طلعت ما امامي وقلت هذا مجلس عظيم وكلام طويل يبين (٣) انه يفتقر الى تفصيل ولكن نتواعد الى يوم اخر وقت وخرجت فقاموا كلهم معي وقالوا لي لا بد ان تبقى قليلا فقلت لا واسرعت حافيا فلما جئت الدرابزين لم انزل على الدرج ووثبت في وسط القصر وخرجت على الباب الى الزائقة اعدو حتي اشرفت على قارعة الطريق وبقيت هنالك مبشرا نفسي بالحياة حتى خرجوا بعدى واخرجوا الى لالكتي (٤) فلبستها ومشيت معهم متضاحا ووعدوني بمجاس فلم اف لهم الى ان خرجت عنهم وخفت وفاتي في وفائي وفي ترتيب

(١) لعله يحترمنا (٢) لعله في محارمتنا (٣) لعله نين

(٤) شيء كالنعل

الرحلة بقية الحديث — قال القاضي ابو بكر — وقد كان قال لي اصحابنا النصيرية (١) بالمسجد الاقصى ان شيخنا ابا الفتح نصر ابن ابراهيم المقدسي اجتمع برئيس من الشيعة فشا اليه فساد الخلق وان هذا الامر لا يصح الا بخروج الامام المنتظر فقال له نصر هل لخروجه ميقات معلوم ام لا، قال الشيعي نعم لخروجه ميقات، قال له ابو الفتح نصر معلوم هو او مجهول قال الشيعي معلوم؛ قال نصر ومتى يكون، قال له الشيعي اذا فسد الخلق قال له ابو الفتح نصر فلم تحبسونه عن الخلق وقد فسد جميعهم الا انتم فلو فسدتم لخرج فاسرعوا به واطلقوه من سجنه او نحو هذا وعجلوا بالرجوع الى مذهبنا فبهت. واطن انه سمعها من شيخه ابي الفتح سليمان بن ايوب الرازي الامام الزاهد. — تكلمة — وقولهم ان العقول تقصر فلا بد من معلم. صحيح. وقولهم ان المعلم يكون معصوما، صحيح. ولكن هذا المعلم الاول الواسطة بين الله وبين الخلق، ويجوز ان يكون واحدا ويجوز ان يكون العا وقد بعث الله واحدا واثنين وثلاثا فاما من ياخذ عن هذه الوسائط فلا يلزم ان يكون معصوما، فما دليلكم عليه ولا

(١) لعله النصيرية نسبة الى ابي الفتح لانهم تلامذته

كلام لهم بعد هذا يحكى . -- قال القاضى ابوبكر - وجدت
مجالس سوى هذا يانها فى موضعها . منها انه لما شاع فى البلدة المذكورة
ذكرى ، واستفاض امرى ، وتفاقم عليهم خطبى ، وكان بها امير من
امراء الشيعة له باع فى الجردال ، ويميل مع التشيع الى الاعتزال ،
ودعا الى البدعة والضلال ؛ فلما سمع بذكرى ترصد الاجتماع بي
فلم يبق الا يوم التبريز للخروج الى طبرية فنزل فى رحلي على في
كبكبته فجزعنا لعمر الله حين حل بنا لان الامر لهم والدولة دولتهم
والبلاد بلادهم ؛ فلما استوى به الدست فاتخذنا بالقول وفي القوم بشهادة
الله وان خالفونا فى العقيدة بر فى اللقاء وحلاوة فى المنطق واحتمال
كثير . فقال لي باغنى انك جادلت اصحابنا هاهنا وسمعت بانفصالك
فاردت لقاءك لاعلم ما عندك واطلع قدرك . فتراجعت الى نفسي
ووطنها على ما عسى ان يلقا (١) من المكروه فى ذات الله . وكان
يكلمنى بكلام عذب والنعراء على وجناته باديه . فقلت له قد كان
بعض ما بلغ الامير وهو مشكور على اهتباله وبره ، ومثله عرف لكل
احد مبلغ قدره ، ولو ارسل الى مشيت اليه مبادرا متشرفا بلقائه

مستسعدا برؤيته فقال مادليلك على ان الله تعالى عالم بعلم قوي قلبي
وحضر لبي واسحتفرت وقلت مثل الامير في منصبه وفهمه لا يرضا
بهذا فقال لي وما هو قلت حكمت علي بانى اقول ان الله عالم بعلم
ولم يسمع [١] ذلك مني ولا شهدت بذلك عندك علي (٢) ولو سمعته
فمن ادب الجدل السؤال اولا عن المذهب ثم بعد ذلك عن الدليل على
صحته . فقال لي قد علمت بالسماع المتواتر انك اشعري . قلت هذان
وهما احدهما ان الخبر المتواتر لا يوجب عندك شيئا وهو مذهب
الامامية . الثاني انك اذا سمعت اني اشعري كيف حكمت بانى مقلد
له في جميع قوله وهل انا الاناظر من النظار ادين بالاختيار واتصرف
في الاصول بمقتضى الدليل ، فبان سمعت انى ناظرت فى مسائل على
مذهب الاشعري حكمت فيما لم تسمع بها سمعت ، اي نوع هذا
من النظر ، مثلك لا يرضى به فى جلالة منصبه فصرف وجهة الى ابي
الفتح شيخ الامامية بها وهو كان جليسي ومناظري ايام كوني بها
فى كل وقت فسارره فاخذت من تحريك شفتيه انه قال له هذا صبي

(٢) او تسمع

(٢) اي بينة

—————٥٥٥٥—٥٥٥٥—٥٥٥٥—٥٥٥٥—————

لا يطاق فلما فهمتها استرسلت استرسالا، وافضت في الكلام ادلا؛
 فقلت وكان من حق الامير ان يقبل على مسائله المختصة به ولا يسألني
 اولا عن مسألة ليست له وانما هي من مسائل المعتز له فاردت ان
 تجادلني بكلامهم وان تقاومني بحجاجهم وترك ما يختص بك دونهم
 كمسألة عصمة الامام وكونه المرجوع اليه والمحكوم في الدين بقوله فلما
 بدأت بها واظهرت عليك فيها وفخرت على قومك بالكلام عليها. (١)
 فلما رى الشدة في الحدة وقد تحلقت علينا الاجناد والعسكرية
 (٢) وستوفت القافلة وخاف الظهور عليه حل حبة الجدال ولاطف
 في الكلام والاسترسال، ودعا مقدم القافلة فقال له انظر من معك
 واقدر قدر صاحبك ولا تصل الي الاب بكتابه شاكرا والا فلا ترجع
 الى البلد فشكرنا ودعونا له وقام فحسن (٣) ركابه، وخاب اياه؛
 وانصرف في كبكبه؛ وقد عصمنا الله من سطوته، وخرجت عن
 عكا الى طبرية على حوزان والبنينينة (٤) وعدلت عن بصرى الى

(١) هذا ماظهر من البياض

(٢) اعل الاصل واستوقف

(٣) و (٤) كذا بالاصل

دمشق لوجود بينها في كتاب ترتيب الرحلة . فمن هناك اشرق (١)
الحق بنورلا واتصل المسير الى دار السلام فالفيت بها من رؤساء العلم
ورؤسها واشياخ الملة واحبارها مايملا الخافقين فقلت هذه ضالتي
التي كنت انشد وكان فيها قاضيان عظيمان دينيا في الظاهر ابو اليمن
الحنفي وابو سعد الهروي فجالستهما وسمعت كلامهما واذا بهما على
هذا المذهب واحدهما وان كان يلوح فابو سعد كان يصرح ولم يكن
يظن عندي من مذهب القوم واغراضهم علما . وفشا ذلك في خراسان
من لدن موت ابن الفتح الملك العادل وقتل التاجيه لخواجا بزرگ (٢)
المقلب بنظام الملك وزير ابي الفتح (٣) تاج الملك وزير خاتون
باطنيا وتحزبت الباطنية الى قلعة اصبهان وثاروا في الجبل حتى بلغت
همدان ودعوا الى الجدال فارسل الملك الى الغزالي فصف له كتابا
سماه « حجة الحق » في الرد على الباطنية بالعجمية وكلفه الخليفة ان
يضع له في ذلك شيئا فارسل اليه كتابا سماه « فضائح الباطنية »

(١) خ عاينت

(٢) هذا كلمات العجمية

(٣) بياض لعله وكان

وفضائل المستظهرية في كشف اعوارهم وهتك استارهم وتبيين عوارهم،
برع فيه وان كان القاضي ابوبكر قد سبقه اليه ولكن اجاد هذا في
القريب فنوظروا في ذلك ونزلوا الاطائفة بددهم الجبل حتي استنزلوا
بالحيل وتفرقوا في البلاد اياذي سبا ووقعت الى العراق منهم طائفة
فلقطوا بها لقط الطائر حب السمس وعقد لهم مجلس وقرروا فيه
فمنهم من انكر ومنهم من اعترف واستمر ومنهم من تاب واستغفر
فقال الشافعية تقبل توبتهم وقال الحنفية لا تقبل لهم توبة وجرى في
ذلك كلام بين ابي بكر الشاشي الشافعي وبين الشريف ابي طاب
الزينبي الحنفي ورحل المنشور بصورة المجلس الي الخليفة احمد المستظهر
يا الله رحمة الله فوقهم يقتلون دون قبول توبتهم حسبما راه امام دار
الهجرة مالك فانهم اخبث الطوائف مقالة واسخفها حجة ودلالة اليس
شاعرهم الذي يقول :

حل برقادة المسيح ❀ حل بها آدم ونوح

حل بها الله ذوى البرايا ❀ فكل خاق سواه ريح

وهو القائل مخبرا عن صاحب مظلته :

امديرها من حيث دار الظل ما ❀ زاحمت قصت ركابه جبريلا

وماذا يستبقى من هؤلاء . فكانت اول مسألة حكم فيها بمذهب مالك بمدينة السلام بعد احوال واعوام وكانت بعدها اخرى نثبتها في موضعها . وهذا الذي احتج به الخليفة عليهم هو الذي اشرت به عنه من قولهم ان الله يحل في كل رسول وامام ويشافه الخاق وعيسى من محاله ومحمد وعلى عندهم وكل علوي مثلهم يحل الا لالا فيهم الى سخافات وراءها تهتكات لا ينبغي ذكرها ولولا ان الله سبحانه ذكر المقالة الفاسدة تحذيرا عنها واقامة للدليل عليها ما قلنا هذا ابدا ولا رضينا بذكره . وما ضل من اقتدى ولا قصر من ناضل عن دين الله بالهدى . ولقد اخبرني من ائقته غير واحد ان قاضي همدان كان باطنيا وانه كان ان سمع عن سني قال لباطني ارفعه في الدعوة فاذا رفعه اليه ودخل داره امر بقتله ورمي في مغوالة فطاب ذلك الرجل (١) له خبر ابدا وفشت الغيلة فيهم حتى قام شيخنا ابو المظفر ابن رجا المعداني الشافعي خطيب اصفهان على المنبر وخطب مؤيد الدين ومحرشا للموحدين ومستجيذا لهم على ما يفعل باهل السنة من المومنين وقال في خطبته مالكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون وسل سيفه على المنبر ونزل

(١) يداض بالاصل لعله فلا يوجد

————— ٥٥٥٥ ————— ٥٥٥٥ ————— ٥٥٥٥ ————— ٥٥٥٥ —————

فقتل للباطنية فما بقي منهم في ذلك اليوم باصفهان الامن خفي امره
او اخفى نفسه وطهرها الله منهم الى انكفائي عن العراق — قال القاضي
ابوبكر — وكان قد ظهرت لهم في القراطيس الملقاة عندهم جملة ارتفع
الى الخليفة بعضها من مقالاتهم قرطاس فيه ان الحق مطلوب لكل
عاقل وطريق تحصيله ابدا معلوم وهو انه رفيق الوحدة والباطل
حيث الكثرة وهذا ينقلب عليهم فيقال لهم الحق حيث الكثرة
والباطل حيث الوحدة ويد الله مع الجماعة والحق ما كثرت الشهود
عليه وبعد ان تقلبه عليهم لا يكون لهم كلام به احتفال اذ ما كان
(١) اوله ليس له ثبات فاخره شر من اوله . — جواب آخر — يقال
لهم يم عرفتم ان الحق في الوحدة ابقول الامام ام بالتجربة او بالنظر
وليس لهم عن هذا جواب به احتفال وكنا نورد الا اننا كرهنا
التطويل ورجونا (٢) عليكم به . — جواب آخر — هذا يبطل كل
حقيقة فان قائلنا او قال ان السموات سبع وقال آخر ان السموات
واحدة لقلنا يلزمكم ان تقولوا ان السماء واحدة لان الحق في الوحدة

(١) هذا اقرب مظهر من البياض

(٢) كذا بالاصل

وكذلك لو قال قائل الامام واحد هو الحق فمن قال انهم ائمة فهو باطل لان الحق في الوحدة وهذا مسكتة لهم وقد جربناها — قرطاس — قالوا انما ينتقل الى البدل مع عدم الاصل كالتيتم والنظر بدل من الخبر فان كلام الله هو الاصل فهو خلق الانسان وعلمه البيان والامام هو خليفته ومع وجود الخليفة الذي يبين بقوله لا ينتقل الى النظر — قال القاضي ابوبكر — هذه كلمات خبيثة ملفقة من جزء عشر العشر فيه طيب لكنه قرن الى باطل خبيث مبطل للكل . كلام الله هو الكل ولكن لا يبلغ الى كلام الله الا واسطته . وقد قال الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني ان العاقل لا يصح ان يدرك بذاته كل العلوم حتى يبعث الله من يرشده وهو (١) وقولهم ان خليفة الله هو الذي يبلغ عنه (٢) الخليفة هو النبي الذي سن ثم استأثر الله به ولا معصوم بعده لكن العلم في ذاته معصوم فاذا اخذ عن المعصوم قطعا فحسن وان اخذ عن غير معصوم وعيته وسبرته بالقانون الذي بينه المعصوم وافرغته في قالب العلم المعصوم فهو بنبيك عن قراره ومنته بذلك على

(١) بياض واعلم المعصوم

(٢) بياض قدر كلمة

غراراً فلا يصح لهم هذا الكلام بحال لاسيما وهم يقولون ان المعصوم غائب (١) قد بث الدعاة يقال لهم ومعلمنا محمد قد بث الدعاة فان قيل نحن اذا اختلفنا في شيء رددناه الى امامنا المعصوم الذي اكمل لنا التعليم وقال لنا عن مرسله العظيم اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً ويقال لهم ولعل معلمكم الغائب قد مات وليس لهم بعد هذا الا (٢) ما يحكى . - قاصمة - وكان هذا الداء في الاسلام لوجهين احدهما ان الجوس هم الذين اقاموا بين اظهر الاسلام المسلمين [٣] بالجزية وعندهم هذا العقد الخيىث فهم بالمنافقة للمسلمين يثبتونه فيهم فيشككون (٤) بتشكيكهم ويريدون (٥) اليهم كما ان لمقام النصارى بين اظهرنا ترددت نحلتهم عندنا وعلمناها وكانوا مغمورين بالحق مقهورين الى ان انشا الله بنى

(١) بياض لعله وهو

(٢) لعل الصواب حذف الا

(٣) لعل الاصل والمسلمين

(٤) لعله فيتشككون

(٥) كذا بالاصل

برمك يحيى بن خالد ومحمد بن خالد فملك السوالي امر الدين اباهما
وجعل الخلافة بيديهما فكان محمد بن خالد حاجبها ثم كان وزيرها
وصاحب امرها كله يحيى بن خالد ثم ابنه جعفر بن يحيى وكانوا باطنية
يعتقدون راي الفلاسفة فكادوا الدين واحيوا المجوسية واتخذوا
البخور في المساجد وانما كانت تطيب بالخلوق فزادوا التجمير ليعمروها
بالنار منقولة حتى يجعلوها عند الانس بها ثابتة وتمكن العجم من
افساد دولة العرب والملحدة من الملة والعبيد من الاحرار وقد كانوا
يضمرون لنا حقدًا ويمتطرون (١) افسادها وقتا فانتقوا كل ضيق
العطن مخلوع الرسن واطهروا الاراء الفلسفية وجلبوا الناس الى
انفسهم بعظيم العطاء وسعة الامصار والتمكن من الملك والادناء من
مقار العز فنقمت بعد كسادها وعادت بعد نفاذها ولحظوا الخلق بعين
التنقير لياخذوا من يوافقهم على هذا النضير (٢) فاعتاموا منهم من لا يهدي
ولا يهتدى . عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه . فكل قرين بالمقارن
يقتدى . وعقدوا مجلسا للضلال باسم الهدى ونصبوا على الاسلام
لذلك موعدا يحضر فيه من ينتحل علم الكلام من اصحابهم المنتدبين

(١) اعلمه وينتظرون (٢) خ النكير

للطعن على الاسلام اولى عقائد فاسدة ونحل مضاللة وكان من رؤس
مجالسهم ومن اختاروا للعبث على ضلالتهم اربعة عشر ثمانية من
المعتزلة ابو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف وابراهيم بن سيار النظام
البصريان وبشر بن المعتمر البغدادي وجعفر بن حرب وجعفر ابن بشر
وثمامة بن اشرس ومنهم الصباح بن الوليد المرجي شيخهم في زمانه
ومنهم ابو ملك الحضرمي شيخ الشروية ومن الامامية هشام بن
الحكم الحرار (١) الكوفي وصاحبه السكاك وصاحباه علي بن مقسم
وعلي بن منصور وابراهيم بن ملك رجل من اهل البصرة يتفقه في
ظاهر امره ويصر في الباطل (٢) علي امر عظيم والموبدان قاضي
المجوس وكان هذا الموبدان المذكور خالصة القوم وعيبتهم وشعارهم
ومن ذكرنا لا سوا لا دثارهم . ولقد تكلموا في بعض مجالسهم في العشق
فقالوا الفاظا صاغوها على مناقضة الشريعة حتى قال ابو الهذيل فيه انه
يختتم على النواظر ويطبّع على الافئدة ويتعدى في الاجساد ويسرعه [٣]
في الاكباد وصاحبه منصرف الظنون متفق (٤) الاوهام وقال بقتيةهم
نحوه وقال الموبدان انه نار تاجع في تامور القلب بين الجوانح واللب

(١) او الحرار (٢) لعله الباطن (٣) كذا بالاصل (٤) لعله متفرق

فيوجد بوجود الاشخاص والتحام الاجرام لان منشأه عن حركات
حيوانية وعال هيولانية وتصرفه الاستقصات لانها تولد والنجوم
تنتجه والاصرار العلوية تصوره وهو من كرم العناصر وتداعى الضمائر
واتفاق الاهواء ولا يكون الا من اعتدال الصورة وذكا، الفطنة
وصفاء المزاج واستواء التركيب والتأليف . — عاصمة — قال القاضي
ابوبكر فهاتم اولاء ترون ما ياتون به من القحة والتهتك وتقتحمون
(١) في البطالات من الترهات والانهماك في الضلالات . ويقال لهم
ما عارضهم به من قابل فاسدا بفاسد وهو باب من الجدل وطريق من
طرق الحق في مقابلة الفاسد بالفاسد وهو باب من النظر قاطع بالخصم
قاصم لظهوره . انكم لم تعلموا للعشق حقيقة انما هو معنى يهوى على
مهبط الصب من قيض الغرب (٢) فينزل بلاعج الحب من قيض
القلب فيذهل القلب ويعظم الكرب فقربه البعد وحياته القرب ليس
من مزاج الاسطقس ولا من مملكته ولا من تائر الكواكب ولا
افلاكها وانما هو علوي على العلويات بريئ من الهوليات ومعنى اذا
وقع احرق اقطار السموات فنزل على غير ميقات لا يتعلق بالاشباح ولا

يمتريج بالحركات ولا يدكه عالم الحواس ولا يعد في تصرفات الامزجة
ولا يلحقه تاليف لانه فرد لفرد يحرك الا فلاك ولا تحركه
ازمر (١) على البوق ان صاحوا بشبوط و قابل القوم تخليطا بتخليط
صوت بصوت وخير الصوت افهمه فاسمع نها هو افراط بتفريط
وقد ذكر الاستاذ المعظم ابو المظفر طاهر بن محمد الاسفرايني شاهفور
ان هذه المشيخة الركيكة اجتمعوا مع نفر من اصحابهم في مجلس لهم
للخوض في الباطل وتكلموا في مسألة ما يصح وصف الباري بالقدرة
عليه فزعمت ان الظلم مقدور لله لكنه لا يفعله لان وقوعه ماله يدل
على حدوثه فليلهم ما دل على حدوثه لم يوصف بالقدرة عليه كالموت
والحركات . فقال النظام لا يقدر الله على ما لو وقع منه كان ظلما
وجورا والمعنى فيه انه لو قدر عليه لم يدر لعله قد جار او كذب
غيبا مضى او يحور ويكذب في المستقبل او قد جار الآن في
بعض اطراف الارض ولم يكن لنا من جورة وكذبه امان الا
من جهة حسن الظن به فاما دليلي يومئذ من وقوع ذلك منه فلا
سبيل اليه . فقال له الاسواري يانزمك على هذا الاعتلال ان لا

يكون قادراً على ما علم انه لا يفعله واخبرنا به لا يفعله لانه لو قدر على ذلك لم نامن وقوعه منه فيما مضى او في المستقبل . قال له النظام هذا لازم فما قولك فيه فقال انا اسوي بينهما فاقول انه لا يقدر على فعل ما علم انه لا يفعله ولا على ما لو فعله لكان ظالماً منه . فقال النظام للاسوارى قولك هذا الحاد وكهر . وقال ابو الهذيل للاسوارى ما تقول في فرعون ومن علم الله سبحانه منهم انهم لا يؤمنون هل كانوا قادرين على الايمان ام لا فان زعمت انهم كانوا قادرين عليه فما يؤمنك من ان يكون قد وقع من بعضهم ما علم الله انه لا يفعله واخبر عنه بانه لا يفعله على قول (١) اعتلالك واعتلال النظام في انكار كما قدرة الله على الظلم والكذب . فقالا هذا لازم لك فما جوابك عنه . فقال انا اقول ان الله تعالى قادر على ان يظلم ويكذب وعلى ما علم انه لا يفعله . فقالا له ارايت او فعل الظلم والكذب كيف كان حال الدلائل التي دلت على ان الله لا يظلم ولا يكذب . فقال هذا محال . فقالا له كيف يكون المحال مقدوراً لله تعالى ولم احلت وقوع ذلك منه مع كونه مقدوراً له . فقال لانه لا يقع الا عن آفة تدخل عليه

(١) او قود . لان الاعتلال يقود الى ما فكر

ومحال دخول الافات على الله تعالى . فقالوا له ومحال ايضا ان يكون قادرا على ما لا يقع عنه الا عن آفة تدخل عليه . فبهت . فقال لهم بشر بن المعتز كل ما اتم فيه تخليط فقالوا له فما تقول انت اتقول ان الله قادر على ان يعذب الطفل الذي لا ذنب له ثم لا يقدر عليه فقال اقول بانه قادر على ذلك فقالوا له ارايت لو فعل ما قدر عليه من تعذيب الطفل لا عن ذنب ما كانت حالة الدلائل التي دلت على انه لا يظلم فقال لو عذب الطفل ظلما له في تعذيبه فكيف كان الطفل بالغا عاقلا عاصيا مستحقا المقاب الذي اصابه وكانت الدلائل بحاها في دلائلها على عدل الله تعالى فقالوا سخنت عينك كيف يكون عادلا بفعل ما هو ظالم فقال لهم المزار (١) انكم اكثرتم على استاذي بشر منكر عظيم وقد يناط الاستاذ فقال له بشر كيف تقول انت قال اقول ان الله عز وجل قادر على الظلم والكذب ولو فعل ذلك لكان الها غالما كاذبا فقالوا له هل كان مستحقا للعبادة ام لا فان استحقها فالعبادة شكر المعبود والظالم يستحق الذم لا التكرير وان لم يستحق العبادة فكيف يكون من لا يستحقها الاها قال لهم الا انا نقول انه قادر

(١) لعله الحرار او الحرار المتقدم.

على ان يظلم ويكذب ولو ظلم وكذب كان صادقا عادلا . فقال له الاسكافي كيف ينقلب الظلم عدلا والكذب صدقا فقالوا له كيف تقول انت في هذا فقال اقول لو فعل الجور والكذب ما كان العقل موجودا وما كان ذلك واقعا (١) لجنون او منقوص فقال له جعفر بن حرب انك (٢) تقول ان الله يقدر على ظلم المجانين ولا يقدر على (٣) العقلاء . فافترق يومئذ القوم على انقطاع كل واحد وعجزه عن الانفصال عما الزم على مذهبه . فلما انتهت نوبة الاعتزال الى الجبائي وابنه امسكرا عن الجواب في هذه المسئلة - وذكر بعض اصحاب ابي هاشم في هذه المسئلة في كتابه فقال من قال له هل يصح وقوع ما يقدر الله عليه من الظلم والكذب قلنا له لا يصح وقوع ذلك منه . ما كان قادرا عليه لان التدبر لا على المحال محال - فان قال افيجوز وقوعه منه قلنا لا يجوز وقوعه منه لعل به بقبحه وغنا عنه - فان قال اخبرونا لو وقع مقدور من الظلم والكذب كيف كان يكون حاله في نفسه هل كان يدل وقوع الظلم والكذب منه على جهالة

(١) لعل الاسقطت هنا (٢) خ انا

(٣) خ ظلم العقلاء

او حاجته قلنا ذلك محال لانا قد علمنا غيا . فان قال او وقع منه الظلم والكذب هل يجوز ان يقال ان ذلك لا يدل على جهله او حاجته قلنا لا يقال ذلك لانا قد علمنا دلالة الظلم على جهل فاعله او حاجته ، فان قال ما بكم لاتجيبون عن سؤال من سالكم (١) والكذب منه على جهل فاعله او حاجته باثبات ولا نفي قلنا كذلك تقول فهو لاء دعاء قدرية مصرنا وقد اقرروا بعجزهم وعجز اسلافهم عن الجواب في هذه المسئلة واو وفقوا للصواب فيها لرجعوا الى قول اصحابنا بان الله تعالى قادر على كل مقدور ولو وقع كل مقدور منه لم يكن ظلما منه واحالوا قدرته على كذب يصير به كاذبا كما حال اصحابنا وتخلصوا عن الانرام من الوجرة التي حكميناها واعتذر الجاهلي في امعاءه عن الجواب في هذه المسئلة بدعم اوبلا فذكر مثل هذا السؤال في النبي فقال اخبرونا عن قوامكم في النبي لو فعل ظلما او كذب كيف يكون حاله وزعم ان الجواب في ذلك غير ممكن وهذا ظن منه وجواب اصحابنا فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان معصوما عن الكذب والظلم ولم يكن قادرا عليهما ولا ان يقع منه مالا يقدر عليه . والمعتزلة صكلهم غير النظام والاسواري قد وصفتوا الله تعالى

(١) لعل هنا سقطا والاصل عن دلالة الظلم والكذب .

بالقدرة على الظلم والكذب ثم عجزوا عن اظهار حكمه ان لو فعل
مقدور لا منها — قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه — فقد بينت
لك احوال هذه الطائفة الركيكة اذا هزلوا تساخفوا وتهتكوا واذا
جدوا تحيروا وتخاذلوا ثم انشأت البرامكة طامة عظيمة بان كلفوا
الاجناد (١) ايضا ترجمة كتبهم طبيا وطبيعية بالعربية فتولى ذلك
يهودي او نصراني او ملحد لا راس مال له في الاسلام فزج ما نقل من
الطب بالفاظ وعقائد تتعلق بالاحاد وتعارض الشريعة في فروعها
واصولها ليتوهم (٢) [من ترجمت له هذه الامم الفاضلة التي تولت
هذه العلوم العربية كانت على هذه النحل] فطمحت نفوسهم الى معرفة
تفاصيلها فاجتمعوا وجمعوا آراءهم كما كانت اغراضهم ولم يقدموا قاضيا
في البلاد الا ان يكون على هذه العقيدة ولا اميرا ولا كاتبا الا وهو فيها
ولا ينظم في سلك الخاصة الامن كان قائلا بها ولا يتوسع في العطا الا لامثالهم
وقد فتن الناس في دينهم وخلا ابن برمك شرا طويلا فكادوا على

(١) هكذا بالاصل (٢) كذا بالاصل ولعل الصواب هكذا : من ترجمت له بالعربية
ان هذه الامم الفاضلة التي تولت هذه العلوم كانت على هذه النحل .

الملك في سعيهم واعدوا على الدين داء دخيلا وعم الباطل وظهرت
الزندقة واثارت البدع وتوجهت المطالبة على البرامكة الذين كانوا
يمضون القضاة والامراء والعمال والقائلين بذلك فلما لم يمكن
مطالبتهم بهذا المعاني عند الخلافة لتعذر الطريق الى ذلك من اقامة
البينة وتحصيل الشهادة على وصف العدالة (١) امكانه تدرع الناس
الى المطالبة من جهة الدولة والحريم وكانت الملة على الذهاب فانهم
كانوا قد بشوا الدعاة في آفاق الارض على وجه يطول شرحه فتدارك
الله الملة بان سخر الملك لهدمهم فتقطعوا ايادي سبا وتفرقوا شذر
مذر وقد ملؤوا الارض من الباطل واستخلفوا شياطين الانس على
اضلال الخلق من فيلسوف واديب حتى لم يبق بيت الاوغيه من كتب
الاباطيل مابين ناظر فيها حتى يعلم المراد منها او مختار ما يصلح منها
وتارك ما سواها اوراد عليه ليلا يتعلق بموحد فيختل عقده او يتنازل
واستمر ما اورثوا من تركتهم وارثوا من نارهم وصار باطلهم ينمي
نمو الخضاب في اليد ليتحقق الوعد الصادق في فساد الزمان وذهاب
الاديان . — عاصمة — ولم يتعرض لحماية الدين الا آحاد اختارهم الله

له ونصبهم للذب عنه فاولهم ابو الحسن الاشعري، وعارضه ابن ورقا
امير البصرة فقام به وجرت بينهما حروب جدال مذكورة وتواتر
بعده الاصحاب في الاحقاب على الاعقاب فحفظ الله دينه على من اراد
هدايته فلم يبق وجه من البيان الا اوضحوه ولا سبيل من الادلة الا
نهجوها وانتدب (١) الى كتاب الله فشرحه في خمس مائة مجلد وسماه
بالمختزن فمعه اخذ الناس كتبهم ومنه اخذ عبد الجبار الهمداني كتابه
في تفسير القرآن الذي سماه بالمحيط في مائة سفر قرأته في خزانة
المدرسة النظامية بمدينة السلام وانتدب له الصاحب ابن عباد فبذل
فيه عشرة آلاف دينار للخازن في دار الخلافة والقا النار في الخزانة
واحترقت الكتب وكانت تلك نسخة واحدة لم يكن غيرها فتقدت
من ايدي الناس الى اني رايت المستاذ الزاهد الامام ابا بكر بن
فورك يحكي عنه فلا ادري وقع علي بعضه ام اخذ لا من افواه الرجل
(٢) فعليكم بكتب القوم (٣) فهي الشفاء من الداء العياء . وكانت
هذا الطائفة النائرة في هذا الدولة القوية المسماة بالبرمكية قد سمعت

(١) يعني الاشعري (٢) لعل الصواب الرجال (٣) يعني بهم المذكورين قبل من
الاشعري واصحابه

في كيد الاسلام كما بينا واصطنعت من ذكرنا وتكاثرت فربت في
حجرها طوائف كابن المقفع وابن الراوندي والجاحظ المعتزلي وكثير
من امثالهم قد استسنوا في الستر انه لا مدرك الا العقول وانها تغني عن
الرسل ولا مدرك في عقد او قول او عمل الا والعقل مستقل به .
وقسموا المدارك اربعة . — المدرك الاول — معرفة الموجودات
كالسما والارض وما اشتملت عليها من افلاك دائرات وكواكب نيرات والارض
وما كان فيها من معدن ونبات وعدادا مركبات وبسائط مفردات
وهي الماء والهواء والثراب والنار ، والمعادن واجتماعها مزاجا ،
وافتراقها تعددا وازدواجا ، على الجملة في كلها وعلى التفصيل في النظر
في الانسان وتركيبه وما يختلف عليه من احواله ، والمطر وما يرتبط
به . — المدرك الثاني — سموا ما وراء الطبيعة وهو النظر في الصانع
ما هو وما هو عليه وكيف نشأت الموجودات عنه وترتبت منه
— المدرك الثالث — النظر في المصالح العامة التي تقوم بالقانون
الانساني في خلقه وخلقه مما يتعلق بصفاته وتكريماته ودنائه (١)
وساقوا ذلك كله على تدبير في النظر سموه السياسة وادب النفس

وغير ذلك (١) ومهدوا قبل ذلك له طريقا الى تحصيل هذه المدارك
بالقول سموه المنطق مهدوا فيه بزعمهم انواع الادلة وشروط النظر
مستوفي بتفهم المفردات منه ثم وجه التركيب عليه وقسموه ثمانية
اقسام وكانت هذه امورا تكلمت فيها الاوائل عند دروس الشرائع
وفترات الرسل وتمكن الشيطان من الخلق في مزج الباطل بالحق
فارسل فيهم جنود الضلالات بهذه المقالات . وعند ما بعث الله محمدا
صلى الله عليه وسلم على درس من الملل وانطماس من السبل وفترة
من الرسل باظهار الايات وظهرت له الف من المعجزات حسب ما
امليناها في كتاب انوار الفجر من مجالس الذكر فانقذ الله به الخلائق
من اهللكه واعلا به من الاسلام الكرامة واكل به علينا النعمة ثم استأثر
به وما زالت الحال تنقص حسب ما اوعز به حتى آلت الحال الى ما
آلت اليه ولا بد من نفوذ تمام الوعد كما نفذ ابتداء فصار عند الخلق
بهذه المعاني . — قاصمه — لم تبق لهم قائمة ومن اغرب مأساه اليها
على لحم الخنزير وانه يناسب لحم بني آدم فصار بذلك اعدل اللحوم .
— عاصمة — قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه يا الله (٢) وذهاب

(١) لم يذكر المدرس الرابع فلعل طريق المدارك وهو المنطق عند رايها (٢) لعل الاصل من

العقول الى ذهاب الاديان . يترجم اليهودي والنصراني والملاحد عن رجل يسمى جالينوس لاندري من هو ولا علي اي ملة كان الا ما حكموا غنه من انفسهم وترجموه باختيارهم فيجعل اصلا ما ترجمه في الاعتقاد والعمل وهبك انا سمعنا ذلك من راس الاطباء يقال لهم بم علمتم ان لحم الخنزير اعدل اللحوم . بشعره اذ مسخ ، او بلونه اذا سلخ ، ام بطعمه اذا طبخ ، ام بشحمه اذا سلخ واي مناسبة بينه وبين الانسان الا من جهة الحيوانية وذلك يشترك معه فيه (١) مع الثور والقرد هذا على رجلين وذلك على اربع وانت ترى لحم ذوات الاربع كيف تختلف مراتبها ويتبين (٢) بعضها عن بعض في طبائعها وكذلك ما يمشى على بطنه من الحيوان تختلف مراتبهم وتباين اكثر من تباين ذوات الاربع وتبعد عن ذوات الاربع ابعادا عظيمة وان لحوم ذوات الاربع عندهم لتباين في طبائعها ومنافعها ومضارها على انها ذوات اوبار واشعار . فما تقرب (٣) من الخنزير من يمشى على رجليه . هل هو الا ارادة منهم لاجلاء دينهم وعضد لنجاتهم . هلا قالوا ان لحم القرد اشبه بلحم الانسان لحدّة ذهنه وعظيمة فهمه . وان كل حيوان نسج بطبعه

(١) اهل مع زائدة (٢) او هيمن او يتباين (٣) او يقرب

الا الادمى والقرد . اولست ترا لا يصرف انامله تصرف الانسان وهل
 الاخلاق عندهم الا آثار الخلقة ، والحركات الا امارات الطبيعة فاين
 هم عن هذا معرضون ، قاتلهم الله انى يوفكون ؛ ونصر هذه الطائفة
 العمياء من اصحابنا ومن اهل جلدتنا فانهم عن هذا غافلون . — مزيد
 بيان — ان البارى في مخلوقاته يفعل ما يريد ويغير في مخلوقاته بين
 الاجناس والانواع خلق الحيوان على انواع كما خلق النبات على
 انواع صارت بعدها اجناسا فمن الحيوان ماش على رجلين ومنهم على
 اربع ومنهم على بطنه . والاصل ماء ، وليقل قائلهم ماشاء ، (١) فليلزمه
 ذلك قرط اذن وطوق جيد ووشاح خصر وخدم قدم وسوار ساعد
 وقد جعل تعالى كل الحيوان لسان واحد وجعل للحية لسانين
 وكذلك كل حيوان اذا قطعت له رجل تدرج على الاخرى الا
 النعام وجميع الحيوان له كرش ورثة الا الفرس وكذلك الحوت ليست
 له رثة وجميع حوت الماء له لسان وحوت البحر له لسانان وجميع بني
 آدم والقرد فانها في الايدي وجميع الحيوانات اذا نام اغلق عينيه الا
 الارنب ومن اغرب ما قالوا عن الذئب انه يغلق عينه الواحدة ينام بها

ويفتح الأخرى يترس بها فإذا مضى نصف الليل دأول بينهما وقالوا
 إن الأسد يترس كل شيء إلا المرأة الحائض إذا رعت إليه اعرض
 عنها والنطف تختلف بقاؤها في الأرحام مع اتحاد الحيوانية والتوليد
 فأقله شهران وأكثره للفيل سبع سنين إلى أشياء غريبة هم قلوبها وما
 عقاوها ولا ردوا إلى المشيئة والآثار أمرها ولا جواب لهم عنها . قال
 القاضي ابوبكر رضي الله عنه -- ماصمة -- وقد جاء الله كما قدمنا
 بطائفة تجردت لهم وانتدبت بتسخير الله وتأييد الرد عليهم نحن قدمنا
 ذكره من أعيان الأئمة إلا أنهم لم يكلموهم بانعتهم ولا ردوا عليهم
 بطريقتهم وإنما ردوا عليهم وعلى إخوانهم من المبتدعة بما ذكر الله في
 كتابه وعلمه لنا على لسان رسوله فلما لم يفهموا تلك الأغراض بما
 استولى على قلوبهم من صدى الباطل طفقوا يهزؤون من تلك العبارات
 ويطعنون على تلك الدلالات وينسبون قائلها إلى الجهالات ويضحكون
 مع إقرانهم في الخلوات . فالتدب للرد عليهم بانعتهم ومكاشفتهم
 بسلاحهم والنقض عليهم بادلتهم أبو حامد الغزالي فأجاد فيما أفاد
 وأبدع في ذلك كما أراد الله وأراد وبلغ في فضيحتهم المراد
 فافسد قلوبهم من قلوبهم وذبحهم بمداهم فكان من جيد ما

وغير ذلك ومهدوا (١) قبل ذلك كاه طريقا الى تحصيل هذه المدارك بالعقول سموه المنطق مهدوا فيه بزعمهم انواع الادلة وشروط النظر مستوفى بتفهيم المفردات منه ثم وجه التركيب عليه وقسموا ثمانية اقسام وكانت هذه امورا تكلمت فيها الاوائل عند دروس الشرائع ووقرات الرسل وتمكن الشيطان من الخلق في مزج الباطل بالحق فارسل فيهم جنود الضلالات بهذه المقالات . وعند ما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم على درس من الملل وانطماس من السبل وفرة من الرسل باظهر الايات وظهرت له الف من المعجزات حسب ما امليناها في كتاب انوار الفجر من مجالس الذكر فانقذ الله به الخلائق من اهللكة واعلايه من الاسلام الكمية واكمل به علينا النعمة ثم استأثر به وما زالت الحال تنقص حسب ما وعز به حتى آلت الحال الى ما آلت اليه ولا بد من نفوذ تمام الوعد كما نفذ ابتداء ولا فصار عند الخلق بهذه المعاني . — قاصمة — لم تبق لهم قائمة ومن اغرب ما سدود الينا على لحم الخنزير وانه يناسب لحم بني آدم فصار بذلك اعدل اللحوم . — عاصمة — قال ابوبكر رضى الله عنه يا الله (٢) وذهاب العقول الى

(١) لم يذكر المدرك الرابع فاعل طريق المدارك وهو المنطق قد راعاها (٢) اعل الاصل من

ذهاب الاديان! يترجم اليهودى والنصرانى والملاحد عن رجل يسمى
جالينوس لاندري من هو ولاعلى اى ملة كان الاماحكوا عنه من
انفسهم وترجموه باختيارهم فيجعل اصلا ما ترجمه في الاعتقاد والعمل
وهبك انا سمعنا ذلك من راس الاطباء يقال لهم ايم عليتم ان لحم
الخنزير اعدل اللحوم - بشعره اذ مسخ ؛ او بلوته اذا سلخ ، ام بطعمه
اذا طبخ ، ام بشحمه اذا سلخ واي مناسبة بينه وبين الانسان الا من
جهة الحيوانية وذلك يشترك معه فيه (١) مع الثور والقرد وهذا على
رجلين وذلك على اربع وانت ترى لحم ذوات الاربع كيف تختلف
مراتبها ويطين (٢) بعضها عن بعض في طبائعها وكذلك ما
يمشى على بطنه من الحيوان تختلف مراتبهم واتبان اكثر من تباين
ذوات الاربع وتبعد عن ذوات الاربع ابعادا عظيمة وان لحوم ذوات
الاربع عندهم لتباين في طبائعها ومنافعها ومضارها على انها ذوات او
باروا شعار . فما تقرب (٣) من الخنزير من يمشي على رجليه - هل هو
الا ارادة منهم لاهياء دينهم وعضد لنحلتهم - هلا قالوا ان لحم القرد
اشبه بلحم الانسان لحدة ذهنه وعظيم فهمه - وان كل حيوان نسج

(١) لعل مع زايدة ٢٥ ، او يميز او يباين [٢] او يقرب

بطبعه الا لادمى والقرد - او لست ترا لا يصرف انامله تصرف
الانسان وهل الاخلاق عندهم الا آثار الخلقه ، والحركات الا امارات
الطبيعة فانهم عن هذا معرضون ، قائلهم الله انى يوفكون ، ونصر
هذا الطائفة العمياء من اصحابنا ومن اهل جلدتنا فانهم عن هذا
غافلون - - مزيد بيان - ان البارى فى مخلوقاته يفعل ما يريد ويفاير
فى مخلوقاته بين الاجناس والانواع خلق الحيوان على انواع كما خلق
النبات على انواع صارت بعدها اجناسا فمن الحيوان ماش على رجلين
ومنهم على اربع ومنهم على بطنه - والاصل ماء ، وليقل قائلهم ما
شاء - (١) فليلزمه ذلك قرط اذن وطوق جيد ووشاح خصر وخدم
قدم وسوار ساعد وقد جعل تعالى كل الحيوان بلسان واحد وجعل
للحية لسانين وكذلك كل حيران اذا قطعت له رجل تدرج على
الاخرى الا النعام وجميع الحيوان له كرش ورئة الا الفرس وكذلك
الحوت ليست له رئة وجميع حوت الماء له لسان وحوت البحر له
لسانان وجميع بني آدم ركبهم فى ارجلهم والبهاائم ركبها فى ايديها
وقالوا ان جميع بهائم الوحش كفوفها فى ارجلها الا ابن آدم والقرد

فانها في الايدي وجميع الحيوان اذا نام اغلق عينيه الا الارنب ومن
اغرب ما قالوا عن الديب انه يغلّق عينه الواحدة ينام بها ويفتح الاخرى
يحرس بها فاذا مضى نصف الليل داوّل بينهما وقالوا ان الاسد
يفترس كل شيء الا المرأة الحائض اذا رميت اليه اعرض عنها والنطف
تختلف بقاؤها في الارحام مع اتحاد الحيوانية والتوليد فاقله شهران
واكثره للفيل سبع سنين الى اشياء غريبة هم نقلوها وما عقلوها ولا
ردوا الي المشيئة والاثار امرها ولا جواب لهم عنها قال القاضي
ابوبكر رضى الله عنه — عاصمة — وقد جاء الله كما قدمنا بطائفة
تجردت لهم وانتدبت بتسخير الله وتأييده للرد عليهم ممن قدمنا ذكره
من اعدان الائمة الا انهم لم يكلموهم بلغتهم ولا ردوا عليهم بطريقتهم
وانما ردوا عليهم وعلى اخوانهم من المبتدعة بما ذكر الله في كتابه
وعلمه لنا على لسان رسوله فاما لم يفهموا تلك الاغراض بما استولي على
قلوبهم من صدى الباطل طفقوا يهزؤون من تلك العبارات ويطعنون
على تلك الدلالات وينسبون قائلها الى الجهالات ويضكون مع
اقرانهم في الخلوات - فانتدب للرد عليهم بلغتهم ومكراحتهم بسلاحهم
والنقض عليهم بادلتهم ابو حامد الغزالي فاجاد فيما افاد وابدع في

ذلك كما اراد الله واراد وباهر في فضيحتهم المراد فافسد قولهم من قولهم
 وذبحهم بعداهم فكان من جيد ما اتاه (١) واحسن ما رواه ورءاه. وافرد
 فيما يختصون به دون مشاركة اهل البدع لهم كتابا سماه تهافت
 الفلاسفة ظهر (٢) فيه منته ، وصحت في درجة العلم منزلته ، وابدع في
 استخراج الادلة من القرآن على رسم الترتيب في الوزن الذي شرطوه
 على قوائين خمسة بديعة في كتاب سماه القسطاس ماثاء . واخذ في
 معيار العلم عليهم طريق المنطق فرتب بالامثلة الفقهية والكلامية حتى
 مخافيه رسم الفلاسفة ولم يترك لهم مثالا ولا ممثلا واخرجه خالصا عن
 حسائسهم بيدانه ادخل فيه اغراضا صوفية فيها غلو وافراط ، وتداول
 (٣) علي الشرع والبساط . وقد كان تعرض مسخيف من بادية بلدنا
 يعرف بابن حزم حين طالع شيئا من كلام الكندي الى ان يصنف
 في المنطق فجاء بما يشبه عقله ويشاكل قدره . وكان ابو حامد تاجا
 في هامة الليالي ، وعقدا في لبة المعالي ، حتي اوغل في التصوف واكثر
 معهم التصرف ، فخرج على الحقيقة ؛ وحاد في اكثر احواله عن الطريقة ؛
 وجاء بالفاظ لا تطاق ، ومعان ليس لها مع الشريعة انتظام ولا اتساق

فكان علماء بغداد يقولون لقد اصابنا الاسلام فيه عين فاذا ذكرناه
جعلوه في حيز العدم ، وقرعوا عليه السن من ندم ، وقاموا في التأسف
عليه على قدم . فان لقيته لقيت رجلا قد علا في نفسه ؛ ابن وقته لا يبالي
بغده ولا امسه . فواحسرتاه عليه اي شخص افسد من ذاته ، واي
علم خلط وخالط فيه مفرداته . ماذا الام من المحامد ، وكم حايده
عنه وحامده . وكان من ترجم عن الفلاسفة ترتيب الادلة الذي سموه
حد المنطق قد ضرب فيه الامثلة الهندسية والطبائية والالاهية ليتدرب
القارى بذكرها ويانس بشكرارها ويطمح الى مطالعتها ويتشرف (١)
ويستعد لاعتقادها حتى يعلمها وهي في كل ذلك تسدك (٢) بقلبه
ويطمح اليها بطرفه ويتعلق منها بامنيته فتزل بها (٣) القدم . وعلى
كل حال فالذي اراد لكم على الاطلاق ان تتصروا على كتب علمائنا
الاشعرية وعلى العبارات الاسلامية والادلة القراءانية وانتم في غنا عن ذلك
كله . وخذوا في ذلك مني نصيحة مشحونة بنكت من الادلة وهي ان
الله سبحانه رد على الكفار على اختلاف اصنافهم من ملحدة وعبداء او
ان واهل كتاب وطبيعة وصباة وشركة (٤) ويهودية بكلامه وساق

[١] او يتشدد (٢) او تنمك (٣) خ به (٤) لعل الصواب شركية

انضل سياق ادلته وجاء بها في احكم نظام وابدع ترتيب فعلى ذلك
 فعولوا فن ابا حامد وغيره وان كان لبس للحال معهم لبوسها ،
 واخذ نعيمها ورفض بوسها واحيا ارواحها ونفوسها ، فليس كل
 قلب يحتمله وقل وجود نفس تستقل به فهو وان كان سبيلا للعالم
 ولكنه مشحون بالغرر والشرع قد نهى عنه والعقل يستحث عن
 الانكفاف والهروب منه - اما ان الرجل اذا وجد من نفسه منة او
 تفرس فيه الشيخ المعلم له ذلك فلا بد من توقيفه على ماخذ الادلة
 واتساعه فى درجات العلم وتمكنه من بحبوحات المعارف حتي يكون
 مستقلا باعباء الشريعة مطيقا على حمل اثقالتها بصيرا بالنضال عنها والذب
 عن حرمانها اذا احتيج اليه فيها . — واما اصحاب الطبيعة — فقصتهم
 بديعة ؛ وذلك ان القدرية لما كانت تدين دينها وتنشر عقيدتها وكان
 الجاحظ المقرئ على جهالة وثامة بن اشرس على خساسته وابن المقفع
 على فهايته وابن الراوندى على حماقته ومن تابع كل واحد منهم في
 صفاته تسترت بالاسلام ولبست جلده لستر عورتها في مخالفته وجعلت
 تعال (١) الدين بمعان ترهب (٢) بها على العامة وتأخذها من ظواهر

الالفاظ وتقدس مذاهبها في عقائدها كأنها تعضد الاسلام تتعلق في ذلك بايات متشابهات واحاديث مشكلات فتركت المحكم وراء ظهرها لان ارباب الطبيعة يدعون ان النشأ في هذا العالم على التركيب انما هو من تاثير البسائط في الاصل (١) وينشا مركب عن مركب هكذا على الترتيب وذلك لانهم رأوا تركيب الكون في الموجودات المشاهدات واحدا بعد واحد فنسبوا الثاني الى الاول وعلقوا اللاحق بالسابق والحقوا المتقدم (٢) المتأخر وجعلوا منه باقترانته به في الوجود وارتباطه معه في التواصل وذهلوا عن المنشئ الحقيقي فكانت بصائرهم عبيدا لابصارهم وجدا لهم اقوى من ابصارهم وتخيلات المعتزلة ومن دان دينها من القدريّة فقالوا ان الثاني يكون عن الاول برسم التوند . قال القاضي ابوبكر هذه لفظة اخترعها لهم الجاحظ المفترى مستفادة من الولادة وهي خروج الشيء من الشيء وكانت هذا لما نشأ عن هذا ولم يقولوا انشأ احترازا من المشاركة مع المنشئ المنفرد سبحانه فقالوا انشا (٣) عنه وعبروا عنه بالتولد تحسينا له واخراجا له بزعمهم من حيز المجهول الى حيز المعلوم . فاما الفلاسفة فبنوا على

(١) خ في الارض (٢) اي المتقدم بالتأخر (٣) اما نشأ واما انشئ

اصلهم في ان الفاعل لا يفتقر في كونه فاعلا الى حياة وقدرة و ارادة بل يكون شيء عن شيء بامور باردة ورتب فاسدة حتى ان بعضهم يقول في تحقيقه حين ظهر له ان شيئا من الكوائن لا بد له من مكون ان الافلاك تتحرك بعشق بعضها لبعض اذاحرك منها واحد للآخر حتى ينتهي الى فلك الاخير فيقول انه تحرك بعشقه للاخير فهي حركة (١) عشقه فقر هؤلاء من هذه المقالة لاشنوعتها وقالوا نشأ هذا عن هذا وعبروا عنه بالتولد تحسينا له كما قدمنا ، وعلى قاعدة الفلاسفة قعدوا وحول دائرتهم دوروا ولكن قاعدتهم اضررت بهم ودائرتهم ظنت (٢) عليهم وقد تمهدت القواعد الشرعية والمقالية في اثبات انصانع وانا امهد لكم طريقين [٣] — الطريق (٤) الاول — ان الخاطر اذا جال فيه ان التكوينات في عالم الكون والفساد في محاط فلك القمر يترتب في الوجود من ذواتها بطبيعتها او من ذات اخرى بطبيعتها فيها وانطباع هذا لها حتى ينتهي الى المراد (٥) فاحضر بذهنك وردها الى ما قبلها حتى تنتهي معهم الى موقف اول لاسابق له فان اراد ان يتبادى قيل له قف ياسيار قد سال بك التيار وان كنت تمشي في

(١) كذا بالاصل [٢] او كانت [٣] او طريقين (٤) خ الطريقة الاولى (٥) او فاحصر

—————٥٥٥٥—٥٥٥٥—٥٥٥٥—٥٥٥٥—————

معقول فلا تتعدا الى تعطيل وتتيه في التضييل وتقع في غير معقول
 بالتسلسل الى ما ليس بمحصول . واذا وقف الخاطر او المناظر ولا بد
 له من ذلك قيل لهما او لاحدهما هذا المنتهى — في النظر المبتدا في
 الكون كيف يكون هذا عنه صادرا يكون على وجه صدور الفعل
 المفعول من الفاعل المعقول ذي القدرة والحياة والعلم والارادة والتدبير
 والتقدير ، او صدور حركة الخاتم عن حركة اليد . فان اوقفوه على
 فاعل بتلك الصفات فقد وقعت دائرة النظر على قطب التوحيد وان
 هم قالوا انه يصدر عنه صدور كوكبة الخاتم عن حركة اليد فيلزمهم
 ان لا يصدر عن الاول الاثبات يماثله وهكذا الى الاخر فمن اين
 ينشأ التغير ويأتي انضد عن الضد والمختلف عن المتفق والعدد عن
 المفرد . وعلى هذه القاعدة في دلالة الصانع زبه الله سبحانه بقوله « وفي
 الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان
 وغير صنوان تسقى بهما » واحد وتفضل بعضها على بعض في الاكل ان
 في ذلك لايات لقوم يعقلون . » فبها بهذه الاية في الاحرف اليسيرة
 على المعاني العظيمة بالادلة المعدودة بانك تنظر الى الارض ما بين سهل
 وحزن وحجر وتراب لدن انواع مختلفة وادواح مفترقة زرع وبنات

واشجار اشأت اصل كل شيء منها واحد. ينظر الى الجنة الي تنبت
 عنها ذات اجزاء متساوية فاذا تزايدت للنبات تزايدت عن تلك الصفات
 وانقسمت الى عرق يعلوا قشر (١) يتراقا الى غصن ينتهي الى
 عذق ينقسم الى ورق وزهر وثمر. الارض واحدة والماء واحد والجنة
 واحدة وكل ما ينشا عنها لا يماثلها ولا يماثل في نفسه. بل لكل واحدة
 هيئة مخصوصة ولون مخصوص وطعم مخصوص. والماء الذي شأنه
 الرسوب يصعد الى الجميع ويجري فيه حي يسيل على جميع جوانبه
 ونواحيه. فيايها الحاضر والناظر، اين الفاظك الرائقة، وحكمته
 الفاتحة ابن لي هذا الاختلافات كيف تعدد (٢) والطبع واحد دون
 شروط الفاعل المتصف بالفعل (٣) حقيقة، هيهات ها انا معك دائر
 فقل مانت قائل وصر الى مانت صائر، وابن لي كيف دارت عليك
 الدوائر، وخذلتك الصبائع، فمالت من قوة ولا ناصر. ودعني من
 نويغة اذا وقف على هذا زوى حاجبه وادار قرنيه وفرق كالمبتسم بين
 شفتيه فليخرج ما يصدر؛ وليذكر ماشاء ان يذكر، فهذا الطريقة
 لازمة له فلا مبرح له عنها ولا محيص منها — الطريقة الثانية

(١) او يترقي (٢) اى تعدد (٣) خ بالصنع

لا خلاف بينهم ان النيرات السبعة في الافلاك السبعة هي الفاعلة المدبرة
ولكل واحد منها جزء يتقرد به ولكنهم جعلوا الادمي بينهم عضين
وقسموه عليهم واعطوا لكل واحد منها جزءا من الادمي وشهرا من
ايام تربيته وحينئذ فيقال لهم ليس هذا معلوم (١) ضرورة فيتفق العقلاء
عليه ولا وجدنا نظرا يوصل اليه ولا رويانا خيرا يدل عليه ، هاتوا
برهانكم ان كنتم صادقين . وكل ما ذكره لا فقد تقدم ذكره بطلانه .
— مضايقة — اذا قلتم ان الكون والفساد في مقعر فلك القمر فمن اين
يصل عنها تائر مافوقهما من باقي الصانعين ولا يخلو ان يكون فلك
القمر محيطا بهذا العالم او يكسنف (٢) بمضنة ويبقى البعض في خلا
عنه وايتها قلتم فلا مخرج لكم منه . ان قلتم انه محيط به وان هذا
العالم في محاطه كالدرة في الدرج فمن يجمع بينه وبين تائر مافوقه وبينهما
حجابيه وحجب غيره ان كانوا على مثاله ومحال وصول التاثير عندهم
من وراء حجاب يملأ الفم ذكره فكيف قدره . وان قلتم انه لا يحيط
فلك القمر بهذا العالم فما يخرج عن محاذاة فلك القمر هل يحيط به
خلا اوله محيط اخر سواه ، فان قلتم يحيط به خلا فلعدم ليس

بالمحيط ولا يحاط به ولا هو طريق لشيء ولا عليه طريق له محسوسا
ولا معقولا . وان قلتم ان هناك محيطا به فعينوه . فان قلتم انه يحيط به
الذي فوقه قلنا لكم وما حكم الفلك الثاني آ الاحاطة بجميع فلك القمر
او بعضه فان قلتم بجميعه فما هذا التحكم او ما دللكم عليه . وان قلتم انه
اكبر منه قيل لكم وقد يكون الشياث عظيمين متقاوين في حيزين
مختلفين وان قلتم انه يحيط ببعضه فهل يقابل المحيط منه للمحيط
من فلك القمر او يقابل الخالي من احاطته فان قبال الخالي فلم لا يعمل
تأثر الثاني او الثالث الى هذا الموتر دون ترتيب مع هذا الموتر الاول
حتى يتعارضوا فيما فعل كل واحد منهما فيفسد التدبير ويختل النظام .
وقد جعلتك على هذا الاصل فيخذلك بكل فصل وادره بجميع وجوهه فليس
لهم عنه محيص (١) وقد قلت في هذا المعنى لبعض اصحابنا اياتا توحيدية
كن لاله كما كانت لك ولا تهتبل - بمدار الفلك
فان الالهك قد احصىك معاليه من عال او من ملك
ومن نزل او عز في موطن ومن عاش في نعمة او هلك
فلا ترج ذلك من غيره ودع عنك من شك او خذلك

وخل المضلين في غيهم وقل للكوأكب من اصلك
وانت تغور وانت تمور فمن غاص منك ومن بدلك
ولو فلك دار من ذاته اقام اذ شاه او سلك
وان لم يكن ذاك من طوقه فاني يقال له ذاك لك
فليس المدبر الا الذي تغاير عنك وما شاكك
فيا بها النذب ما عقلت ويا بها القدم ما اغفلت
امن كان عن صونه عاجزا اترجوه للغير ما اجهلك
تنبيه فقد بان وجه الدليل وقد آن ان (٢) تعرف من دل لك

— تنزيل — لما تعلق القدريه بدليل الفلسفية في هذا المسالة
والفيهاها تحتها نزلنا في الكلام معها وهتكنا سترها ، وفصل
القول معهم في التوليد معلوم وقد طوله القاضي والشيخ ابو الحسن
لكن بمناقضات لا بدالات فانه اسخف من ان يدل على فسادا ، وانما
اراد هؤلاء العلماء انهم لم يوفوا به وانهم يناقضوا فيه فشأنكم
وايلا ، واما نحن فنورد عليهم طريقة قريبة المرام ضابطة لشغب الكلام
فنقول قد حررناها قبل هذ بنصها في غير ما املاء حتي يكون

التكرار لتوكيد الالفاظ والمعاني ، فذلك اضبط لها ؛ واول من
يؤثر عنه هذا المذهب معمر القدري والجاحظ المقري وقد قام بحمد
الله وتوفيقه الدليل على ان الله وحده خالق الاجسام والاعراض
وتبين ان العبد مكتسب غير فاعل فاذا ثبت استحالة الفعل من الحي
العالم الذي يقبل الامر والنهي فاستحالته من الموات اثبت ، ولان
الاحراق الكائن مع اتصال النار بالاجسام المحترقة فعل محكم ان
اضيف اليها بطل الاستدلال بالفعل المحكم على الحياة والعلم نعم وعلى
الوجوب وانقلب الحقائق وبطلت الادلة ، ولان النار (١) وان
احرقت بذاتها وجب ان تحرق كل ما يتصل بها من حر (٢) وبارد
ورطب وبابس فان كانت تحرق بصفة لها وهي الحرارة فلا يخاو
ان تنتقل الى المحترق وذلك باطل لاستحالة بقاء العرض فضلا
عن انتقاله او تحرق الحرارة وهي قائمة بالنار وهي مع ذلك محال
شنيع وهي مجرد (٣) الاحكام للمحال والمعاني القائمة فمحال آخر
فبيض عمر ببياض زيد ويسود بكر بسواد خالد ، فان قيل ان في
المشاهدة تريد ان تشكك الخلق قلنا المشاهدة وجود الاحراق فاما

نسبته الى النار فدعوى ، فان قيل وجدنا النسبة عربية شرعية قلنا
 اضاف الله تعالى المعاني الى الاسباب عند وجودها على حكم اللغة
 العربية ، والحقيقة وراء ذلك ، والذي يكشف الغطاء معهم في ذلك
 ان يقال لهم ليس لكم عمدة الا اقتران الوجودين وهو اتصال النار
 بالاجسام ووجود الاحراق حينئذ فيجهلكم بحقيقة الفاعل القادر
 اضفتموه الى الجماد ولم يراقبوا ان يقولوا ان جمادا فاعل قوى محكم فيلزمكم
 مثله في الاقترانات الموجودات في العالم كلها . ووقوفها حجة واضحا
 محجة الاب والام يتولد بينهما الولد فاذا اودع الاب النطفة في الرحم
 اقترن بذلك اختلاف الاوصاف على النطفة وانسلاك الروح فيها
 والقوى المحركة والمدركة ولا يقال انها موجودة به ولا مضافة اليه
 وان اقترن ذلك به بل يحيلونها على الاول بواسطة وبغير واسطة من
 اسماء يسمونها ملائكة وماذا يقولون فيهما من البهتان وينصرون (١)
 به من الطغيان وذلك يلزمهم فيمن غمض عينيه فلم ير شيئا ففتح
 عينيه فادرك الالوان فيقول ان فتح البصر ولد ادراك الالوان
 في العينين وكذلك في نور الشمس مثله وفي اقترانات لا تحصى

كثيرة فبطل هذا التعاقب جملة ولكنهم لما راوها الفاظا اعتادوها سدكت
 بقلوبهم حتى لم يستطيعوا ان ينزعوها عنها وقد استوفينا ذلك
 في كتب الاصول وهذا نبذة منه — التفات — ونعود الى القول
 مع من اتدبنا اليه فنقول واما المتألهة منهم فهم اعظم الطوائف فليقة
 وارداهم طريقة لا يعقد (١) معهم على قول ولا يستقر معهم من التحقيق
 على منزل ومال الحاصل من تخليطهم الى قدم العالم الذي ينبني على
 عدم الصانع ويعتقدون استحالة الفنا الذي بنوه على انكار الحشر
 والنشر والثواب والعقاب ومنهم من يذكر الصانع والحشر والثواب
 اسماء لا مسميات لها كما قال الشاعر

اجترو زور على نار مضرمة اوفى نعيم اركب او على قدم (٢)
 اسماء منقبة في غير مرتبه كالشي يخبر عنه وهو في العدم
 واذا نظرت الى كلامهم في ذلك كان لك معهم طريقتان احدهما
 التعلق بما لم يطرده على ادلهم ولا وفرا بعهد المعقول فيه وهي
 مناقضة عائدة على اصل من اصول علومهم الضرورية بالبطلان وذلك
 انهم يقولون هذه الهية لانفاد ولا انقضا ولا استحالة ولا تغير بافلاكها

(١) هذا اقرب ما يضر من الاصل (٢) كذا بالاصل ولم افهمه

وصفاتها وحركاتها واقسامها فيقال لهم فاذا كانت حركة القمر في
 فلكه لانهاية لها وحركة زحل لانهاية لها فلا يصح ان تنسب احدها
 الى الاخرى لان ما لا يتناهى لا ينسب مما (١) لا يتناهى فان نسبوا فقد
 خرجوا عن المعقول ولا بد لهم من ذلك وان لم ينسبوا فقد ابطالوا
 مذهبهم وتديرهم ونسبة شيء الى شيء منها او بها - الثاني - ان
 يقال لهم كل ما كان له اول جاز ان يكون له آخر لانه لا يصح ان
 يوجد لنفسه وما اوجده غيره جاز ان يعدمه . ولما وقف النظر الى
 هذا الموضع الذي لا بد منه انكروا العدم وفي الاول (٢) وانكروا
 الاعدام وجوزوا وجود شيء من شيء واحالوا عدمه منه او من غيره
 وكان في ذلك كلام طويل ليس هذا موضعه هذا القول يسكتهم
 عنه ويجديهم (٣) معكم . ومن الغريب ان صاحب الجيم عندهم قال
 لو كانت الشمس قانية لادرکها الذبول بطول الفنا فيقال له هذا فاسد
 على مذهبك وعلى طريق الحق . اما فساد ذلك على مذهبك فالذبول
 عندك انما يكون بنضب المادة ولعل مادة الشمس لم تنضب واما
 على مذهبنا فلان العدم انما يكون عن قطع الاعراض وذلك مبين

(١) لعل الاولى لما (٢) لعل الصواب سقوط الواو (٣) هذا اقرب ما يظهر

على التحقيق في كتب الاصول بجميع وجوهه - وقد قال ابو الحسن
 معرفة الصانع ضرورة وتحقيقه انه ان كان العالم صنعة فهي صادرة عن
 صانع قطعاً ضرورة المعنى والدلّظ واما الفناء الذي احواله فمشاهد في
 بعض العالم وهو معلوم فيما لم يشاهد بالدليل المتقدم حسبما سطر في
 كتب الاصول واما انكار الحشر فمشاهد [١] في اشادة النيات بعد
 الاستحصاء وهم يقولون هذا في عالم الكون والفساد - قلنا عنه جوابان
 - احدهما - انه اذا ثبت وجود الاعادة للفاني كجريان العادة فيه على
 وجهه لا يازم ان تكون تلك العادة واجبة الاعلى تقدير ان يكون
 الفعل من تلك الاسباب وقد بينا فسادهم فلم يبق الا انه يعيد الفاعل متى
 شاء كما اخبر - وقد قالوا ان الصفة تعود على التفصيل والجملة بعد
 الدورة العظمى وذلك لاثنتين وسبعين ألفاً دورياً في نقطتي الحمل والجدى
 فيقال لهم فهل تعود بصفتهما على الجملة والتفصيل او بالبعض فان قيل
 تعود بالكل قلنا فلم لانذكر انفسنا كما كنا وان قيل تعود بالبعض لانا
 قد فاتنا ذكر ذلك فينا قلنا فالذي فوت الذكر تلك الصفة يموت منها
 غيره ويعدمها ويوخرها ويغيرها وبطل بهذا وجوب نسبة شيء من

ذلك الى حركات الفلك او الى ما ينسب اليه لان اختلال دقيقة منها
يوجب اختلال الجميع . فان قالوا فقد رويتم ان الله لما خلق آدم استخرج
منه نسم بنيه فقال لهم الست بربكم قالوا بلى ثم اوجد لهم فلم يذكرها .
قلنا نحن نقول ان الباري هو خالق الخلق وصفاتهم من حركة
وسكون وعلم وذهول وما شاء او جدد واعاد وما لم يشا اخبر عنه
فامنا به وهذا لازم لكم ساقط عنا كما بيناه وكذلك معرفة الثواب
والعقاب معلوم من جهة الخبر وقد شبيب (١) بعض الفلاسفة بانه
مدرك بالعقل في تخليط تكدر (٢) بالقدرية — وهلة — وقد كان
ابو حامد الغزالي يميل الى ذلك ويستطرفه قبلت له مامعنى قول النبي
صلى الله عليه وسلم في صلاة الكسوف ورايت الجنة فتناولت منها
عنقودا فلو اخذته لاكلتم منه ما بقيت الدنيا . كيف يكون صفة دوام
اكله ووجوده هل كان كلما اكل منه جزء خلفه آخر واذا فنيت
حبة اينعت اخرى . فقال وكتب بخطه ثمار الجنة غير مقطوعة ولا
ممنوعة والمعنى في الحديث ان ثمار الجنة اذا تعلق بها آمال الناظرين
او قابلتها ابصارهم حدثت امثالها في نفوسهم حدوث امثال المرامي في

المرات واعيان المرائى لم تبدل ذواتها ولا رامت مكانها . قال القاضي
ابوبكر رضي الله عنه - تذكرة - ولم تتفق لي مراجعة وهذا مما
لا نقول به اعتقادا ولا رضاه دينا فانه لا يشهد له عقل ولم يرد به نقل .
فان قيل فهذا النائم ياكل حتي يشبع قلت له يا نائم دعني من النائم
ولا تحمل الحقيقة على المجاز ولا ترد النوم الى اليقظة وستحكم على
الرؤيا في موضعها وقد سبق منا امثلها ولا سيما في محاسن الانسان (١)
ومن اعظم مانسكتهم به ان نقول لهم انا نرى الله في انام آدميا كذلك
هو فيبتهوا وهذا امر صحيح وذلك ان الامور المنزلة اما ان تعلم
مشاهدة او يهجم عليها العقل بالتفانق او يعلم بالدليل من تمثيل او
تنظير وهو لا يقول بقياس في العقليات وان قال به فبمقدمتين تنتجان
مطلوبا صحيحا وهذا مما لم يعول فيه الاعلى الدعوي والتمثيل بالمرآة
التي لا تقوم على ساق - معادة - وقد بينا ان قوهم الاصلى ان كل
شيء من ذاته بالابتداء والانتفاء وبالتفصيل وبالتفصيل من ابتداء
الوجود الى منتها بطبيعته كل ذلك دائر على الحركات كائن عنها
على جبر وانطباع فيتحرك المتحرك بتوابعه وذلك موجود في المحرك

الاول — عاصمة — قلنا هذا فاسد من ثمانية اوجه الاول ان قولهم ان كل شيء من ذاته يريدون به طبيعة كما صرحوا او غير ذلك فان ارادوا غير ذلك وليس عندهم فليبرزوه وان ارادوا بالطبع فما معناه اذ ليس يرجع الا الى العادة ان هذا وجد بعد هذا فقالوا انه وجد عنه وبه ولا نسلم لهم ذلك ولا يدلون عليه ابدا . وان قالوا به فانا نقول لهم ان كان يفعل شيئا بطبعه فع الاتصال فهو المشاهد واما مع الانفصال فدعوي لا تثبت ابدا . من حرك الثاني للاول وليس متصلا وهكذا الى اخر الصفة حتى اضطروا الى ان يقولوا انه يتحرك الثاني بعشقه للاول فيحركه . قلنا له فاذا عشقه فمن الفاعل ومن المفعول ومن النواطي ومن الموطوء والعشق هو معني تطلع النفس الى اللذة وليس من شرطها تساوي الافعال بل ربما كان الاختلاف فيها شرطا فانظروا الى هذا الحباط الذي يذكر في معنى بيان الحقائق والادلة الثالث ان الفاعل ان كان يحرك فيحرك الكل وانتظم التدبير بالحركة فمن اين جاء السكون فان قال من قطب الدائرة لم نسلم لهم ان فيها ساكنا ونو سلم بالحركة هي الفاعلة عندهم فما للسكون والدخول فيه وللعول (١)

على القطب فمن القطب ونحن عندهم اهل القطب فما لنا في حركة
دائمة ليس فينا من السكون شيء. الرابع انه ان كان المحرك الاول
يفعل بطبيعة فكيف نشأ عن الطبع الواحد اربع مختلفة ولا ينشأ عن
الشيء الا مثله فان اشاروا الى الامتزاج قيل لهم وليس في الاول
امتزاج وهو اما يفعل بذاته فمن اين جاء المزاج الخامس ان المحرك
الاول ان كان لحركته ابتداء فاندفعت فلم تفرقت الكوائن ولم يكن
عنها في حالة واحدة ما يقتضيه الطبع وتوجيه الهيئة والتدبير في فعل
تركب عليه افعال ، فان كان فعله على الترتيب فلم كانت مختلفا كما
تقدم ، ومن اين جاء التعارض والتمايز والتضاد بين الكوائن والاصل
واحد . السادس - ويرجع الى الاول اذا كانت الحركة صدرت
عنها الحركات فلم افتزقت في الافلاك الى مستقلة واجعة الى مستقيمة
ومعوجه ، ان كانت هذه الاسماء على الحقيقة فهي خلاف قاعلها وان
كانت مجازا لا حقيقة فلم ركبتم عليها الحوادث . السابع - ان الاسلاميين
من الفلاسفة قد حكموا عن افلاطون وارس توطا ليس باستحالة
الاشار وان صانعا موثرا لا يتصور وهو احد اصول الاتحاد الاربعة وهو
الاول الان معهم فانا نقول لهم زعمتم ان صدور الاشياء عن ذاته

صدور العلة عن المعلوم - والدليل القاطع عن استحالة ذلك ان العقل يقضى قطعا ان السببين الجائز ووجودها على الحل على التعاقب فوجود احدهما يستحيل ان يكون بغير سبب يعين احد الجائزين ولا يجوز ان يضاف ذلك الى القدرة لان نسبتها اليها واحدة وكذلك الحياة والعلم مثلها (١) فلا بد من سبب معقول يضاف له التخصيص يجده المرء في نفسه ضرورة - وقد ضرب العلماء لذلك مثالا يقطع بصحة ذلك وهو ان رجلا ينتهي اكله وبين يديه تمرتان متساويتان في القدر بالحزر والكوت وحسن المنظر وحيزها منه واحد لئلا يتكاف لاحدهما مزيد حركة فيمديه وياخذ احدهما فيعلم قطعا انه لم ياخذ بحياته ولا بعلمه ولا بقدرته فان النسبة لذلك واحدة قطعا فلم يبق الا الحالة باحدهما على سبب معقول شأنه تمييز الشيء عن مثله ، وقد سماه العلماء ارادة وجرى في السنتهم وتابعة وهم انهم عليه وان لم تميزوا حقيقة (٢) ومن انكر هذا سقطت مكانته - ولم يوضع هذا كله لمخدول متحامق ؛ وانما وضع لمستبصر مسترشدينظر فيه نظر المتثبت لنفسه . وهذا السبب يصحبه سبب شأنه كشف الحقائق

والاطلاع عليها وليس من شأنه ان يتقدم عليها ويستحيل ان يتأخر عنها ، يقومان بمحل قامت به صفة هي الحياة بها صلح المحل لتقوم به الصفات وهم لا ينكرونها بيد انهم يخلطون فيها فعندهم من جهة ان الافلاك حية وعندهم من جهة اخرى ان الحياة لا تقوم الا بمحل فيه بلة ورطوبة ؛ وطائفة اخرى تزعم ان العلم والايجاد لا يفتقر الى الحياة وهم لا يبالون بذلك كله واما ياخذون السبيل الى الاتحاد كيف اطردت لهم ، والعمدة في ذلك ان يقال اجمع العقلاء على ان الميت لا يعقل لمواتته وقد كان يعتل في حال حياته ولا يصح ان يضاف ذلك الى شرط سوى الحياة لان كل صفة نضيفها اليه يستحيل ان نضيفها الى الميت فكل صفة نذكرها هي مساوية لهذا في اشتراط وجود الحياة لها ، واما دعواهم ان الافلاك حية فلا يقام عليه دليل ابدا وهو غير مشاهد ونيس لهم الا حركتها وليس من شرط الحركة الحياة فان الميت يتحرك والخطب معهم طويل بتخليطهم لمن لا يعلم تفاصيل الكلام ومن يعلمه يقطعهم في الحال وقد اندرج الوجه الثامن في هذا الكلام - عاصمة - واعظم الخطب انكارهم العلم اصلا وهم لا يحتاجون اليه بزعمهم فان ما يصدر لطبع لا بالوضع

لا يفتقر الى قدرة ولا الى علم والقول في القدرة اقرب منه في العلم
 لان الالفه (١) في العجز معقولة مشاهدة والعلم وان كان اظهر
 فهو خفي عن المشاهدة ولكن اتقانه المتعلق به يظهره قطعا وهذه
 الصفات الاربعة ثابتة للصانع قطعا وهي القدرة والعلم والارادة
 والحياة . ومنهم من يقر بالعلم لكن يدعون انه على وجوه منهم من
 يقول انه حادث ويفتقر الى علم يحدث به ولا موجود يحدث اقوى
 احتياجا الى العلم من العلم ، ومنهم من يقول انه عالم بالجمال لا بالتفصيل
 لانه عندهم احدث الاصول بعلم ثم رتب عليه الحوادث المتعلقة بعضها
 ببعض الكائن بعضها عن بعض فلا يخلقها ولا يعلمها ، — قال القاضي
 ابوبكر رضي الله عنه — وهذا من العجب ولو لا انه علمها على التفصيل ما خلقها
 من يعلمها على التفصيل ويوجد لها على الاحكام والترتيب فاذا اقروا بذلك
 فقد اقرؤا بانها يعلمها على التفصيل ، وانا العجب كل العجب من كلمات صدرت
 عن الامام ابى المعالي فادحة تحوم او تشف على ان علم الباري لا يتعلق
 بالمعلومات على التفصيل ونصها : قال « اذا تعلق علم الباري بجواهر
 لا تتناهى فمعنى تعلقه بها استرساله عليها من غير فرض تفصيل الاحاد

مع نفي النهاية فان ما يحيل دخول ما لا يتناهى في الوجود يحيل وقوع تقديرات غير متناهية في العلم فان قالوا ان الباري تعالى عالم بما لا ينتهى على التفصيل سفهنا عقولهم » وقد بسطنا القول على هذا الكلام في كتاب التمهيد بما فيه بلاغ فلينظر هنا لك بمقدماته ولو احقه ، والمقدار الذي يعرفك الان بكنهه ويعطيك فائدة ما سطرناه هنالك منه على الاختصار ايراد بعض ما استطر هنالك من الفصول بلفظه الذي وقع الاملاء به ، اعلما وفقكم الله ان المعلومات من جهة الكون تنقسم الى واجب وجائز ومستحيل والواجب على قسمين واجب مطلق وهو الله وحده وصفاته وواجب من وجه وهو ما خلقه الله تعالى من اصول العالم كالجواهر والاجسام والاعراض فهذه مما يجب كونها على هذه الصفة فلا يتصور خروج الجوهر عن كونه جوهر او لا العرض عن كونه عرضا ولا خروج الجسم عن كونه جسما ومن اصول هذه الاصول ان الجوهر لا يخلو عن عرض وان العرض لا يصح وجوده دون ما يقوم به من جوهر او جسم وهذا كله متفق عليه بين العقلاء ومعلوم عندهم قطعا قبل النظر ومنه ما هو معلوم بنظر ويتركب عليه وجود الاكوان والالوان بالجواهر

والاجسام على البديل والانفراد حسب نسبة كل واحد منهما الى الآخر من ضد او خلاف ويتركب عليه بعد ذلك النظر في احكام جميعه بالنسبة الى نسب نشأت عنه والى كيفية هى عليه والى تركيب فى وجود او عدم او صفة فناء او بقاء او الى حال تركيب واستجالة يكون بعد نظر فى انحصار الاعراض الى الالوان واكوان وانحصار الاكوان الى حركة وسكون وانحصار الالوان الى احمر واسود وما بينهما من واسطة ترجع اليهما او تقف بينهما ، واعظم من ذلك - القول فى انحصار العالم الى الموجودات على ترتيبها وتدبيرها ما بين وجود وعدم وبقاء وفناء وتكليف واعفاء وتعجيل وامهال ودنيا وآخرة واثواب وعقاب فى عموم ذلك ، ومن هذا المنقدم اصل متفق عليه بين منزلي النبي والا ثبات والوجود والعدم والحركة والسكون فرعا (١) عليه ، ومنه متفق عليه بين اهل الملل ومنه متفق عليه بين اهل السنة ، ومن جملة المتفق عليه مما تقدم ان الجوهر لا يخلو عن حركة او سكون وعجبا لبعض علمائنا فانه استدلل عليه ، ولئن احتاج الى دليل لم يثبت لنا شيء من بعده ؛ ومن

المختلف فيه القول في وجود لون خلاف ما شاهدنا لمن قائل ان
 الا لوان منحصرة ومن قائل انها غير منحصرة ومن واقف ، وفي حديث
 المعراج حـى بلغت سدرة المنتهى فغشيها اللوان لا ادري ما هي ،
 وقد تكلمنا عليه في شرح الحديث ، ومسألة الانحصار هذه مسألة
 مشككة فان العلم الذي به ادرك المرء انقسام الموجودات الى جواهر
 واعراض به ادرك ان موجودا ليس بجوهر ولا عرض ولا نعلمه وان
 جهات المخلوق ستة لا سابع لها وان الكون من حركة وسكون
 لا ثالث لهما وان السواد والحمرة لا غاية وراءهما وان كان بينهما
 وسائط وان العلم لا تعلق له بالعدم المحض وانما يتعلق بممدوم مقدر
 فان قدرت عالما آخر وامكننا فهمه فقدر موجود ليس بجوهر ولا
 ولا عرض وكونا ليس بحركة ولا سكون ولونا ليس بحمرة ولا
 سواد وجهة سابعة لمخلوق فان وجب ان ينحصر ذلك في المعلوم فلا
 تسال عما وراءه بنفي او اثبات وقد بسطنا في موضعه . قال القاضي
 ابو بكر قال ابن الجويني والدليل على انها منحصرة انها لو كانت
 غير منحصرة لتعلق العلم بها باحاد لا تتناهى على التفصيل وذلك محال .
 قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه هذا كلام محذوف لان قوله

لو كانت غير منحصرة مقدمة واحدة لا تنتج شيئا باتفاق من العقلاء
فلا يصح ان يرتب عليها قوله لتعلق العلم بها باحاد لا تنتهى على
التفصيل حتى يقول هي منحصرة ولا بد ان تكون معلومة ذات
الحكم على المجهول بحصره او عدمه محال : واذا كانت معلومة فلا
بد ان يتعلق بها العلم على التفصيل والتفصيل هو الحصر فثال نفى
الحصر الى اثباته فيبطل في نفسه وهذا هو برهان الخلف . قال ابن
الجويني فان قامت الجهة الباري عالم بما لا ينتهى على التفصيل سفهنا
عقولهم . قال القاضي ابو بكر رضي الله يريد ان التفصيل كما قدمنا
يقتضي الحصر والنهاية فكيف يضاف اليه ما لا يقتضي النهاية والحصر
فان كان للتفصيل عند احد معنى غير الحصر والتناهي فليركب
عليه ما يليق به . وقد قدمنا ان لفظ الجملة والتفصيل ليس شرعا .
قال ابن الجويني اذا تعلق علم الله بجواهر لا تنتهى فمعنى تعلقه
بها استرساله عليها في غير فرض تفصيل الاحاد مع نفى النهاية فان
ما يحيل دخول ما لا ينتهى في الوجود يحيل وقوع تقديرات غير
متناهية في العلم قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه اما قول الجويني ١

ايضا (١) وان قالوا ان الباري عالم بما لا يتناهى على التفصيل سفهنا عقولهم فهو عبارة عن انه (٢) كلام متناقض غير معقول لما بينا من ان التفصيل عند لا يقتضي الحصر وما لا يتناهى ينفيه فتناقضا واجمع بينهما في الاخبار سفه في العقل . وكذلك كل من جمع بين متناقضين ولذلك سفهنا عقل ابي هاشم وسلبناه دينه في تصويره عن الجملة الجامعة بين المتناقضين : قول القائل محمد ومسيح صديقان او كاذبان فانه لا يصح الاخبار عنه بكل واحد من الخبرين لانه جمع في الخبر عنه بين متناقضين كما لو قلت الانسان والحجر حيوانان ام (٣) موatan . واما قوله ان ما يحيل دخول ما لا يتناهى في الوجود يحيل وقوع تقديرات غير متناهية في العلم فانه كلام ناقص ايضا مفتقر الى تكميم وحيث يندب يصلح للتعليم والتعليم فانه كلام ناقص لان قونه ما يحيل دخول ما لا يتناهى في الوجود يعني به في زمان متناه والافدوران الافلاك عند الفلاسفة لانهاية لها ونعيم الجنة عند الموحين لانهاية له وكل واحد منهما يوجد متماديا عند من يرى الاول على الحقيقة من (٤) الثاني ولكن ذلك كله انما يحال الوجود فيه على ازمته الآتية

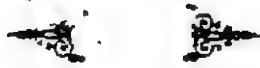
(١) كذا بالاصل (٢) اصل قواه « عبارة عن انه » زائدة (٣) خ او (٤) او في

فيكون لكل موجود زمانه ، وقوله يحيل وقوع تقديرات غير متناهية في العلم يعني بقوله وقوع وجود وقوله تقديرات يريد تصوير وجودات غير متناهية يعني في زمان متناه وذلك مما لا يتعلق به علم لانه لا يتصور له ثبات . تعلق علم بها على التفصيل مع نفي النهاية محال لانه يريد بالتفصيل الحصر والانتفاء ثم قال هذه الاجناس المختلفة التي فيها الكلام يستحيل استرسال العلم عليها لتباينها بالخواص وهذا كلام معلوم مفهوم وقوله تعلق العلم بها مع النهاية محال مبني على اضافته في ان التفصيل هو الحصر والانتفاء قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه (١) من هذا كله ان هذه الالفاظ من الجملة والتفصيل والحصر الفاظ مولدة ركبت عليها المبتدعة علومها وخاض فيها علماءنا معهم ولكل واحد فيها اصطلاح تركيب معنا على (٢) اصطلاح عليه فيها ويختلف الاثنان في الوجه المصطلح عليه فيتباريان ويتعارضان ونحن اذا تكلمنا على ذلك قلنا دعونا من العبارات المحدثه الفاسدة الباري تعالى عالم بعلم لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء يعلم ما كان وما يكون ولا يقدر شيء الا وهو

(١) هنا كلمة معناها تحصل (٢) اهل لفظة ما سقطت هنا

عالم به نعم وقد كتبه فهذا عقد صحيح مدلول عليه فان قلتم على
التفصيل يعلم او على الجملة قلنا لا ندرك ما تريدون فان اردتم يقولكم
على التفصيل انه لا يخفى عليه شيء فذلك صحيح وان اردتم بالجملة انه
يعلم شيئا ويخفى عليه اآخر فلا يصح لان الدليل قد قام على انه
لا يخفى عليه شيء فانما يتكلم معكم في عموم علمه وخصوصه والجملة
والتفصيل عبارات باردة لانتفت لكم اليها ولا نبني عليها حكما ولا
نصف الباري بشيء منها لانها لا اثباتا وانما نصفه بما وصف به نفسه
ودل الدليل عليه من سعة علمه وتقديس ذاته وصفاته وانه لا يخفى عليه
شيء كان اولم يكن تقدم او تاخر فعلى هذا عولوا ودعوا بنيات
الطرق والالفاظ المحدثه وخذوا ذات اليمين وهو ما كان عليه السلف
المتقدمون من الصحابة والتابعين وقد بينا ذلك كله في كتب الاصول
وهذا اشارة الى جملة نكته عاصمة لكم في هذا الباب قاصمة لظهورهم
وذلك انا نقول ان الفلاسفة على قسمين منهم من يقول ان الباري
لا يعلم الا نفسه ومنهم من يقول يعلم غيره ويلزمهم ان يقولوا انه
لا يعلم شيئا وقد رايت منهم من يقوله فاما من يقول انه يعلم نفسه ولا
يعلم غيره فيقال لهم قولكم انه لا يعلم غيره ما تعنون به اريدون

لاستحالة ذلك فهو باطل او لانه لم يتفق فان كان لا يعلم غيره لاستحالة ذلك فهو باطل قطعا لان من يعلم نفسه يعلم غيره وان كان لانه لم يتفق ذلك فالذي يوجب ذلك للعبد عدم ارتباط كل واحد منهما بصاحبه والموجودات كلها مرتبطة بالاول فكيف يعلم منها واحدا دون غيره هذا محال قطعا وان قالوا انه لا يعلم شيئا فذلك من افسد دعوى فانها اذا كانت عنه او بعضها فكيف يكون عنه ومنه وبه او منه او به او عنه وهو لا يعلم ذلك وتصوره غير معقول وان قالوا انه يعلمها جملة ولا يعلمها تفصيلا قلنا ان كان لا يعلمها تفصيلا فلا يعلمها ايضا جملة لان كل جملة لها تفصيل يكون عنهما مرتبا او فيها محكما او بهما مولدا فكيف كانت عنه كذلك ولا يعلم بها كيف كان عنه مالم يعلم به على وجهه هذا لا يتصور فان قيل للاحاطة بها على التفصيل وهي لا تنهاى ولا يمكن تحصيلها قلنا هذا الكلام باطلا لانه تليس لانه يقال لهم قولكم لا يمكن تحصيلها لمن آلا الذي كانت عنه او لغيره فان قلتم لغيره قلنا صدقتم فان الانسان لا يدرك الاشياء كلها على التفصيل انه ليس شيء منها عنه وانما يعلم منها ما علم وكانت عنه فمن ضرورة العالم ان يعلمها ما يكون عنه ولا يستعظم علم ما لا يتناهى كما لا يستعظم وجوده وقدر الوجود مقرونا



العلم وقدره من غير تعلم و بغير آفة نظرا عليه و بغير عدم يلحقه
 او يسبقه ولم يحد له نظيرا فلم يلق منك نكير او الانسان على قصوره
 يعلم ما كان وما هو فيه و ما يكون باطراد العادة لكنني (١) اخبر
 الصادق انها تكون لا تتغير وهو لم يحد ذلك ولا كان عنه فقدر
 في الخلق المكون قل بواسطة او بغير واسطة علم ذلك كله على
 الكمال والقوم في قصور من المعرفة عظيم وتخليط كثير وقد
 فاضتهم في الاقطار والامصار بنفسى وحضرت ذلك في مجالس
 الائمة والجهابذة بالشام والعراق فما اثبت الله لهم قدما ولا رفع لهم قط
 علما ولم يتكلموا على تقية الا بغاية الحمية وقوة الاعتقاد والنية والله
 يعيدنا من حالهم ويريههم وبال امر ما لهم بعزته قال القاضي ابوبكر
 رضى الله عنه وقد تقدم من ذكرنا لقولهم في المفردات والبسايط
 اشارة انهم فيها على نكتة فاضت فيها اعضاءهم فاضطرت
 اكثرهم في النظر الى ان يقولوا ان البسيط المطلق لا يتحقق الا
 في القول وذلك اني قلت له الاسطقصات التي كان ينبغي ان
 يسبكوا عنها ما هي فذكرها قلت له الماء بسيط او مركب

(١) عبارة ممحوة بالا صل اعلمنا التي

ففسكر وقدر وعلم ما الزمته فقال مركب قلت له من الرطوبة
والبرودة قال نعم قلت فالرطب المطلق مجردا والبارد المطلق مجردا
لا ينضاف اليهما شيء ما هو وحينئذ يتحقق لك البسيط قال لي ذلك يكون
في العدم قلت له الله اكبر العدم ليست له ذات تخبر عنها بما يعقل
فيها وكذلك لو وضعت يدك معه في الافلاك فلما اضطررتهم
الادلة الى ان يقولوا ان احاد جميعها بسط في العدم فزحل
الاهم الاعظم بارد يابس فقد كان كل واحد منهما بسيطا فمن جمع
فيه الضدين ومن ركب المتناقضين في الله وللعقول التي ذهبت في تضليل
قال القاضي ابو بكر رضى الله عنه واما النظر معهم في الايالة العائدة
لمصلحة العالم الخاص من البدن والعالم العام الخلق فهو قانون عاقوه
من الشرائع السالفة مبدلا ورتبوا مشحونا سخافة وخلا اذا قرأت
لهم منه مسطورا رايته متهاقنا منكورا اخبرني الفقيه الطرطوشي
اخبرني الباجي انه كان يوما في باجة احمد بن هود ينتظر اذنه
فجاءه ابنه الملقب بالمؤتمن وكان يتفلسف وجاذبه ذيل الحديث فقال
له هل قرأت ادب النفس لا فلا طن قال له الباجي انما قرأت
ادب النفس لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو بكر

رضي الله عنه الذي رايت لا فلاطن زجر النفس وعن الباجي
بقوله ادب النفس لمحمد ما تضمنت الشريعة من قرآن وسنة في
هداية السنن وايضاح السنن والقوم كما ذكرنا لكم انما رتبوها
مشاركة لقوانين الشرائع مركبة على الشهوات والذات مقرونة
بمكارم حسب ما تقتضيه الاهوية وتميل اليه النفوس من غير
نظر في العواقب الصحيحة المفيدة ولو كانت على ما زعموا لكان
الخلق عبثا ولما كانت الحلقة حكمة بما رتب عليها في الحشر من
العاقبة قاصمة ونبت طائفة كادت الدين وبهرجت على المسلمين
وارادت التفتيق بين الفلسفة والملة وحاولت الجمع بين الشرع
المنقول وقضيات العقول القاصرة عن غاية الدليل بذواتها وجزمت
القول بانه لم يات رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بها ولا دار الا
حوها ورتب نظامه في سلكها ودار كلامه وعلمه عليها وجعلت
تتبع ذلك فصلا فصلا حتى عقدت ابوابا في شرح هذا المقاصد ومن
اعظم ما انتدب الى ذلك القضاة الاربعة الذين لقبوا انفسهم اخوان
الاصفا فجعوا الخمسين رسالة في كل علم رسالة ولم يبقوا من رسوم
الاسلام اصلا الا عقدوا فيه فصلا وكانوا في علومهم مقدمين وعلى

الفصاحة مقتدرين وبدرى المدرك عارفين وبالدولة معتضدين ومن
تمكن من تصريف لسانه وبنائه لا ينبغي ان يستغرب ما جاء من
بيانه فكم قائل من الحكماء

في في ماء وهل ينطق من في فيه ماء

وانما يقصر (١) بالقلوب الاصمعية (٢) والالسنه اللوذعية والنفوس
الاحوذية فارواها (٣) من انتقاد الحساد وتشنيع الاعادي (٤)
فترى العالم صامتا وما به عي، متماوتا وانه لحي، ولما تمكنت هذه
الطائفة كما قلنا لم يبق من الحكم النبوية والاغراض الفلسفية بالادلة
الجليلة والاشارات بعبارات غلاة الصوفية الا وقد رصت عليها بلية
ودست فيها بلايا نوع (٥) بلية فاذا قرأها من ليس من اهلها هلك
بها واذا قرأها عالم جردها عن فسادها واقاما من مايدها وعدلها عن
حايدها وردلها الى مالكلها وواجدها عاصمة قال القاضي ابوبكر
رضي الله عنه ان الله تعالى وله الحمد انزل كتابه على نبيه نورا
محكما هدى تبيانالم يكن رموزا ولا كناية عمالا يتوصل به اليه

(١) هذا اقرب ما يظهر (٢) لعله الاصمعية (٣) لعله ما رواها اي ماكثر عليها
(٤) خ الاحاد (٥) كذا بالاصل

سامعه ولا يعلمه مخاطبه واقام عشرة اعوام او ثلاثة عشر عاما او خمسة عشر عاما يجادل بالحجة جميع الكفرة بالآت من آي القرآن حسب ما بينا في انوار الفجر فما بقي نوع من الادلة ولا وجه من وجوه الحجج الا وجاء بها على اوضح منهج وتناولت كل حجة طائفة من الملحدة واصحاب الطبايع والصابئة بقدرها واليهود والنصارى والزرايين بقسطها على نحو ما قالت كل طائفة من الشرك ولو شاء ربنا لكفهم عن هذه المقالات واذا اطلقها على سنتهم فقد نص كيف تنقض اقوالهم حسب ما تقر من الادلة ومن كيفية استعمالها في كتابه وعلى لسان رسوله وذلك كله سابقة من المشيئة ووجوه من الحكمة واوشاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا ينز الواف مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم فابان انه تخلقهم للاختلاف وليرحم من شاء منهم فيخلصه عن شائبة الخلاف ، وما استأثر الله برسوله صلى الله عليه وسلم الا والدليل قد اتسق ، والدين بالعلم قد استوسق ، والحرس مبثوث على جوانب الدالة لا يستطيع اخذ خرقتهما لا في السماء يسلم ولا في الارض ينفق وان (١) اشتجر الخلق اشجار اطباق الراس عقائد واعمالا ، وتفرقوا تعصبا واختلا لا ، فمدت البدع

(١) لعله واذا . والعامل فيه هو خلع

اغناقتها ، واطلقت المبطلات السننها ، وكانت الامة على حمايتها والولاية على حمايتها .
 خلع العذار الخلق في المعاصي واخذوا في طرف من البدعة . فلما جاء الوعد الصدق
 بان الدين بدأ غريبا وسعود غريبا كما بدا ولج في الدين لصوص من غير بابه
 وتعلقوا باهابه ومشوا له الضرا واسروا حسوا في ارتقا وخاطبك كل واحد
 منهم بلسان القرابة وهو من البعدا وعاملك بالحلة وهو
 من الاعداء ، واتاك بالداء في صفة الدوا ، ولم يخل الله قط امته ، ولا ضيع
 شريعته ، عن ذاب عن حرما وحامل على مستقيها ، كما اخبرنا ابو محمد جعفر
 بن احمد بن الحسين بالملق من مدينة السلام تجاه دار الخلافة ثنا ابو بكر
 احمد بن علي الحافظي ثنا ابو بكر احمد بن عمر (١) ثنا جعفر بن محمد بن نصير
 الحنلي نا خلف بن عمرو العسكري نا سعيد بن منصور نا عبد الرحمن بن
 زياد نا شعبة بن معاوية بن قرقة عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا
 يزال ناس من امتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة ، قال القاضي
 ابو بكر رضي الله عنه وبعد هذا فليس يخفي على ذي لب ان العقل والشرع
 صنوان — منزلة الشرع من العقل — وقد قال بعضهم ان العقل مركب الشرع
 ولا يصح ان ياتي الشاهد بتجريح الزكوى ولا بتكذيبه فات ذلك ابطال له .

(١) هنا نحو اقرب ما يظهر منه لفظ الدلال .

والحقيقة ان العقول على ثلاثة اقسام واجب وجائز ومستحيل فاما الواجب والمستحيل فلا يتعرض الشرع الى بيان حقيقتها واما قسم الجواز فان الشرع هو الذي يتصرف فيه بان يعين احدهما لانه هو الذي او غر به عالم الغيب والشهادة اما انه يذكر الواجب والمستحيل في معرض الادلة اذا كانا نظريين ويذكرهما اذا كانا ضروريين تييد (١) لتوطيد القسمين النظريين عليهما واذا لم يتناقضا لن يتناقيا فعلى اي وجه يجمع بينهما . اما انه جاءت ظواهر ضعفت بعض قدر الخلق عنها فوجد السبيل من كان له حرص على الزينغ عن الشريعة بها عاصمة وقد نزل القرآن بها وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وادبها رسالة ربه فيها فلو كان عند من تقدم من السلف الصالح والطالح والكريم والثلثم والمؤمن والكافر منهم اجمعين من يشك فيها او يرى اشكالها لما وقف مومن في شك ، ولا سكك كافر عن طعن ، ولبادر الى الاعتراض مع ما كان في نفسه من عداوة الشرك . بل سلم جميعهم تسليم العالم بها على حالته في (٢) كفر او ايمان . وما اعترض كافر على الرسول الا في احاد يسيرة من الالفاظ لم يكن من باب الاخبار عن الله ولو كان عندهم فيها شبهة او للملحد بها متعلق لقام صاحبها يشدو بها ويشهرها ، او لصاحب طبيعة لقال انت تنسب الكل الى الله وهو قد رد الكل الى الطبيعة

(١) كذا بالاصل ولعل الاصل الحقيقي تمهيدا (٢) او من

واحال على الاسباب والمسببات وربط الحوادث بحركات الافلاك ، او ليهودي
 او لنصراني لتبادروا من قريب وتناوشوا من بعيد متالين عليه في كلامه . وقد
 جامعة من الاطراف القاصية فناظرهم به . او لصاحب صنم لثاروا اليه يقولون له
 ربك بعين ويد ورجل وكف واصبع وساعد وجنب ويأتي ويحيي ويضحك
 ويطا برجله ويمشي ويهرول وينزل ويحاضر ويمل مع من يمل ويعطي بيدين
 و آدم مخلوق على صورته باطنه بباطنه و ظاهره بظاهره ، فما ينكر من عبادة من
 تكتنفه الافات . وياخذ كل واحد منهم في طريقه على مذهبه ويجادلوه بذلك
 كله او يدعيه كل واحد الى نفسه . ولكنهم علموا خلافة لهم اجمعين في المقاصد ،
 ومباينته لهم في الموارد ، رادا على جميعهم ، وانه لم ياتهم بمهم ولا كلمهم بتخليط ومحال
 وان معجزته ظاهرة ودليله على صدقه بين فلبجوا الى الحرب والاحتباء بالطعن
 والضرب والانحياز الى دار غير داره او تمسك كل واحد ببلاده ، والاسلام يعلو
 ولا يعلى وكلمة الله لا بد ان تبلغ المنتهى . فلما درست الملة ونقصت الشريعة
 صارت هذه الطوائف عليه عزين ما بين مدعين وطاعين وملبسين . ومنهم من ياتي
 بهيئة الناصر ومذهبه التخذيل ، ويستدب هاديا ومقصدة التضليل . والحق قليل .
 ولم يات (١) احد في كتاب الله ولا حديث النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة

يردها العقل نعم ولا يخالفه في شق الا بلمة حتى يفتقر الى التمييز بينهما والفصل مجرد
اختلافهما . فابت هذه الطائفة الركيكة الا ان يكون (١) بينهما النزاع ،
وتنزل برعما في الفصل بينهما منزلة الانتفاع وهي لا تالوا في دين . — قاصمة —
وهي قاعدة قائمة . وليس الامر كما زعموا والحمد لله وسترى ذلك في اثناء الكلام عيانا
وتحققه برهاننا ان شاء الله . ومنهم من حملته القحة وعظيم التهمك مع التمكن من
الجزء واللعب على التغفل في الباطن فقالت ان نزول القرآن ليس على وضوح
تاويله تنزيله ، بل وراءه بحار علوم وكنائيات عن اعراض كما قدمنا عنهم فيقولون ان
البقرة لها معنى غير ما ظاهر (٢) من التنزيل وان العجل له معنى ايضا خلافاً تنزيله اذ
لا يصح ان يكون على تنزيله فان احدا من اصحاب موسى ما كان ليتخذ العجل
المصاغ من الفضة الاها من دون الله يخور بحليه وجوهرة اذ لا يخفى ذلك
على من له ادنى مسكة من نظر ولذلك وجب ان يحال على معنى يمكن ان يقع
فيه الاشتباه ويحصل معه الاشكال فيرتبك فيه من يرتبك به . وهذا مما فاوضتهم
في انحاء مرارا ، ووجه الرد عليهم مشاهد ، فان جد هذا المعارض لي والمتكلم
معنا كان يعبد حجرا ياتي به من الطريق . كما قال ابو رجا العطاردي في صحيح

(١) يوجد في الاصل بين لفظة يكون ولفظة النزاع هذه الجملة : تبرز فهما ولم
يظهر لها معنى (٢) خ يظهر

البخاري قال كنا نعبد حجرا فاذا وجدنا حجرا هو خير منه القينا واخذنا
الآخر فاذا لم نجد حجرا جمعنا حثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فجلبنا عليه ثم صفنا به فاذا
دخل شهر رجب قلنا منصل الاسنة فلا ندع رمحا فيه حديدة ولا سهما فيه حديدة
الا نزعناه والقينا . وكان يقول كنت يوم بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم غلاما ارعى الابل على اهلي فلما سمعنا بخروجه فررنا الى النار الى مسيلة
الكذاب وقد وقف على ذلك بعض الصحابة فاعتذر بانها كانت عقولا كادها باريتها
وليس عبادتهم العجل وقلوبهم له الاها باغرب من قولكم انتم ما نزل الله قرآنا ، الى
ما تدعونه علما وبيانا . واولا انكم لا تحتفلون ما اذكركم عنهم ، ولا ينبغي ان
يهاج به اهل هذه الاقطار لانهم لم يسمعه لذكرت لكم من ذلك غريبا تفنون
الدهر منه عجبا . وجملة انهم لا يذكرون في تاويل آي من القرآن ولا حديث
عن الرسول معنى يرده الى غرضه الا قلبه (١) له في معنى آخر . حتى ان من اراد
من الباطنية ان يرد جميع القرآن في علي فيرده الى العباس العباسية ويرده الى ابي
بكر البكرية والى عثمان العثمانية ومن اراد من الاخوانية (٢) ان يرد
الآيات والآثار الى افعال الكواكب وتأثيراتها وان ذلك عبارة عنها وردت

(١) قلبه اي غيره من الفرق المذكورة بعد (٢) اي اخوان الصفا

به الى غير ذلك (١) فان قال المبتدع او الملحد قد صبح لي غرضي
من ان الشرع لا تحصيل فيه . قلنا له لا يخاو ان تتشرع به (٢)
وتقبله فما تدعى فيه بطله عليك حتى اذا انتفيت منه وقلت ليس
بشيء رجعت صاغرا بالدليل الى قيد آخر من النظر يفيدك بانه حق
وهكذا هي حقيقة الملة : من اراد ان يدخل فيها داخله رد عنها
اليها بادلتها في غرائب من النظر كلها قرآنية سنية حسب ما بينها الله
في كتابه لا وليائه وحاج بها عن نفسه على اعدائه . وفي اثناء هذا
العواصم سترون دستور ذلك وتبينونه اذا لحظتموه بقلب شاهد ،
ونظر جاهد . والله اعلم — استدراج — ان المطلوب علمه ينقسم
الى معدوم وموجود وفي ذلك كلام طويل بيننا وبينهم ولكننا
نبني معهم على انا قد وقفنا هاهنا فنقول الكلام معكم على وجهين
احدهما بما يعترض في اثناء النظر وترديد القول وقد قدمنا منه جزءا
مما جرى بيننا وبينهم على صفته ، من مجازاة وحقيقته . الثاني ان
نتكلم معهم بلغة خبرهم الاول صاحب الطاء والفاء ومن عبر عنه

(١) الجواب محذوف تقديره رد (٢) المقابل محذوف تقديره اولا تتشرع به
فنناظره في اصل الملة .

من سين اوراء (١) فنقول لا خلاف ان الوجود ينقسم الى واحد
والى كثير والواحد الذي لا كثرة فيه هو ذات الباري فانه لا ينقسم
بالعقل ولا يقبله فهو واحد بالامكان وبالوجود والقوة والفعل ولهذا
لم يقبل لواحق الكثرة من الغيرية والتخالف والتقابل ونحوه من
التساوي والتشابه ونحوه من التساوي والتماثل وعدم التناهي بكل وجه
ووجوب الوجود له ولا زم فيه باتفاق التقدم لا بالزمان . ويبقى النظر
بيننا وبينهم في بقية مراتب التقدم الاربعة وهو الشرف والطبع
والذات الذي ينقسم الى قسمين احدهما ان يكون به اولى به . نعم وهل
يقال فيه انه موجود بالقوة فيه نظر طويل وهذا كله لا يوصل اليه الا بنظر طويل
وتفصيل لا نتأني (٢) عنه الا ان آلت الحال معهم الى الامكان على موافقة
المطلوب لكن يبقى النظر الا عظم في ان حقيقة موجود بلا ماهية لا يقبل
الكثرة كذا كذا كما ساقوه يصح ام لا فانكم اذا قلتم علمنا الله قيل لكم
موجود بلا ولا ولا كما وصقتم علم به ذا ولا بد لكم ان تعلقوا بمفهوم
تطمئن به العقول ، ويدخل في سلك العلوم وليس لهم عن هذا جواب ينفع (٣)

(١) هل يريد بالطاء والفاء افلاطون . وبالسین والراء ارسطو ؟ تأمل (٢) هذا
اقرب ما ظهر من المحو (٣) بين بهذا الفصل ان طريقة الفلاسفة لا توصل الى معرفة الله

والا فهذا كلامي وانا حي او ميت فاحشروا وانشروا ، ففي قوة
 كلما اوردت عليكم معشر الموحدين يبطلوه (۱) بيد اننا نحن نقصد
 الله الذي اتانا على لسان رسوله من العلم المبتوث بركته . نقول من
 اراد ان يعلم الله فسبيل ذلك لا ثمة وهو ان تحقق انه ليس
 مثلك ، فكما (۲) عليت نفسك عليها وقدرتها فليس هو عليها .
 فان قلت فهذا نفي محض قلنا هو نفي لمثلك ، وليس نفي لصانعك
 وموجدك . لانه قد ثبت بك ومعك ومنك . وانظروا رحمكم الله
 ان النبي كيف انبا عنه بان طريق معرفته افعاله فاما هو
 سبحانه فلا يستطيعه احد . قد قال النبي صلى الله عليه وسلم انت كما
 اثنت على نفسك . معناه لا اقدر على صفتك الا بما علمتني من صفة
 نفسك . فان اردت ان تنكره لم تقدر ، وان اردت ان
 تثله لم تستطع فان اردت دركه كما وصف نفسه ودل عليه فعله
 امكنك . وهذه ثلاثة اقسام ضرورية . فانت العالم به حقا على
 قدرك وهو العالم بنفسه كما ينبغي . واذا اردت للصرائط المستقيم
 المبلغك اليه كما امر من الاستدلال بافعاله عليه فاقرب شيء اليك

(۱) من قوله ففي قوة الى الرقم كذا بالاصل وتامل (۲) اي كل صفة

من افعاله انت فمنها فارق اليه ، واخرج في دوح المعارف يقف به
عنده بين يديه . فتعلم اذا سلكت هذه السبيل الميثاء انه قد جعل
الروح فيك اية عليه فانك اذا اردت انكارها وجودا لم تقدر
عليه وان اردت له (١) مثالا لم يمكنك وان اقررت بها لدلالة
اثرها عليها اصبحت . وتحقيقه ان الفعل لا يصدر الا عن قادر وهو
عبارة عن اذا شاء فعل واذا شاء لم يفعل وانه عالم بنفسه وبكل
معلوم اذ انت عالم بنفسك ولم توجد لها فضلا عنه وهو عالم بغيره
كما تعلم انت غيرك وان توقفت في انه علم واحد او علوم فلا
تبال به فانها مسألة نظر والا صح انه واحد وانه يريد لما يفعله اذا
الفعل عن الفاعل يصدر طبعا او عن ارادة ، والطبع عند طا وصحبه
وهما الفآن والسين هو الفعل المنفك عن العلم بالمعقول : وقد اتفقنا
على انه يعلم ويفعل من غير طبع وذلك هو الا يثار والقول في
العلم قد تقدم . وان نظرت في غيرك من افعاله فهو من الصراط
المستقيم لكنه محتوش بشنيات يخاف على السالك ان يعرج عليها
فيتيه بعدها . ومن ذلك الغر عقل ونفس وجسم والعقل عندهم جوهر

لا ينقسم ولا يركب ولا يشاهد والنفس تقبل التأثير من العقل
 وتأثر في الجسم والجسم يتأثر بالنفس ولا يؤثر والعقل عندهم
 ينقسم الى بسيط ومركب امكانا عقليا وجودا ، والبسيط في الاكثر
 عندهم هو الذي له طبيعة واحدة كالهواء والماء ، والمركب الذي
 يجمع طبيعتين كالطين ولا خلاف عندهم في ان البسيط اصل المركب
 كالخبر ولا وجود له في العفص والزاج ومن البسيط ما لا يتركب
 وهو بالعمل ببساطته ولي فيه معهم كلام . ومن اعظم ما ينظر فيه
 الاجسام السماوية فيقولون انها متحركة بالارادة لغرض هو شوق الى
 العلوي للتشبه به لعلاقة بينها وبين الاجسام يسمى عقلا قالوا وملكها
 ويدل عليه عدم التناهي في هذه الحركة اولا وايدا فلا بد لها من
 الاعتماد من قوة محركة ويستحيل ان يكون في الجسم قوة لا نهاية
 لها لان له نهاية فلا بد من متحرك (١) مجرد عن المواد وذلك قسما
 كتحرك المعشوق والعاشق وكما يحرك الروح البدن والثقل الجسم
 الى سفلى فالاول مالا جله الحركة والثاني مامنه الحركة والحركة الدورية
 تقتقر الى فاعل مباشر يكون منه الحركة وذلك لا يكون الا تنفسا

متغيرا لان العقل المجرد الذي لا يتغير لا يصدر منه الحركة
 المغيرة لفتهكون النفس الفاعل للحركة متناهي القوة لكونه
 جسمانيا ولكنه بمداه موجود ليس بجسم بقوته التي لا تتناهي
 وتكون عريا عن المادة حتى تكون قوته تخرج عن
 النهاية ولا يكون فاعلا للحركة فيكون لاجله الحركة
 من حيث كونه معشوقا لا من كونه مباشرا للحركة ولا
 يتصور متحرك لا يتحرك بنفسه الا بطريق العشق . فاذا نظرنا
 في الادراك للاشياء فقال اكثرهم انه لا يكون الا للحس بارادة
 حسية وحركته (١) خلاف النبات اذ حركته طبع تميز به
 الحيوان وهي حركة شوقية وحركة اختيارية فالشوقية
 الى المشتهى والمكروه والارادية هي الحركة في الاعضاء
 للتصرف والمدرسة نوعان نوع يدرك الصورة المتكونة
 بانطباعها في الهوى ويستمر الانطباع حتى ينتهي الى رطوبة
 العين وكذلك السمع وسائر الحواس لهم فيه تخطيط ، واذا مشوا
 في ادراك العقولات دخلوا في مجهله تيه لاعلم لهم بها اصلها عندهم ان

الحواس كلها تنقل المتلقى لها الى سالقة الدماغ من قدام وليس للقلب في ذلك اثر
وهي ان قبلتها ففي لحظة ليس لها ثبات معها بل تذهب عنها لكن ربما القتها
الى قوة في آخر الدماغ تسمى خيالية ثم عندهم قوة اخرى في محل من الدماغ
آخر له تركيب يسمى الفكرية ولهم بعدها اخرى وهمية يسمونها الحاكية
وهي في الحيوانات كلها . وهذه الكلمات شاركهم فيها الاطباء وبنوا
علاجهم عليها - عاصمة - قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه . قو لهم
ان الذات الواحدة لا تنقسم بالفعل يقال لهم نعم ولا بالقول فذكرهم اليعل
وحده تقصيرا وتلبيس . واما قو لهم انه واحد بالامكان فجهل محض ينبغي
ان يقولوا انه واحد بالوجوب . واحد بالوجود لان الامكان ما جاز سواه
وها هنا يمتنع ، هذا وقو لهم انه واحد بالعقل محال لان العقل لا ينظر اليه
واما قو لهم لم يقبل لو احق الكثرة من الغيرية الى آخر الفصل فهو باطل . بل
الباري تعالى غير لخلق خلاف لهم . وقو لهم التقابل فانه يقبله على رايهم وهذا اذا
كان معنوا فاته سبحانه لا اول له والخلق له اول ولا يعدم والخلق يعدمون
وهكذا يتقابل معهم في صفة الجلال هي له والكمال (١) والنقص للخلق ولا

(١) الكمال معطوف على الجلال . او يكون مبتدا والمعني ان الكمال الثابت
للخلق معه النقص ؟

يصح سوى هذا ، واما التقابل بمعنى التوازي فمحال عليه وكذلك
التساوي والتشابه والتماثل محال عليه وكذلك عدم التناهي ، وقولهم
وجوب الوجود ينقض ما سبق من قولهم امكان الوجود كما بيناه ،
واما فصل التقدم فانه بمعنى الشرف واجب للباري ولا يقال ان ذاته
قليل الذوات لانه لا يتطرق اليها القيل الزماني ولا قبل الطبع ولا
شك في ان كل شيء به ومنه على معنى انه الفاعل له بقدرته ولا
اشكال على مذهب الجميع لانه لا يكون موجودا بالقوة واقوى ما
فيه عليهم ان من ضرورته خروجه الى الفعل اوجوا خروجه له
وذلك محال ههنا باتفاق ، وثبت ان الاله هو الذي ليس على حال
من احوال الموجودات كلها وهذا ما لا خلاف فيه بين العقلاء منهم
ومنا فيه انهم لا يفون هذا الاصل حقه في التوابع ، واما العقل فانه
معلوم به لا اشكال فيه عند احد بيد ان الملحدة والشيعية ادخلته سوق
الاشتباه قصد الاتباس اوجهالة فطرية وطراً عليه ايضا استعمال
العرب له في ثمراته وفائده في بعض مقدماته فصار لذلك مشكلا
على من هو دخيل في لسان العرب وبهذا طه وجدت الملحدة السبيل
الى دحياتها ، واهل الفلسفة يطلقونه في معان كثيرة منه عملي وهي

قوة تنشأ عنها قوة أخرى منطلقة الى مامن الجزئيات وهذا فيما لا يخلو ان يكون علما او نظرا او ارادة ، ومنها عقل هيولاني وهذا تهويل يعبرون به عن قوة في النفس صالحة لقبول ماهيات الاشياء مطلقة معداة عن موادها (١) فارق الحامل الصبي والبهيمة وهذا انا يرجع الى علوم مركبة على غيرها فالصبي يعلم والدابة تعلم لكن علما مقصورا والحامل يعلم عليه زيادة . ومنها عندهم عقل فعال وهي القوة التي متى شاء عقلها واحضرها بالفعل وهذا شر عبارة عن تحديد النظر في الخفي باستخراجه من المعلوم الحاضر مع ان ذكره وليس شيء من ذلك اشكال الا من عباراتهم والا فهي علوم كلها مرتبط بعضها ببعض (٢) ويتركب على البعض وكلها يترتب على العلوم الضرورية وتزيد وتنقص وتنسى وتذكر . وقد بينا في غير كتاب ان العقل هو العلم بنفسه ، لا زيادة عليه كيفما تصرفت احواله وانيطت لا تختلف في ذلك . واما اذا ذكروا العقل الفعال فتنتفخ اوداجهم وتغشى وجوههم قترية ويقولون هو كل ماهية مجردة عن المادة ويقولون انه فعال اذ من شأنه انه يخرج الفعل الهولاني من القوة الى الفعل باسراقه

(١) هنا محو ولعل المحو لفظة بها (٢) خ بعضها يرتبط ببعض

عليه . وهذا كله تركيب فاسد ونسبة فعل الى غير فاعل ولا يصح ان يكون اخراج ولا ادخال الا في الاجسام وما يستفاد من علم عن علم لا يقال فيه شيء من ذلك والمادة والصورة هاهنا عبارتان فاسدتان على حاهما من المجاز . العلم المرتب ليفيد علما مادة وحصوله عنه صورة والتهويل بهذا الا باطيل لا معنى له . وقد قدمنا القول في البسيط والمركب - ولا فائدة له في اللغة العربية الا ان بناء بسط للاتساع وبناء ركب للاجتماع المرتب فيصح لهم هذا المعنى في المركب لغة ولا يصح لهم ذلك في البسيط لان معنالا عندهم مفرد ينضاف (١) عليه حتى يصير مركبا . واما قولهم ان نفوس السموات تتحرك بالارادة والسموات والافلاك فياسبحان الله اكثرهم ينكرون الايثار والارادة للاول وينسبونهما للثاني والثاني اغنى عنها من الاول . واما تفسيرهم الحركة انها من شوق فذلك خذلان لم يرضه اخوانهم من القدرية ، وهل ينبعث الشوق الا عن نفس حية رطبة مع بلة وبنية ، فان ركبوها على غيرها كان ذلك دعوى لا تثبت ابدا ، وما ذكروه دعوى محال سموها عقلا وزعموا اننا نحن نسميها ملكا ، فهذا كذب

علينا ولغو منهم (١) فلم يصيبوا في وجه (٢) ذلك ليخرجوا الفاظ
الشرع الى اغراضهم الفاسدة ، واما قولهم انه يدل عليه عدم التناهي
فانه (٣) يدل (٤) على تجويز المحال ، اي مناسبة بين عدم التناهي لو
ثبت وبين ما ادعوه فكيف ولا مناسبة بينهما بحال وهي في نفسها
محال على ما صلوه وما جرى في حوارهم هذا فانه هذه الحركات الدورية
فان كانت لا اخر لها عندهم فلا بد ان يكون لها اول ، فقولهم عدم
التناهي اولا وابدا باطل في باطل ، وقولهم لا بد لها من استمداد من
قوة محركة لا يصح لان ذلك يؤدي الى طلب ما لا ينتهي فيها وذلك
محال . فقولهم يستحيل ان يكون قوة لا ينتهي في جسم متناه
باطل فان ذلك انما يبني على نسبتهم الافعال الى الاجسام وهي
عندنا محال ، لا افعال الله (٥) فيخلق الله قوى لا تنتهي في جسم
متناه على التوارد ، وقولهم لا بد من محرك مجرد ، قلنا قولهم لا بد
من محرك صحيح ، وقولهم مجرد عن المواد ، لا ندرى ماهو ، وان

(١) هذا اقرب ما ظهر من المحو (٢) هنا محو ولعل المحو لفظة فعلوا او قالوا (٣ و ٤)
هذا اقرب ما يظهر من المحو (٥) كذا بالاصل و ثم محو خفيف ولعل اصله الافعال
لله او لافعال الا الله .

حريتنا لم نفسرها لكم ولا معكم ولكننا نقول لا بد من محرك لم
 يتحرك ولا يتحرك وحينئذ يصح ان يكون اصلا للحركات المتحركات
 واما قولهم ان ذلك كحركة المعشوق ، فيا سبحان الله ؛ يصعدون الى
 الملوك ثم ينزلون الى الهاوية بخذلانهم اي عشق ههنا . وما يتجرد
 عن المواد لا يشق ولا يشق ، ولا ينزعج ولا يقلق . وقولهم كما
 يحرك الروح البدن . من افسد شيء عندهم وعندنا ونحن لانسلم ان
 الروح يحرك البدن ولا يجوز ذلك عندنا عقلا . وافسد منه وابدق قولهم
 كما يحرك الثقل الجسم فان ذلك لا يجوز بحال وليس بشيء من ذلك
 لاجله . بلى انه قد يكون الشيء من الشيء وبالشئ على معنى
 بقدرته . والله قد خلق ما في السموات وما في الارض جميعا صادرا منه
 بالقدر والعلو والارادة . كان لبعض ملوك خراسان صاحب ذمي فقال
 له ان عيسى افضل من نبيكم محمد بشهادة نبيكم له بذلك قال له الملك
 واين قال ان محمدا اخبر عن ربه بان عيسى روح الله وكلمة منه فجعله
 من نفسه ولم يجعل ذلك لمحمد . فأرسل الملك الى بعض خواصه وقال دلي
 على عالم خراسان فقال له ما اعلم الا ابا الطيب سهل بن محمد بن سليمان
 بن محمد بن سليم الصعلوكي الحنفي تفقه بآييه وحاز رياسة الدنيا والدين .

فارسى اليه وانعاه بذلك فقال لا بد ان يكون جواب هذا السؤال
 فى القراءان ولكن يفرد لى منزل 'كون فيه لا يدخل على فيه احد .
 ففعل ذلك به فاما كان بعد ثلاث قل اخرجوني فاخرجوا فقال قد
 قال الله وسخر لكم ما فى السموت وما فى الارض جميعا منه . فليس
 ذلك اختصاص لعيسى . وقد رايت راسا من الملحدة كان يجهل بمسالة
 من الاعراب على الطلبة وهو ان يقول قوله خالق لكم ما فى السموت
 وما فى الارض جميعا منه . على من يعود الهاء فاذا راي من بلغ معه
 الغاية السابقة قال له ان كل موجود فهو من الوجود (١) الاول . الثاني
 فاض عنه (٢) فيضان النور من الشمس على سطوح الاجسام بالترتيب
 المذكور عندهم . وان راي عاميا سلك معه مسلك الحق الذي يعده
 مسلك العوام ، وان راي نبيل لم يثق به حقق عليه السؤال وشككه
 فى المقام ولم يبرم معه عقدة البيان ، ولا هتك له قناع الاشكال قال
 القاضي ابوبكر رضى الله عنه قد قال الله سبحانه قل كل من عند
 الله فاخبر بثلاثة اخبار لثلاثة معان . الاول انه جعل الكل من عنده
 الثاني قال ما فى السموت وما فى الارض جميعا منه . الثالث قال فى عيسى

بكلمة منه . فالاول عام والثاني خاص والثالث خاص من الخاص .
وقد قيل الاول في العموم قوله هو الذي خلق لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا منه والثاني قوله في الفوائد والمصائب قل كل
من عند الله والثالث قوله في عيسى بكلمة منه . وتحقيق القول في ذلك
ان حرف من اصله للغاية كما بينا في التمهيد والملجئة ويرد له بلا
عبارات (١) . قد يكون للجنس وللتسبب وللعضية والثالث محال على
الباري تعالى باتفاق منا ومنهم والاول محال عليه باتفاق من الكل
فلم يبق الا الثاني وذلك جائز في كل شيء بل واجب ذلك له فيه
وقد حققنا ذلك كله في موضعه بما لباه — ان الله خلق لنا ما في
السموات والارض جميعا فالسما سقوف والارض والشمس ضياء والقمر
حساب والماء حياة والنبات والشجر اقوات . فكل له وجه من
الانتفاع لنا بجميع (٢) ذلك هذه صفته على الجملة والتفصيل وكل
ذلك عند اهل السنة من الله لا شريك له في خلق ذلك ولا في شيء
منه بل كل ذلك خلقه فاخلصوا له العبادة وعاد الضمير الى الله تعالى
مقرونا بحرف من كما قدمنا على معنى التسبب لا ابتداء المبين لا فتاح

الشيء المقتضى للغاية (١). وقد قال قوم يعود على البحر فالصوفية (٢) يقولون يعود الضمير على الله ويكون معناه انه — سبحانه عما يقولون — به على ان ذاته مبدأ لكل شيء ، عنه كان كل شيء على تركيب العلل فالمعومات (٣) والتواليد والمولدات والنشوء حالا بعد حال في المنشآت فكانت الوحدة مبدأ للكثرة وقد بينا قوهم في ذلك ووضحنا سخاقتهم (٤) فيما تقدم وسنكرر ذلك فيما بعد . واما الطباعية فيقولون ان الهاء تعود على البحر ومعناه عندهم ان الله به عليه فقال الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضاه وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه . يعنى من سحب ومطار ونبات وشجر . فان المطر يصعد من البحر بتدبيرهم الذي رتبوا ويتصعد من طريق السحاب وينزل بترتيب الى الارض فتقبله ويتولد النبات فيكون ولدا من ازدواج الماء والارض فالماء اب والارض ام والبحر ممدن والتصعيد كبقية (٥) من (٦) سخام

(١) هذا بيان لاول السببية للغاية التي هي اصل معنى من (٢) لعل الاصل الصواب فالغلاصة . فان ما ذكره هر مذهبهم . والمقام للواو فلعل الاصل والفلاسفة . (٣) لعل الاصل والمعلومات (٤) خ زيادة : وفساده (٥) هذا اقرب ما ظهر (٦) خ في

لا ترضاه الافهام قد نبهنا على فساد هذا الترتيب كاه وحققنا بطلانه
وسنكرر ذلك ويتأكد ان شاء الله . فكان هذا البائس سير (١)
هذا المعنى (٢) في هذه الآية ويلطخ بها وجوه الطلبة ولا يصرح لهم
بمذهب السنة ليوهمهم ان في بيانها معنى غريبا ويطوى كشحه على
هذه المستكنة ، فقد كشفها الله لكم وله الحمد والمنة . فان قيل فقد
قال صلى الله عليه وسلم اذا نشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقة .
وقال الشاعر الجاهلي في صفة السحاب : شرين بماء البحر . قلنا
سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا .
اذا جاءنا حديث صحيح كقوله لولا بنو اسرائيل لم يخزن اللحم ، وقوله
اول من رأى الشيب ابراهيم . وامثاله قلتم هذا باطل . فاذا جاء
حديث مقطوع ليست له رواية ولا يعرف له صاحب يوافقكم
صادقتمونا به ولا تعدوننا [٣] في حجة [٤] لكم . نحن اعلم بمقاصد
رسولنا وكلام نبينا ولغة قومنا منكم معشنى اليونانية والمناوية . اما قول
الجاهلي فجهل محض واما الحديث فمقطوع السند صحيح المعنى اذن به
النبي صلى الله عليه وسلم في الاستدلال في العوائد فان من البلاد ما علامة مطر

(١) لعل الاصل يسرد (٢) خ هذا المعنى (٣) و (٤) هذا اقرب ما يظهر

نشوء السحاب بخلافه | ١ | وكل بلد بريحها منها بلاد تمطر بالدبور
ومنها بلاد تمطر بالصبا سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا . وصار
معنى الآية خالق لنا مافى السموت وما فى الارض للانتفاع ، وخلق
الافعال الحسية والسببية للابتلاء وخلق عيسى : اية فى الانبياء وهذا
يحقق فى التفسير والمشكين على الاستيفاء ان شاء الله ، وقولهم ان
الحركة الدورية تفتقر الى فاعل مباشر كلام باطل وضعيف . اما
ضعفه فقولهم كل حركة دورية فيقال لهم لا يصح اختصاص الدورية
بذلك فان غيرها فيها كذلك . واما كون الحركة تفتقر الى محرك
مباشر فباطل قطعا دليلا وباطل منهم فقد قال ان حركة الفلك تشوق
ولا مباشرة فيها وانتم ترون هذا التفاوت فى التهافت . وقولهم ان
ذلك لا يكون الا نفسا متغيرا محال دليلا ودعوى بطرا ، وقولهم
ان العقل المجرد الذي لا يتغير ولا تصير منه الحركة المتغيرة باطل .
لا يصدر التغيير الا ممن لا يتغير ولا يفعل شيء مثله ابداء فان ذلك
محال قطعا يقينا . وما ركوبة من واسطة العشق حتى يكون الفعل
عنده كلام غث ، ما اخذ لهم يميننا يكونون بزعمهم فى برهان اذهم

قد خرجوا الى خطبة ومثل وشعر وخلع عذار وذلك عندهم بعيد من البرهان،
 واما النفس فهو عندهم من الالفاظ الالهية وهو عندهم عبارة عن معنى يشترك
 فيه الانسان والحيوان والنبات بمعنى والانسان والملائكة السماوية بمعنى وهو
 بالمعنى الاول جسم وهو عندنا عبارة عن ذات كل شيء موجود عن الروح
 الذي تميز به الحيوان عن الموات، وما ركبوه لا أنفسهم من المعاني على
 الاسماء فهي دعاوي لانهم دخلوا في اللغة فاستعاروا لا غرضهم اسما
 فلا يبالى بهم ولا بمنعهم الا عما يتعلق ذلك بالشرع (١) واما الجسم
 فهو عندهم عبارة عن معان منها المسووح بالابعاد الثلاثة اما قوة واما
 فعل في تفصيل بارد، وهو عندنا عبارة عن كل شيء مؤلف من
 موجودين فصاعدا لا تاليف فيها، — قاصمة — او سمعتم ترتيب صدور
 الموجودات عن الاله لسمعتم احاديث ام عمر ولا حديث خرافة فانه
 ليس كما تعتقده الحاقة، امر دون امر، قال راؤهم وسينهم : غاية
 التحقيق في ذلك ان الثابت كون الاول واحدا من كل جهة ولا
 يمكن ان يوجد من الواحد الا واحد فيصدر عن الاول الواحد
 نشي، واحد يلزم، لا من جهة الاول حكم فيكون [٢] كسرة

(١) هذه الكلمات كذا بالاصل (٢) خ زيادة : فيه كغيره

ويكون ذلك مبدأ للكثير ووجه ذلك ان الاول واجب الوجود
 وغيره ممكن الوجود فهو محكم [١] ممكن وهو بقياس السبب واجب
 فيكون له حكيان قكون الكثرة ، — عاصمة — قال القاضي ابو
 بكر رضي الله عنه : قلنا لهم ان كان هذا طريق الكثرة فهو طريق
 السخافة والخذلان وهما اخوان . وان [٢] قيل لهم لا سبيل ان
 يكون الاول واحدا فان الوجود له لا يتجرد عن علم فانه يعلم ولا
 عن معان اخر امهاتها عندهم الا يكون وجود لسواه الا منه فائضا
 عن وجوده بواسطة او بغير واسطة لا يتكثر بغيره ولا يتجزأ فكما
 كان الوجود الثاني كثرة لانه ممكن لغيره كذلك يكون الاول
 كثرة لان غيره ممكن به والامكان مضاف اليهما معا وهذا الاجواب
 عنه ، واذا قلتم انه سبب لغيره ثاني واحد هاهنا : وانما الوحدة
 المحضة ماقاله امثالهم من انه ليس هنالك شيء يذكر ولا يقال ولا
 يضاف اليه شيء ولا يكون عنده شيء فهذه حالة ربما كان وحده
 ولا يقوم احد منابه ، واماما ذكرتموه فلا اعلم في الكثرة شيئا اكثر
 منه ، — عاصمة — قالوا صدر من الاول عقل مجرد وفيه تعديد بالشيء

(١) خ زيادة لفظة : ماهو (٢) الجواب محذوف تقدير عجزوا

كما يجب فيما قلنا فكان فلکا وملكاً — عاصمة — وهلا كان ماء وازارا
ورطوبة ويبوسة ، وبأي دليل عينتم هذا ومن أي طريق عرفتموه
فلا سبيل لهم الا معرفة ذلك ابدا ، قالوا ونعني بالملك العقل المجرد
وينبغي ان يحصل للاشرف من الوصف الا اشرف والعقل اشرف
والوصف الذي له من الاول وهو الوجوب اشرف ويلزم عن العقل
الاول ثان ومن الثاني ثالث وفلك البروج ومن الثالث رابع وفلك
نخل ومن الرابع خامس وفلك المشتري ومن الخامس سادس وفلك
الشمس ومن السادس سابع وفلك المريخ ومن السابع ثامن وفلك
الزهرة ومن الثامن تاسع وفلك عطارد ومن التاسع عاشر وفلك القمر
وجنات الموجودات الشريفة تسعة عشر عشرة عقول وتسعة افلاك ،
فما زاد في هذا التخاطب ضيق المارستان حتى صار في كل انسان ،
اما شهدتهم السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ
الاضلين عضدا ، ما هذا التبجيح في الدعوى امتلات روسكم هوسا
وتماكنتم من الدولة والخلاء فجئتم بما حقه ان يقذف في الخلا ،
يا ايها الملك من قنبرة بمعمر ❀ خلا لك البر [١] فيضي واصفري

ونقري ما شئت ان تنقري

من اين لكم هذا التركيب فكيف بنا بعده من الترتيب ثم
ما اليه من التعديد ولعل هذه الكواكب كلها في فلك واحد ولكل
كوكب مجراه ، ومجراه في (١) دائرته وفلكه كالدار لكل واحد
فيها مسكنه ، وليس لهم عن هذا جواب ، الا ان يقولوا رصدنا
فاصبنا . قلنا ونحن رصدنا لكم فلم تصيبوا . واذا رصد واحد لا
يتحقق صدقه يبني (٢) عليه السموات والارض . فان قيل نعرف
ذلك بحساب الكسوف . قلنا قد بينا امر الكسوف في موضعه
بابدع بيان . والآن في مناظرتكم نقول هبكم ان ترتيب
مجرى الشمس والقمر على برهان الحساب من اين يعلم ترتيب غيره .
وهذا الآن نظر في الهيئة ولا نبالي كيف كانت وانما المقتدر اليه
ما تريدون ان تبينوا عليه فالدار تصالح للفجور وللعمل المبرور ولا
ينفع (٣) التعيين بدليل عقلي وانما يكون بالوجود او بخبر الصادق
وذلك المفهوم من غرضهم . — تركيب الامتزاجات من العلويات
في السفليات — فنقول لهم اولا تكثرون من ذكر العلو والسفل

(١) او هي (٢) او تنبني (٣) خ يقع

ونحن نقول لا حقيقة له عندكم هل كان علوا او سفلا الا بواسطة
 الانسان فمن يمشى على بطنه اين علوه وقبل ان يوجد ذلك ما العلو
 وما السفل ولم كان الاول الذي صدرت عنه هذه المعاني في العلو
 ولم لا يكون محيطا واذا كان محيطا فلم لم ينزل المطر من جهة
 الارجل الى الرؤوس ويكون النبات على رأسه واصله في رأسه
 اجروا ذلك على موجب الطبع ، حتى يظهر في اثناء ذلك كل
 يدع . ثم من المسكت لهم ان تقول قلتم ان الشمس لا تكون
 سببا لنضج الفواكه الا بشرط قوة طبيعية تكون في الفاكهة قابلة
 لهذا التأثير فمن الشمس كانت هذه القوة لها ام من غير الشمس .
 ومن اغرب محالهم انهم قالوا ان مادة الهواء قابلة لصورة النار والماء
 ولكن غلب البرد فكان لقبول صورة الماء اولى فيقال لهم الجهل
 بهذا الكلام اولى لكم ثم اولى اذا طولبتم بالدليل عليه جفت افواهكم
 وخرست السنتكم . — قاصمة — لما رتبوا منازل الموجودات حتى
 انتهت الى الامتزاجات جعلوها في بعض المراتب استقصات وهي
 النار والهواء والماء والارض ورتبوا لها في الامتزاجات احوالا
 وصفات مختلفة جعلوا بعضها كاملا وبعضها نقصانا وبعضها خيرا

وبعضها شرا ويتأتى ذلك باستعدادات واضافات كان اصلها وجود
العناصر الاربعة المختلفة فى السلفيات ومنها ما يطلب الوسط ومنها
ما يطلب المحيط ولا بد من مادة مشتركة لاجل انه لا يجوز ان
يكون سبب وجودها السموت وحدها فى هذيان طويل هذه
مقدماته . — عاصمة — ومن العجبان الاستقص عندهم هو الجسم
الاول . فهذه الاجسام الاول اوجدت عن مثلها او عن خلافا وما
الذي اوجب امتزاجاتها ولم اختافت احوالها وصفقاتها ولم تزايدت
ونقصت ومن اين نشأت هذه الاستعدادات والاضافات اعن اسباب
مماثلة او مختلفة . اضيفوا نوعا الى نوع وركبوا مثلا على مثل حتى
يظهر تهافتكم فى كلامكم ، فيخرج من فيكم ما يكفيكم . وهذه
العناصر الاربعة التي عينتم هلا كانت ستة و ثلاثة فمن اين وجب
هذا التعديد فيها وتعينت لها والذات جرم بسيط حار يابس طبعه
الحركة الى الوسط من اين كان حارا يابسا دون ان يكون رطبا
والحرارة من اين جاءته وكذلك اليبوسة ولم كانت فى مقر الفلك
اقمرى وهلا كان فى مقر فلك الشمس وكذلك قاتم الهواء حار
رطب من اين جاء هذا وهلا انقلب الامر فيه . ولم قاتم انه يتحرك

الى تحت كبرة النار وهلا كان فوقها . اثبتوا ماقلتم من دعوى وعللوها
بعد الثبوت . وقلتم الماء جرم بارد رطب يتحرك بالطبع الى تحت
كبرة الهواء فوق الارض . والارض جسم بارد رطب طبعه ان
يكون متحركا الى الوسط نازلا فيه . اثبتوا هذه الدعاوي وعللوها على
مرتبتم ولم كانت الارض ولم يكن الماء والهواء والنار كذلك .
ومن اين نسبتم ذلك الى مادة ولم جعلتم سبب وجودها معنى غير
السموت ولم تحدث غيرها فاحتم فيها على العدم . ومن العجب انهم
يريدون ان ينفوا البركة من الحركة فيقولون انها كلمة في عبارة عن
كمان اول بالقوة او خروج من القوة الى الفعل لا في آن واحد . وبالجمل
فكل تغير عندهم حركة فهذا اصطلاح احذر ان تنبني عليه .
حكما : انما الحركة النقلة من جسم الى جسم او ما هو في معنى الجسم
من الجوهر لاسيما وقد ادخلوا في حد الحركة الآن وهو عندهم كلمة
يعبر بها عن ظرف متوهم يشترك فيه الماضي والمستقبل . وهذا سخافة ،
وهو معقول عبارة عن الحال الماثلة التي طرات ثم ذهبت ، والعقل
يقضى بين الطرو والذهاب بالفصل . — نكتة القضا والقدر —
ويقال لهم اذا كان الاول كمالا وشرفا او ذا كمال وشرف وصدر عنه

تسعة عشر من هذا النوع كما قلتم فما هذا النقصان والفساد والشر الصادر من (١) غاية الكمال والشرف والصلاح والخير وانتم تقولون ان الخير فائض من المبدأ الاول على كل احد بواسطة الذي سميتوه فلما او ملاءمة لا سيما وهو عندكم فياض بالطبع . قالوا ما يخلق الشر الا والخير فيه اغلب كالنار والماء الخير فيه اغلب من الشر اذ لو لم يخلق زحل والمريخ والنار والماء والشهوة والغضب لبطل بسبب فقدانها خير كثير . قلنا ولم لم يكن عن فياض الخير بطبعه الا ما لا يفيض الا خيرا من كل وجه كهو . قالوا الخير المحض هو الموجود (٢) والذي لا يتمحض خيرا وفيه شر ممكن ينبغي ان لا يوجد وهو ممكن وكانكم قلتم لو لم يخلق النار ولا زحل الا بحيث لا يكون نارا ولا زحلا . قلنا هذا خذلان وهذيان ومن قال ان قسم الخير الذي فيه شر غير ممكن . قلنا وكيف امكن وجود خير فيه شر عن خير محض ان كان الوجود بالذات فلما وجد بطل هذا الاصل . قالوا الشر في العدم وهو النقص عن الكمال ، قلنا وكيف امكن الشر في وجودكم ولولاكم ما كان شر والعدم عندكم هو احد مبادي الحادث وهو ان لا يكون

في شيء ذات شيء من شأنه ان يقبله ويكون فيه وليس العدم ما ذكرتم
 انما العدم الا يكون شيء اصلا قالوا المفيد للخير بين ان يخلق المطر
 بخير لا العام ولا يعابا بالشر النادر فيه الذي يلزم بالضرورة عنه ، وبين
 ان لا يخلق المطر ليصير الشر عاما واذا قبل هذا بذلك علم قطعا ان
 الخير في ان يخلق . قلنا هذا الكلام على ركاسته باطل لانه ترك
 منه قسم وهو ان يخلق المطر خيرا كله او يخلق الخير دونه فما الذي
 اضطر (١) الى ان يخلق على حاله . قالوا وبهذا الترتيب كان القضاء
 والقدر ومنع من ذكر شره لانه يومهم العوام عجزا فكان الصواب ان
 يقال لهم الله قادر على كل شيء ، ليجب ذلك تعظيما ولو فصل لهم
 لتوهو العجز فهذا سر القدر . قلنا هذا سر القدر بالشين المعجم بالنقط
 الثلاث . ليس للقدر سر بل للقضاء والقدر حكم نافذ كله . ومن شر
 القدر نعوذ بالله منه خلقكم وخلق كلامكم هذا وكونكم في العالم ضلالا
 مضلين بالفاظ هائلة ومخرقة باردة . وقد قال ربنا تعالى وكل صغير
 وكبير مستطر . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله القلم
 فقال له اكتب فكتب ما يكون الى يوم القيامة . وقال ربنا تعالى
 (١) لعل الاصل اضطره

لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، اما ان علماءنا قالوا ان الله قد انبانا عن صفاته العلى واسمائه الحسنى التى منها العزيز المالك الغفار المنتقم فخرى الخالق فى صفاتهم وافعالهم على مقتضى صفاته فلم يكن بدلا جل كونه غفارا من ان يكون هنالك ذنب ، ولكونه منتقما ان يكون هنالك هتك حرمة واقتحام فاحشة وبكونه مقنيا ان يكون هنالك محتاج وبكونه راضيا ان يكون هنالك خير وبكونه ساخطا ان يكون هنالك شر وليس فى المخلوقات صفة الا وهى تتعلق بنوع من الصفات فالقضاء والقدر هو تعلق المخلوقات بصفات الخالق والذريع والانقسام من متعلقات الارادة التى لا يؤمنون بها وهم لها منكرون ، واذا كان عزيزا فالعزيز هو الذى لا يرام بوهم وتنفذ ارادته فى كل موجود ولا يوجد له مثل ولا ينحط عن المنزلة ولا يبالي بالعاقبة ولا مخلص منه ولا ملجأ الا اليه ، اليه منتهى المطالب ولا تلحقه آفة ويفعل ما يشاء ، ومما ينبغي معشر الاخوان ان تعلموا ان كل حديث فى النهي عن الخوض فى القدر لا اصل له ، وانما احدث النهي عنه قوم مثل من احدث القول فيه ، كانهم قصدوا حماية الشريعة بما ليس منها والله غنى عن العالمين فكيف عن الكاذبين — عارضة — حضر عندنا بعض

الطلبة بكتاب علق في آخره على عادة الناس مسطوراً هذا نصه : —
 كلام حكمة الاسكندر في الاعتبار بالاجرام العلوية — بينما
 الاسكندر على سريره في صحن داره اذ تأمل طوابع البروج وآفلها ،
 وجواري السعود في مناقلها وانتظام الكواكب في اقطارها وازديان
 فلكها بزينة مصابيحها وسير دراريها ولوامع شهبها وميز كيف
 وضعت في مراكزها ثم تقبل في مسيرها وتنعكس الى مغاربها بتدوير
 الفلك اياها لا يردعه عارض عن مراعاته ولا يقطعه مانع عن دوام
 حركته ولا يعوقه امر دون المضي الى ما رتب له بطبيعته ، فقال ايها
 الفلك الدوار المنبى عن الحكمة المنوطة بالانوار المتلاثة والنجوم
 الزاهرة والشمس النضرة ، انت فضاء تظله لرحيب ، وان عالماً توثره
 لعجيب ، وان خطر ماضنته لجليل ، وان بصراً يلمح ما وراءك لغير
 كليل ، وان سكاناً عصبوا فيك لفي معقل منيع ، وان حادثاً يشئت
 اركانك ويخر سقفك ويقلقل دار بنيانك لنادح فظيع ، وان قيامة
 مبدؤها انتفاضك لعظيم الخطب ، فسبحان من ابدع جوهره من غير
 عنصر ، وادنى اقاصيك الى غير علاقة ، وركب اعاليك بلا سلم ،
 وفسح حدودك بلا احاطة ، ما ابدل كرور ليلك على نهارك ، ورجوع

عززت ، وفي اي منصب من الفاعلين نزلت ، ابحياتك تصرفت ، ام
 بقدرتك او جدت ، ام بارادتك قدمت واخرت ، وماثلت وغايرت ،
 ام بعلمك اتقنت واحكمت . هذا وهياتك لو تغيرت عما هي عليه
 لم تكن في شيء ، مما ينسب اليك . والتغيير عليك جائز ، فليس بينك
 وبين الحدث حاجز ، والفاعل بالحقيقة هو الله الذي تصدر عنه الافعال ،
 ولا تتغير عليه الاحوال ، هل مايعتقده المغترون فيك الاذكرة
 مخاطرة ، وفكرة غائرة ، لم يصحبها مزيد ، (١) ولم تثقف بقانون
 التسديد ، ما انت بنفسك فكيف ان تكون لنفسك فضلا عن نسبة
 شيء اليك من غيرك ، فمن كان مستريبا بافعالك ، او معتقدا لجلالك
 فلينظر الى امثالك ، فانه يتحقق ان الوجدانية لا توازن بمثال ، ولا
 تعارض بالامثال ، ولا بد منها في الاعتقاد والمقال ، وانتم سبعة افلاك
 او تسعة ، فعند من تبتغي منكم النجعة ، والواحد من له الاختصاص ،
 والعبد المشترك بعيد عن الخلاص وليعلم انه لو احيى عليك بالجدال ، وفوجئت
 بالسؤال ، وطولبت بالنظر والاستدلال لكان لك في الجواب اختلال ،
 ولم ينصرك اعتلال ، فما وراءك يا عصام . اعدم ام وجود ؛ ام بحر

مورود ؛ ام نبات محصود ؛ واي قسم ادعيت من ذلك او ادعي
لك ؛ فقد اسلمك فيه النظر وخذلك ؛ ونحن اذا خاطبنا منك من
لا يعقل الخطاب ؛ وقاولناك كانك — ولست منهم — من ذوي
الالباب ؛ فان لسان الغيرة عنك ناطق ؛ بانك صنيع القادر الخالق .
قل لي وان كنت الغني بي بصدق علمي عن سؤالك
ماذا افدت من الحيوا دث في كرورك وانتقالك
بل انت فيه مسخر مابين حلك وارتحالك
هلا ثبت معظما وادرت غيرك باحتيالك
حتى يكون الكل يس معي في امثالك لامثالك
فالان حين تبينت ايات نقصك واختلالك
امن ذاتك نشات وابدعت واصدرت ؛ هيهات ان تنشأ مختلفات بديعة ،
عن ذات واحدة بالطبيعة . اذ لا تغاير بين المختلفات الا الاثار ؛ ولا
يدل على الاعيان الا الاثار . فالزم قدرك حتى ياتي امر الله فانه
لا يفتربك الا الغافل اللاهي ؛ — قاصمة — اذا نزل القوم عن العلم
الا لا هي وهو القول في الله وصفاته الى مادونه ركبوا كلامهم فيه على
اربعة اركان هي عندهم الصورة والهيولي والحركة والمكان وقد جرت

فيما مضى عرضا فلتذكر الآن قصدا وله عندهم ستة معان فالذي هو
الآن منتحاهم في الصورة هي الحقيقة التي تقوم بالحل وحدها عندهم انه
الموجود في شيء آخر لا جزء منه قالوا كصورة الماء في هيولي .
(١) وهيولي الماء انها يحصل بقبوله الصورة الجسمية وهي عندهم جوهر
وجوده بالفعل ولا يحصل الفعل الا بقبوله . والحركة عندهم كما قدمنا هي
الانتقال من مكان الى مكان او من صفة الى صفة . والمكان هو
السطح الباطل من الجرم . والزمان عندهم هو مقدار الحركة من جهة
التقدم والتأخر . — عاصمة — اما الصورة فهي عبارة عن حقيقة الشيء
في تركيبه وتأليفه او عن حقيقته في ذاته ، والا ول حقيقة والثاني مجاز
فاذا قال القوم انها موجودة في شيء لا يكون جزءا منه فذلك هو
العرض عندنا ولكن ليس على العموم يطلق على كل عرض . واما قولهم
كصورة في هيولي الماء فقد تبين من تفسيرهم الهيولي ان الهيولي جوهر
وموجوده بالفعل ان ذلك يرجع الى : العلم في العلم المقدر
وجوده وعليه محمولون ، واذا كان هكذا فصورة الماء هي الهيولي
المقدرة قبل وجوده وكان مقدرا على ثلاثة انحاء النحو الاول برودة
(١) اصل الاصل في هيولي الماء :

مطلقة والنحو الثاني رطوبة مطلقة والنحو الثالث جرم يقوم ذلك به ،
فهذا هو الجوهر وتقديره وقيامه به اذا وجد فما هذا الهيولي في الهيولي .
واقرب منه (١) يقولون ان الماء اذا كان عن انقلاب الهواء اليه فقد
خرجنا عن ذلك كله ويتهافتوا ولزمهم ما لا انفصال لهم عنه . واما
الحركة فقد بيناها ولا معنى لذكرها على ارادة تغير الصفات واذا
اصطلحوا على ذلك لم تمنعهم ولكن لا يكون اصطلاحهم اصلا
يركبون عليه معنى فان الاطلاحيات لا تتركب عليها المعاني ؛ واما
المدان فلا تمنعهم منه ولا نبالي عنه اكثر من انهم زادوا فيه الحايي
وليس من شرطه ان يكون حاويا بل لو فرضنا جوهرها بين اربعة
جواهر لكان كل واحد مكانا لصاحبه وكانت المحوي واحدا منها
— قاصمة — قالوا العرض عبارة عن معان اكثرها فيها قد افسدناها في
موضعها ومعهولهم فيها الان على الكمية والكيفية والكمية عرض
يقوم بالجواهر من جهة المقدار وهو عبارة عن كل ما يقبل التجزي .
والكيفية عندهم الهيئة في الاشخاص احترازا عن الفصول وهي عبارة
عن كل ماهية قارة في الجسم لا توجب للجسم نسبة الى خارج ولا

(١) يخ من ذلك والاولى ان يقولوا

واقفة في احد اجزائه اجترأ من الاضافة والوضع (١) . واذا قرروا
الحرارة والرطوبة واليبوسة فهي اعراض تتعقب على الاجسام وقد
تزول البرودة عن الماء فلا يبطل كونه ماء لان ذلك معنى في الهولي
لا يدرك بالحواس وقد قال قوم منهم لا يكون الماء حاراً لان ذلك
ابطال للطبع ولكن تمتزج من اجزاء النار مع اجزاء الماء الى تخليط
كثير في الامتزاج اصابه عندهم ان تمتزج العناصر وهي الاصول
الاول بحيث تفعل بعضها في بعض وتتغير كيفيتها حتى تستقر للكل
كيفية متشابهة فيسمى ذلك الاستقرار امتزاجاً بان يكسر النار من
البرودة في البارد وعكسه ونحوه الرطب واليابس ولا بد ان تبقى
الصورة وهي القوى الموجبة لهذه الكيفيات لانها لو بطلت لكان ذلك
فساداً لا مزاجاً ؛ وقد قال ارسطو (٢) طاليس ان قوى العناصر الفاعلة
باقية في الامتزاجات ولا يوجد امتزاج معتدل بحال والارض ثلاث
طبقات والهواء اربعة والنار واحدة . — عاصمة — اما الكمية والكيفية
فهي عبارة عن المعاني التي يسأل عنهاكم ويكيف فيسأل بكم عن اشياء
متألفة في الوجود المحتمل او المقدر ويسأل بكم كيف عن صفات تكون
(١) هذا في نسخة (٢) هكذا رسم في الاصل

تلك الاشياء عليها متوحدة او مثناة. وقولهم انه عبارة عما يقبل التجزي
صحيح في الجملة ولكن اصله لا يتجزى. وقولهم الكيف عبارة عن
هيئات الاشخاص قلنا هذا باطل بل هو منطلق على ما يتشخص وقالوا
يتشخص فهم ان اصطلاحوا على هذا لم تمنعهم ما لم يركبوا عليه مذهبا
واما قولهم انه هيئة قارة في الجسم فباطل قطعا بل يصح ان يكون
دائمه وزائله. واما قولهم لا توجيه نسبة لا الى خارج ولا واقعة في
الداخل باطل بل توجب النسبة من طرفها الداخلة والخارجة. واما
قولهم ان البرودة قد تزول عن الماء فلا يبطل كونه ماء لان ذلك
معنى في الهيولي لا تدركه الحواس فسخافة لان الاعراض المتعاقبة على
الجسم لا يزول الجسم بزوال آحادها وانما يزول بزوال جميعها فلو
فرضت في الماء زوال الرطوبة كما فرضت زوال البرودة ما بقي ماء.
واغرب منه في ابطال مذهبهم ان فرض زوال البرودة يجوز ويوجد
وفرض زوال الرطوبة لا يجوز ووجوده غير رطب محال فلا يصح لهم.
وقولهم ان الحرارة ان زالت لا يبطل كونه ماء لان ذلك معنى في الهيولي
قلنا فافرض زوال الرطوبة عند (١) كلاهما ويبقى في الهيولي ولا يصح

لكم تقدير كون الشيء على صفته في العدم بحال فلا تقطعوا قلوبكم في ذلك . قول من قال منهم ان النار تمتزج مع الماء فيصير الماء حارا قلنا على هذا الخطأ ، ولم لم تكن النار باردة بهذا الامتزاج وما الذي قضى بذلك على الماء مع النار ولم يقض به للماء على النار ، واما قولهم ان العناصر الاول تمتزج فتفعل بعضها في بعض فقولوا من يمزجها لاتنسب المزج الى غيرها (١) انك لاتدري من المازج وراجع (٢) الى الله فان الذي تخبر عنه همج هاج

وقولهم انه يفعل بعضها في بعض كلمة باطل اريد بها باطل لا فاعل الا الله حقيقة ولا فاعل مجازا الا الحيوان . واما عنصر اوماء او نار او حديد فاعل فلفو من الكلام باطل ثم ما قولوا ان كذا فعل كذا يعكس عليهم فيقال لهم لم كان هذا فاعلا وهلا كان الاخر كذلك وما الفاصل بين تلك الامتزاجات في التماثل ومن المقدر لذلك الاستقرار واما قولهم ان الصور تبقى محال لو بقيت الصور ما كان امتزاج وان فسروا الصورة بما ليس بمشاهد فهو باطل ولا يبقى مع الامتزاج صورة ولا هيولي لشيء من الممتزجين الا ما اشتركا فيه عند الانفصال

(١) خ طبعها وهو الظاهر (٢) كذا بالاصل والصواب وارجع . ليترب

فذلك الذي يبغي بعد الامتزاج . وقول ارس توطاليس انه لا يكون امتزاج لمعتدل ابدا قلنا وكيف لم يكن من الخير المحض اعتدال في شيء فما صدر عنه من الامتزاجات اعن عجزا و جهلا . نندخل من ضلت عليه المقاصد . وقد قالوا ان كل جسم بسيط فله شكل طبيعي وهو الكرة ومكان طبيعي وهو الذي يوجد به فان تحرك فانما يتحرك الى مكانه الطبيعي . فيقال لهم بل شكله التربيع ولا فرق وان تعلقوا بهيئة الفلك ، وقد خاب من تعلق بذلك وهناك . ثم يقال لهم فاذا امتزج البسيطان او البسيط وتركبا او تركب فهل يزول ذلك الطبع فان قالوا يزول قلنا ما من حقيقة لشيء يزول لمجاورته لغيره لا وليس في العالم خلط وانما هو كله مجاورة حتى لو خلطت لبنا بماء لكانا منفصلين بل لو خلطت ماء من كوز بماء من كوز لما كانا امتجاورين وهذا اصل من اصول الحقائق ضلوا عنه فتاهوا ولم يهتدوا . ثم يقال له ومن اطبعه لذلك المكان ان نفسه ام غيره فان كانت نفسه فلم غير نفسه وان كان غيره فدع الغير يحكمه ويكون ذلك الغير هو الفاعل حقيقة . وقولهم فان تحرك يقال لهم ولم يتحرك ولا يقولون فيه ما ينفع . وقولهم فان تحرك فانما يتحرك الى مكانه الطبيعي . وهذا تهافت عظيم يكون

في موضعه بالطبع ثم يتحرك منه الى مكانه بالطبع فكل موضع له
 بالطبع الذي فيه ينتهي اليه والذي يمر عليه لاشك انه ايضا بالطبع
 فلا يخرج في حال من احواله عن الطبع . هذه سخافات لا تعقل من
 اقوالهم . — قاصمة — قالوا في الامتزاج والتكوين والفساد مالا يحصى
 من الفساد والعناد ولكن تضبط منه لكم الآن جهاتين . الجهة الاولى
 قالوا اذا سخنت الشمس الارض بواسطة الضوء صعدت من الرطب
 بخارا ومن اليابس دخانا وما ثخن منها وهو الجهة الثانية ، في باطن
 الارض معادن فيتكون في الجهة الاولى من مادة البخار الغيم والمطر
 والثلج والبرد واشياء ذكروها فتى ارتفع من الطبقة الحار من الهواء
 الى النار ثقل (١) بالبرد انعقد فصار غيما قالوا ويتكون من مادة
 البخار والرياح الصاعقة والشهب والكواكب ذوات الاذئاب والرعد
 والبرق فاذا تصاعدت ارتفعت في وسط البخار فهي اميل الى جهة للفوق
 فاذا ضربه البرد ثقل وانعكس وتحامل على الهواء دفعه وحركه الهواء
 بشدة فحصل الرياح وان لم يضربه البرد تصاعد الى الاثير واشتعل
 النار فيه وان استطال الدخان كان كوكبا متقضا وان كان لطيفا

القلب نارا فلا يرى فان النار تخرج عن المشاهدة بان تصير ماء صرفا
 (١) او تنطفي فتصير اهواء وان بقي شيء من الدخان في الغيم فتحرك
 بشدة صار رعدا فان قويت حركته صار نارا وهو البرق وان كان
 كثيفا ثقل الى الارض فصار صاعقة ولا يخاو برق عن رعد ولكن
 بحدة البصر يرى ولا يسمع لان البصر يدرك بغير زمان والصوت
 لا يسمع مالم يتحرك الهواء كله . — عاصمتها — اما قوهم اذا ارتفع
 البخار من الهواء الى النار باطل ليس للهواء وصفان انما هو حار او
 بارد . وقوهم ارتفع البارد الى الحار تخليط بل يرتفع الحار الى البارد
 لان شان الحار الارتفاع و شان البارد الانخفاض . واما قوهم ثقل
 فكيف يشغل حار لقد انقلبت عليكم الامور وقوهم يتكاثف اقلب لم
 يتكاثف الحار بقاء البارد ولم يتلطف البارد بقاء الحار وقوهم انعقد
 فصار غيما يقال لهم من يمسك المتكاثف الذي شانه الاستفال ومن
 جعل النار تصعد اليه والمتكاثف يثبت فلا ينزل . واما قوهم يكون
 من مادة البخار الرياح لانه اذا تصاعدت قلنا هي المتصاعدة قالوا
 ارتفعت في وسط البخار قلنا ولم لم تنسبه الى الطرف اذ هي اميل الى

جهة الفوق كما قائم وقولهم اذا ضرب البرد ثقل يقال لهم فكيف
يثبت مع الانتكاس في مقرة فالى اين يبلغ والى اي حد انتكس
ومن قدر له هذا التقدير ورتبه اطبع تقولوا ام امر غيره فعينوا .
وقولهم انه يطيح (١) للهواء فتحصل الريح قلنا دعوى ويبطلها
العيان نحن نشاهد الريح ولا بخار ولا دخان ولا غيم الا الصفا المحض
وقد يكون الغيم اعظم ما كان حتى يظلم الارض ولا يكون عنها
رياح وتنجلي عن غير شيء . وقولهم ان لم يضربه البرد تصاعد الى
الاثير . ما الذي يمنعه عن صرف البرد له اعدم البرد ام يلقاه فيخول
بينه وبينه حائل ومن هذا الاثير الذي يصعد عليه وربما حال بينه
وبينه الوثير فان قالوا وما الوثير قلنا ابو الاثين خاط بخلط وتضلال
بتضليل وقولهم تشتعل النار فيه . احطب هو فان قيل بطبعه يقبل
الاشتعال قلنا وما طبعه فان فسروا لم نعدم البطالة بما تقدم . وقولهم
ان استيطان الدخان صار كوكبا يقال لهم كذا النار اذا اشتعلت
صارت ماء . ياحق ما الدخان المظلم والنور المضيء ضدان طبعا
ووصفا ومشاهدة . السفسطة يقولون ام على الله يفترون . وقولهم ان

كان لطيفا انقلب نارا في المحال مثله . والطامة العظمى عليهم قولهم ان
 النار المتكوّنة من البخار اذا كان لطيفا تصير ماء صرفا . فيا لله وهذه
 العقول التي تسمع مثل هذا د ع عنك الذي يقوله . وقولهم ان تحرك
 شيء من الدخات صار رعدا قلنا ليس الاصططاك لبخار متفك
 انما يكون لجسم مصمت ثم من يحركه واذا تحرك من يمسك
 الاخر حتى يصدمه هذا ولعله يدفعه فيندفع له وقولهم فان قويت
 حركته صار نارا قلنا لم يصير نارا وهلا انقلب رجلا مخذولا عندكم
 يقول انه فعل الله او ينقلب ثورا او ينقلب ترابا وهواء وقولهم ان
 ثقل صار صاعقة قلنا لا ندري ما الصاعقة صوت حيوان او هدم بنيان
 ويقال لهم اذا لطف صار نارا . فاذا كشف لم لا يصير طينا وقولهم
 لا يخلو برق عن رعد المشاهدة تكذبه فانا نرى البرق في الصحو الذي
 لا يكون منه غيم ابدا ويتقدم البرق الرعد قلب ما قالوا — الجهالة
 الثانية — فيما يتكبر من المعادن في باطن الارض ينطوي على
 — قاصمة — من جملة الجهالة الاولى . وهي ان الشمس تصعد من
 الرطب بخارا ومن اليابس دخانا اذا سخنت الارض فتكون في
 باطنها ابخرة فيتصاعد من باطنها من تلك الابخرة بما سرى من حرارة

الشمس فتتنفس وتتفرق في الخروج من مسام الارض الا مايقع تحت
الجبال الصلبة فانها لا تتنفس فاذا احتقن صار مادة للمعادن واذا وجد
منفذاً في شعب الجبال فان كان ضعيفاً بردته حرارة الشمس ورجع
هواء وان كان قوياً او كانت حرارة الشمس ضعيفة ولم تؤثر الشمس
فيه فيجتمع وربما اعانت الريح على جمعه بان تسوق البعض الى البعض
حتى يتلاحق فاذا انتهى الى الطبقة الباردة تكاثف وعاد ماء وتقاطر
ويسمى مطراً فان ادركه برد شديد جمد ونزل كالقطن المندوف فان
لم تدركها برودة حتى اجتمعت قطرات ثم ادركتها حرارة من
الجوانب فانهرقت البرودة الى بواطنها صارت برداً . — عاصمة — قل
القاضي ابر بكر رضي الله عنه لهذا وامثاله قال ربنا تعالى مالكم كيف
تحكمون افلا تذكرون ام لكم سلطان مبين قولهم ان الشمس
تفعل كذا الى قولهم دخان تحكم بغير علم وتشهى بغير نيل وقولهم
ان تلك الا بخرة تتنفس ما الذي ينفسها وقولهم يخرج من مسام
الارض يريد من خللها ما من مسم الا وتدخل عليه حرارة وكيف
تخرج منه برودة او حرارة مثلها . وقولهم الا مايقع تحت الجبال
الصلبة فمن اين يمنع الجبل من دخول الحرارة ويمنع من خروج

البخار فإن دخل عليها حرارة خرج عنها بخار ولم لا يكون حر الشمس يأخذ من الجبال عمقا بمقدار ما يأخذ من الأرض ويكون الواحد في النفوذ إلى باطن الأرض واحدا سهلا أو جبلا وقولهم إذا احتقن صار مادة للمعادن . وكيف يكون حر الشمس مادة وهو واحد ذو طبع وصورة لمعان متضادة قد بينا استحالة . ويقال لهم حر الشمس الناقذ في جوف الأرض ولذا فكيف يقال إذا برز إليه برودة وكيف يصح أن يرجع البخار هواء ويتقلب الحال فيه وهلا رجع نارا أو ماء . وقولهم إذا تكاثف صار ماء قلنا لهم هذا البخار لا تدرون قبل (١) إلى أي شيء تردونه نارة نارا أو هواء أو ماء أو معادن أو بروقا أو غيما أو رعدا فقولوا أنه رجع صخرة أو فيلا أو حمارا أو ثورا وما هذه الحالة (٢) إلا تدعون مرة عن هذه السخافة . ومن اللطيفة التي جعلت الطبيعة الباردة في ذلك الموضع ورطبت تلك الطبقات بترتيبكم (٣) المتحكم فيه وهذه اللطيفة بسيطة أم مركب مادة أم صورة وكيف ينتظم هذا كله معها فسروها وركبوا المعنى عليها وذلك لا يتمنى أبدا . وقولهم ربما أدركه برد شديد ما البرد فسروا واي

(١) هذا أقرب ما يظهر (٢) أو الحدة ؟ أو الجدة ؟ (٣) بالاضل تربتكم

شيء اوصل البرد الى ذلك الموضع ومن جملة فيه وليس ذلك
بغريب في قدرة الله فان الذي ركب لكم هذا البرد في كلامكم قادر
على ذلك كله ولو نسبتوه اليه كما ينبغي لا كما تقولون ، وقولهم ان
ادركته حرارة صار بردا ولم لا يصير نارا او رمادا او من جهالة في
جهالة ، — عاصمة — قولهم ان البخار اذا احتقن في الارض كان
كبريتا وربما انعقد كالماء الصافي فيصير ياقوتا واذا استحكمت امتزاج
الدخان بالبخار كان نحاسا وذهبا وفضة ورصاصا وقالوا خرافات
استحي ايادها جملة ان كل ما عقده البرد يذيبه الحر. — عاصمة —
قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه نقول لهم ان ما كنتم تهيمنون
(١) به في لطافة المعاني ودقة الالفاظ ورقة الخواطر في الرياضيات وما
الذي يصير الدخان والبخار كبريتا ولم صار وهذا في بقعة وهذا في
اخرى هلا انقلبت الحال وما معنى قولكم استحكم امتزاج البخار
بالدخان والبخار عنكم ما يفيض عن رطب والدخان ما يفيض عن
يابس والارض باردة يابسة ففاض الحار عندكم على البارد فبخرة وعلى
اليابس فدخنه وهلا فاض على البارد فوقف وعجز عن تآثر فيه وتداخلا

او اثر البارد فيه و لا اذا بلغ الحار اليابس فاحرقه (١) كما تفعل النار
 بالخطب اذا كانت يابسة واذا بخرت اودخت وكان التأثير للحار
 في البخار والدخان فالذى (٢) يقلب البخار بُرْزَا او كبريتا او
 تقرّة ان ادمغتم لبقرّة . وما معنى قولكم استحکم امن ذاته وبنفسه ام
 بواسطة من غيره وما الذى يقعد به عن الاستحكام ويجعله عزيز ومن
 يعارضه فلا تقولون ما ينفع و كل حرف تنطقون به فجوابه منه
 مع ما تقدم فليرد اليه بكلمة . قال القاضى ابوبكر بن العربى رضى
 الله عنه انما سردنا لكم هذا كله استدراجا لتسمعوا كلامهم وتكشفوا
 غاية عقولهم والطريق التي بها ارادوا ان يقضوا على حقائق الاشياء
 بزعمهم دون الانبياء وهلا نسبوا ذلك كله الى الله تعالى وقالوا انه
 الخالق لذلك كله شيئا بعد شيء وطبقا بعد طبق فالتقوم بجهلهم راوا
 تركيب شيء على شيء فنسبوا الثاني الى الاول وذهلوا او قصدوا (٣)
 ان ينسبوا الثاني وما بعده الى ما نسبوا اليه الاول وسموه باسماء وجعلوا
 له قوى . فان قيل لا يصح ان يكون شيء واحد مبدأ لشيئين
 بحال . قلنا هذا هو الواجب فلم احلتموه فان قالوا الى الطبع قلنا فلا

(١) فيخ زيادة وهلا فاض فيه (٢) لعل الاصل ما الذى (٣) ويحتمل قصروا

يكون عن الاول الا مثله ولذلك يلزم في الثاني والثالث فمن اين جاء هذا الاختلاف فان اعادوا ذلك الكلام المتقدم من وجود التركيب باسبابه فقد تقدم الجواب عنه . - قاصمة - نبغت طائفة تسترت بالاسلام وهي تبطن عقائد الاوائل فقالت لا يقتدر في معرفة الله ولا في وجوب ذلك على كل احد الى شرع وقالت مؤكدة لذلك ان القول بان معرفة الله يقف على الشرع يبطل الشرع وذلك ان نبيا لو مرض دعواه واطهر آيته ودعا الخلق الى النظر في قوله والايمان به وكان لا واجب الا بالشرع لقالوا له لا يجب علينا في معجزتك نظر لانه لا واجب الا بالشرع ولم يتقرر بعد شرعك ولا ظهر صدقك فتآل ايقاف الوجوب على الشرع الى نفي الشرع . وهذه اعظم شبهة لهم . قال علماءنا قولا بديعا اذا ظهرت المعجزة فقد دل الشرع واستقر الوجوب ووجب على الخلق النظر والايمان وليس من شرط الوجوب على المكلف فيما اوجبه الله عليه من ذلك علمه بوجوبه انما الشرط تمكنه من ذلك وكونه بصفة من يصح منه ذلك على معنى نفي الافات المضادة للقدرة والمعلم عنه ولهذا قال علماءنا لا يصح قصد التقرب الى الله بهذا الواجب الاول لان

من شرطه معرفة المتقرب اليه ولما يحصل بعد . — عاصمة — قال القاضي
ابوبكر رضي الله عنه هذه طائفة لم تعلم العقل ولا عقلته ولا علمت
الوجوب وقد بينا ان العقل ان افتمقر الى بيان ووقع فيه خلاف
فامسحوا ايديكم عن انفسكم انما ارادت الالباس على الخلق من اول
اللوح فماذا ترجون في اثباته من البيان او كيف تبلغون الى آخره
وهم يقولون انه يشترك من معانيه صحة الفطرة ومنها التجربة ومنها
الوقار والسكينة وزادوا عن اخوانهم الفلسفة انه علوم ضرورية
وعاوم نظرية وعلمي وهيولاني وملكي وفعلي ومستفاد وفعال . اما
الاول فقد ينسبوا الى ارس توطا ليس وفرق بينه وبين العلم وقال
انه تصورات ومعاني تحصل للنفس باصل الفطرة والعلم يحصل
بالاكتساب فتلقفه الخليل منه وقال العلم ممرقتان مجتمعتان فعرفت
زيدا قائما حال لزيد وعلمت زيدا قائما مفعول ثان لعلمت وهذا اصطلاح
بارد تلقفه الخليل رسطالية ، وادعاه عربية ، ولا سبيل اليه بحال .
لان العقل هو العلم بعينه على ما بينه ان شاء الله . قالوا واما العقل
النظري فبقوة في النفس تقبل بها ماهية الامور الكمية والحس يقبها

جزئية . واما العملي فهو قوة للنفس مبدأ (١) لتحديد (٢) القوة التشويقية الى ما يريد من الجزئيات . واما الهولاني فهو كاستعداد الصبي للقبول واما الملكي فهو ان ينتهي الى حد التمييز حتى اذا عرض عليه شيء وجداه به عارفا . واما الفعلي فهو الفعال قالوا فهو نمط آخر وهو كل ماهية مجردة عن المادة فهو من جهة ماعقل جوهر صوري ماهية مجردة من ذاتها عن علائق المادة من جهة هي ماهية كل موجود وهو فعال لانه يخرج الفعل الهولاني من القوة الى الفعل بإشراقه عليه . قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه فما ظنك بمعلوم بين يدخل في الاشكال في هذه السوق الكاسدة ، ويباع البيوعات الفاسدة ، العقل كما قال الاول :
وقد ظهرت فما تخفى على احد ❀ الا على احد لا يعرف القمر

وهو في لسان العرب العلم لا فرق عندهم بين عقلت وعرفت وعلمت . وما رتبة النحاة من الذات والصفات في العبارات لا ينبغي عليها حكم لان العرب لم تنتج به ما انتحوا ، ولا اضمرت ما اضمروا والقوم مشكورون على ما رتبوا غير ما (هو به بهم) (٣) فيما قرروا من

(١) (٢) هذا اقرب ما يظهر في الاصل (٣) ما بين الهالين كذا بالاصل ولعله هكذا : (موهوا به)

المعاني وصورها . والحق — كما قال الله عز وجل — والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا ثم يخلق له العلم العقل المعرفة التمييز الادراك التفتن الذكر الى آخر الخطط والاسماء رتبة بعد رتبة وشيئا بعد شيء وليس فيه استعداد لذلك من عند الله فيه الا ما ينسبه له كما ينسبه في الشجر والحجر وطرف الظفر والانملة لا يختص ببنية ولا يلزم بحالة فان جرى شيء من ذلك على صفة فهي عادة ولا علة وحالة عارضة باتفاق من صنع الله وارادته لا واجبة في مخلوقاته ويخلق له علما مركبا على علم يحدلا متساويا في ثمرته وافادته فيكون تجربة فان ظهر على اقواله وافعاله كان مستغفا به لانه المقصود منه وان لم يظهر نفي عنه لوجهين قد تقدم في قوله لا يزنني الزاني حين يزنني وهو مومن احدهما كمال العلم من طرفه والثاني نفي ذاته اذ لم تظهر فائدته في تلك الحالة . فاما القول بانه علم ضرورة فانما تعلق به المتكلمون من علمائنا لانهم رأوا انه لا يتلي الله باوامره ونواهيه الا من جعل فيه مقدمات من علومه فتلك المقدمات لما سماها الله عقلا ظنوا انه كالعقل ولا يلزم ذلك لان الله قد سماها علما فقال ان في ذلك لايات لقوم يعلمون كما قال ان في ذلك لايات لقوم يعقلون .

واما قوهم ان النظر قوة في النفس تقبل بها الماهية للامور الكلية
فهو العلم السابق لما يكون بعدا ويترتب عليه وتسميته قوة مجاز
لا معنى له . وقوهم يقبلها كاية والحس يقبلها جزئية كلام فاسد بل يقبلها
جزئية تامة الا انه بتدريج والحس يقبلها جزئية كراتة نعم من المحسوسات ما لا
يحصل الا كليا وهو الاكثر . واما قوهم ان العملي قوة هو مبتدا التشوق
فهو دعوى ما لا يوجد وعبارة لا تفيد اما (١) قوة فلا معنى لقولها . واما قوله
تجريك القوة التشوقية فكانهم يريدون الفكر وهو تريد النظر في
التطاع والتشوق الى المطلوب وهي كلها ما راف وعلوم تجمع وترتب
لتفيد وهو الذي يسمى النظر . واما قوهم ان الهولي هي الاستعداد
فمجاز بعيد لان استعداد المحل لا (٢) يكون عاقلا لا يسمى عقلا الا
مجازا بعيدا كما (٣) تسمى النطفة انسانا لا استعدادها للانسانية . واما
قوهم في الملكي فانما عبروا به عما حصل من العلم وملكة الانسان
فهو يتوصل به ويتوصل الى ما وراءه . واما قوهم ان الفلي هو
الفكر فلا يصح ان يسمى فليا لان الذكر ليس بيد المرء لطول
الذهول عنه . (٤) فلا يردا ابدا اليه الا ان يردا اليه واهبه ابتداء

(١) هذا اقرب ما ظهر (٢) لعل الاصل لان (٣) امله كما لا ينبغي (٤) خ عليه

او لسبب يخلقه له عندا فالشيء بالشيء يذكر . واما قوهم ان
المستفاد هو ما لم يفتقر الى مادة فمعناه ما لم يحتاج الى ان يقتنص بنظر
ولا يسعى في تحصيله . وهذا كله يبين لكم انه علوم بعضها يتلو بعضها
ويتوالى مع البعض لاسيما على مذهبهم في يلي وتوالى على ما يفسر
في موضعه . قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه واما قوهم في الفعال
فذلك هو الداء العضال هو المبدأ الاول عندهم الذي عن ذاته صدر
الكل من عقل وبسيط ومركب وكرة ومربع وحار ورطب وبارد
ويابس ولكن اختاروا له العقل لشرف الاسم دون الكثرة وغيرها
من الاسماء فله ماهية في ذاته عندهم وهو مادة كل ماهية اذ يخرج
الهيولي الى الصورة والفعل بفيضان نورا عليه لا يعلم ولا بقدرته ولا
بايثار ولا بشيء من تلك المعاني الواجبة له . وقد تبين لكم ان هذه
اسماء لا فائدة تحتها ، وتهويلات لا طائل وراءها . قال القاضي ابوبكر
رضي الله عنه فاذا تقرر ان العقل هو العلم اصلا ، وتقرر بيننا وبين
هذه الطائفة المستورة بغطائنا فرعا ، بنينا عليه غرضنا معهم . وقلنا
لهم اذا كان العقل هو او نحو منه او صفة يتأتى بها درك العلوم
وكان الوجوب عبارة عن فعل يتعاق به الذم عندنا او العقاب عندكم

فأي معنى يربط أحدهما بالآخر أبداً . وتحقيقه أن الوجوب ليست
بصفة تقوم بالوجوب كسائر صفات المعاني القائمة بالذوات وإنما هو
عبارة عن لزوم الفعل لفاعله واللزوم عبارة عن قول صدر عن الموجب
الملزَم لم تحصل فيه مشنوية ولا ممكن فيه من تركه أن كان من
طريق الابتلاء . وإن كان من طريق الضرورة الالزامية كشرب
العاطش واكل الجائع فهو عبارة عن استدعاء النفس فعلاً بذات
المستدعى له داع إليه يذهب به (١) ما قام به أو يلب إليه ما يستفيع
به . ومعرفة الله حقيقة مكتسبة بامرأه فالمرء لا يمكن منه امر لم يكن لها
وجوب لاسيما وهم يقولون ان الوجوب يعرف باستحقاق العقاب
وذلك خبر عن فعل يقع عقيب فعل وذلك لا يعلم الا بالخبر او العادة
وشيء من ذلك ليس عند المكلف . فان قيل قد تقدم انه يقوم
بذات المكلف خاطر بان له ربا انعم عليه وان ذلك يعين شكراً
ويحضر خاطراً انه ان شكره اثابه وان ترك ذلك استحق عقابه
فيستحثه عقله على تخليص نفسه . قلنا هذه مقامات فاسدة في ذاتها
فاسدة بنقصانها . اما قائلهم انه يقوم بذات العبد ان له ربا فانه كلام

ملتبس ابتدى به وركب عليه مثله اما تصوير قيام هذا الخاطر
 بالقلب الفارغ عن امثاله ففرض محال عادة فان المرء انما يعقل عند
 نشأته منافعه الحسية وملأذه ووجه طرق تحريكها باسبابها التي تشاركه
 في جملتها وتفصيلها البهيمية وغيرها اذ كل نفس سواها ربها والهمها
 فجورها وتقواها وعبر عن المنفعة بالتقوى وهي منها وعن المضرة
 بالفجور وهي منها بحكمة عظيمة بينها في امالي انوار الفجر .
 فاما النظر في الصانع وحقيقته ، والخاطر على اصل الوجود وصفته
 فلا ينشأ في الخاطر ابتداء في العادة بحال الا ان يقرن بسمع امثاله
 من اشكاله فيما هو عليه من اصل الفطرة لتوضح (١) الجادة التي
 تفتن لها . وانما يتصور هذا كله بعد ارسال الرسل والتعريف
 بالاله والزام الشكر فشاع ذلك في السنة الخلق فمن سمع التحقيق
 فسلك الطريق افضى به الى المورد . ومن سمع التحقيق واخطأ
 كأمثالكم الطريق وقع في الهلكة . وقد يرى بعضهم قوما يعبدون
 الاصنام والحجارة لانها بزعمهم تضر وتنفع فيرى بخاطر عارض
 سماوي الاهي انها ليست كذلك فيعلو بهمته الى فوق فيعبد

الشعري العبور بضياؤها او القمر او الشمس . وقد يرى آخر ان
هذا ليس بشيء وسمع ان هنالك دينا خيرا من هذه الاديان فيخرج
في طلبها فيسمع كلاما ممزوجا فيقبله او يعرض عنه وينتظر
سؤالا . وقد سمعنا حال قس وورقة وكلام لبيد والا عشي في التوحيد
والنابغة وذلك كاه باطراف من التوحيد كانت تتعلق بهم مما بقي
بايدي اتباع الانبياء عليهم السلام من مقدمات الملك . واما قولهم
انه يرى انه يلزمهم شكره فاي شيء يري ذلك ان قلتم انه ينشئ
له ضرورة فيلزم وجوده في جميع الخلق لا شتراكم في الضرورات
ام يخطراه نظرا فان كررتم النظر الاول فقد تقدم التقصى عنه ،
وان قلتم انه يحمله على المنعمين من الخلق فما افسده من نظر كيف
يتشبه او يقاس من لا يجوز عليه الحظ ولا يتعلق به النفع والضرر ولا
تقوم به اللذة ولا يتكثر بالقلة ويطلب العوض ، على ما شأنه الرغبة
والحظوظة واللذة بالاسباب والتكثر من القلة ويطلب العوض وهذا
تشبيه فاسد وبهذا انطلقت صفة التشبيه على الطوائف كلها خلا
اهل السنة . وزادت هذه الطائفة بانها عطلت في الصفات وشبهت
في الافعال فانسلت عن ربقة التوحيد . واما ذكرهم

في الخاطر بانه (١) ان شكره يستحق ثوابه فما سبب هذا الاستحقاق هل نفس الفعل فهذا محال من طريق النظر لان الشكر جزاء نعمة فكيف يستحق الجزاء على الجزاء وان كان انما يستحقه بالخبر منه عن ذلك — وتقدير سؤالا محال — فالقول محال لانه لم يكن هنالك بعد مبلغ للخبر . واما قولهم ان قصر استحقاق عقابه فما لم يكن سبيل الى استحقاق الثواب لا يتصور معه استحقاق العقاب لاتحاد الطريق . — قاصمة — نبغت طائفة قالت قولكم ان المعول المرجوع اليه هو قول الله وحكمه وان الموصل له الينا وهم رسله الذين اولهم آدم وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وهذه كلها دعوى فان العقول ترشد الى السياسة الالائية والقوانين الحكيمة وقانون التدبير الجامع للمصالح المنتظمة لعامة الخلق واصلاح الاخلاق وتطهير الابدان عن اوصاف النجاسات والقلوب عن اخلاق الدنات حتى يطرد الصلاح في الباطن والظاهر ويستمر البقاء على الميش الطيب والاستقامة الخاصة والعامة وهذه كتب الحكماء سيرهم في انفسهم ووصاياهم لغيرهم تتضمن جميع ذلك فمن

اراد النظر فيها فقد جليت له في منصتها . وكفى بمد ذلك بايضاح
العقول رسلا وبمقتضياتها (١) ادلة قادة (٢) الى الغنى الذي لا يصحبه
فقر . والنعيم الذي لا يقترن به كدر ، والكمال الذي لا يقترن
به نقصان ، ولو عولنا في درك الحقائق على الانبياء ما كنا نقف على
حقيقة ابدا فانهم يقولون نحن رسل الله وياتون بافعال غريبة تخرج
عن حد العادة فيتحدون بها على صدقهم بطريقتي انها فوق طوق البشر
ياتي الله بها على جهة العضد لهم والنصديقي لقولهم . وتلك الامور
الغريبة التي يأتون بها داخلة في طوق البشر محمولة اما على خاصة
ادركوها او على وجرة من الحيل نظمرها على بعد وجمعوها حتى
انتهت الى هذه الحالة شهروها للخلق وابرزوها ، ولو لم يكن في
الدينا الا حجر المغناطيس الذي يجذب الحديد من بعد ولا يجذب
الذهب ولا هبة الثوب (٣) ونحن نرى السحرة ياتون بالغرائب
حتى ان الواحد منهم ليهزم الجيش ، ويرد الجبل الصغير تالا ، ويجري
الماء على الارض سيحا ، وينزل المطر صبا ، ويريك الجذب خصبا (٤)

(١) بالاصل وبمقتضياتها (٢) خ مادة (٣) الجواب محذوف تقديره لكفى في اثبات
الخاصية (٤) هذا كذب ومبالغة فليس هذا من مقدور السحرة لا بالحقيقة ولا بالتخييل

ولا تحسب في الحقائق فوله ولا تقبل قوله ، هذا الى ما في الوصول الى حالة القبول من الرسول من العقاب التي يقطعها (١) بازل، ولا يكون الفكر عنها ابدا الا نازل . منها معرفة حقيقة النبوة ، واثبات كلام الله تعالى الذي يترتب عليه ارسال الرسل ، وجواز بعثة الله الرسل ، ومنها تعيين ما تأتي به فانها ان قالت ما نعلم فلا يحتاج اليها وان قالت ما لا نعلم فلا يقبل منها صاع انا رايناهم يقولون اشياء يردها العقل واكثر الخلق لا يقبلونها واي فائدة في مخاطبة من يعلم انه لا يقبل . ومنها وجه المعرفة بانه رسول وقد بينا ان ذلك يعسر لاشتباه الافعال لاسيما وانتم تقولون انه جائز على الله ان يعم الخلق بالضلال فما يومنكم ان يكون ما (٢) اتى به الرسول سببا لاضلال الخلق وقد قلتم ان للمعجزة ستة شروط وعلى كل شرط منها من الاشكال ما يعلا القراطيس فكيف يخلص من هذا . وهذا وانتم بعد الى الان لا تدرون هل دلالة المعجزة عقلية او عادية فمتى تقطع هذه العقاب العشر ويرتقى الى بقاع (٣) المعرفة والناس ضعفاء والشعوب كثيرة والعمر قصير والذي يدعى انه وصل قليل والالات معدومة

(١) لعل الاصل لا يقطعها (٢) بالاصل مأتي (٣) لعل الاصل يفاع

او متعذرة والسفر طويل لقد ابدتم النجعة على الخلق في المطلوب .
والذي يمكن ان ينظر الانسان في امهات الفضائل وهي (١) واذا
حصل عليها فما وراءها مرمى ولا بعدها مطلب ولا يحتاج في ذلك الى
رسالة قد ادركها خلق دون نبيء — عاصمة — قال القاضي ابوبكر
رضي الله عنه . هذا مذهب ليس عليه احد من الخلق له حصة بيد
انه لما كان الابتلاء من الله بالوظائف امرا تماقه النفوس وتقف دونه
القدرة وتغلب عليه الراحة وكنت النفوس الامارة بالسوء الى البطالة
وكانت الجبلة مفطورة على الشهوات . وانتقاء المختار بعيد عن الخلق
وبينهم وبين كمال النظر حجاب — ركن الى الدعة وتملئ بذييل
العجز الاكثر في الوجود ، الاقل في الاعتداد . وهم — وان كانوا
لا يتظاهرون به لغلبة الاسلام — فانهم يبطنونه . ولم تق عليه مناظرا
في رحلتى الابن عمار قاضى الاسكندرية الملقب بعز الملك والقاضى
حامد بن (٢) نزيل بيت المقدس المنتسب الى مذهب ابى حنيفة
والقاضى ابن الكحال ولكنهم الى الفلسفة ينتسبون [٣] واعايبها يعولون

(١) قال في هامش الاصل المنقول عنه : هاهنا بياض في الاصل . ولعله هكذا
«وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل» كما يستفاد من كلامه عليها فيما ياتي (٢) ههنا
بياض بالاصل (٢) بالاصل زيادة لفظة «هؤلاء»

فاما الانخلاع عن رتبة الفلسفة والشرعية فلم المحه محال . وانا ابين
 بفضل الله وجه الاعتصام من هذه الضلالات ، والتفصلي من مجموع
 هذه الشبهات فنقول ان الله تعالى قد خص هؤلاء بالذكر وصددهم
 [١] بباهر البيان في اكرم مورد من الكلام فقال «وما قدروا الله
 حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء» ووجه الدلالة من
 هذه الاية الكريمة بديع مبين في كلامنا حيث وقع بترتيب برهانه،
 وازاحة اشكاله بايضاح بيانه . نخبته ان الله تعالى اخبر ان من انكر
 الرسول لم يعلم الله حق علمه وامر بالاحتجاج عليهم بنبوته موسى
 التي صحت بالمعجزات الظاهرة ، والبراهين الباهرة وهذا القول الذي
 نصب الله تعالى ببيانه الدليل عليه ليس المراد به احدا من اهل الكتاب
 لانهم مقرون بالرسول فوقعت الحجة على منكريهم برسل الله في ارضه
 الى خلقه ماذا وجدتم الى محمد صلوات الله عليهم وسلامه . وخص
 ذكر موسى لانه اول الانبياء ظهور آية او لانه معلوم عند عبدة
 الاوثان من العرب المجاورة لاهل دينه فان اقروا به فهذا مثله وان
 انكرت العرب ومن دان دينها موسى كانكارهم لسائر الرسل فمن

عليكم ما لم تعلموا انتم ولا ابائكم الاصنام فذلك محال ام غيرها فمن .
 وليس الا الله . والتعلم لا يكون الا بواسطة . ولا بد للوسائط ان
 تترقى حتى تقف على معلم غير معلم فهو الباري وتعليمه رسالته . وقوله
 بعد ذلك تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء والياء سهل المرام في التاويل
 مع قطعنا ان اليهود غير مخاطبين في ذلك ولا اريدوا به . الاشارة
 فيه وجوه اقربها الان ان الذين انزل عليهم قد انكروا مع انه شرفهم .
 وكنموه (وغيروه) فلا عجب منكم الذين لم ينزل عليكم ولا رايتموه
 في ان تنكروه (١) وحينئذ يجب الاعتراض (٢) لانهم خرجوا
 عن النظر الى التخليط فاقبل انت على ربك وذرهم في خوضهم يلعبون
 حتى ياتيهم العذاب بغتة وهم لا يشعرون ، ونعطف بعد ذلك عنان
 القول على طريقة اخرى شرعية عقلية فنقول اما مرتبة العقل فغير
 منكورة في التمييز والتحصيل ودرك ما اعدله على الجملة والتفصيل في
 قول من وحده ، او عدده ، فاما ان يكون العقل محصلا لمجموع
 المعلومات فهذه دعوى حمقى لا يقوم لهم قول على ساق في الدعوى
 والايراد والتصوير فكيف بالتعرض للدليل ، و كان كل ذى علم
 (١) ما بين الهلالين مخرج على الاصل وهو اقرب ما يظهر . (٢) او الاعتراض

يدعيه من اى العارم كان يعلم قطعاً انه لم يحط العقل به من اوليته حتى
كانت العلماء وهم الانبياء الذين يطرقون بيانه ويوضحون قانونه .
وخذ علم الهيئة فليس فى العقل استقلال ازلي يد ابداع الافلاك
وترتيبها ، وطلوع الكواكب وغروبها فى مجارى مختلفة منها
وتميز المنقل من الثابت وتفصيل انتقاله وان ادرك نفس الانتقال
ويرى ما ذكرناه . قيل كيف كانت كلها دعاوى لا برهان عليها
حتى ان صاحب الهيئة يبرهن فاذا وقف عليه البرهان طفر
فقال رصدت او رصد فلان فبينما نحن معه فى برهان عملى اذا بنا قد
خرجنا معه الى خبر تكذيبى او كذبي . وخذ الطبيعيات وترتيبها
فى الشيء (١) وضبط الاستقصات فى البدو وكيف خرج ماخرج
منها الى الجسمية وكيف تحرك على رايهم من الهيولى الى الصورة
وكيف تالفت الموجودات . وقد قدمنا عنهم فى ذلك دعاوى لا اصل
لها تصلح ان يسامر بها الملوك لاستجلاب شارد المنام . وخذ
ضبط صحة الحيوانات بقانون وردوه (٢) بالطب عند عدول الامزجة
عن الاعتدال . وادراك النبات فى درجاته ومنافعه ومضاره هل يتفق

(١) لعله النشء (٢) خ الى الطب

في المعقول ان يدرك ذلك احد بقضيات العقول . اما انه اذا رتب له قانون او ذكر به تمثيل او نصب له دليل امكن ان يتوصل به الى ما يقتضيه وضعه . وخذ النجوم فانه يقال له ايها الحاكم على ما ياتي بما يرى من نصبه ويطلع اليه من رتبة . هل علمت ذلك بتجربة استمرت بها المادة في وضع النصب ومقارنة الحوادث لها . فهذا باطل من اربعة اوجه الاول ان النصبه كم مرة عادت عليك حتى تبت (١) عليها او قل طريقا ، حتى ترى عليه ما لم تحتسب تحقيقا الثاني ان يقال لهم كيف تحكمون للعقل بادراك ما لا يدرك ، وتسلكونه في غير مسلك . الثالث انهم يزعمون ان النصبه لا تعود على هيئتها الا بعد ستة وثلاثين الف عام فتي تكررت مرتين او ثلاثا حتى علم الترتيب عليها في ككون الحادث (٢) الرابع ان ترتيب الحوادث على الكواكب وتعليقها بتاثير [٣] الافلاك لا يليق على الجملة بما قدمناه من منعهم عن ذلك فكيف بترتيب الافعال كلها على التفصيل عليها مع ما فيها من التعارض والتضاد من عمر او كسب . والعجب من ترتيبهم الاثنى عشر برجا على اثني عشر بيتا اسكنوا فيها من

(١) او بيت (٢) خ الحوادث (٣) في الاصل بتاثر

الحوادث ما لا تسكن ونسبوا اليها ما لا ينسب [وقد احكمنا في
المتقدم من الكلام وجه قطع الحوادث عن الافلاك والكواكب حتى
لا يبقى متكلم الا بدعوى لا برهان عليها (١) ونرى تكلمت مع منجم
لا تتكلم معه في وضع الافلاك لئلا يرجع لك مهندسا فيقاتلك بغير
سلاحك ولكن سلم له الهيئة ودافعه عن تعليق الافعال بها فانه لا حيلة
له في اثباتها . واما الذي زعموه من اوضاع الحكماء في السياسات فان
اصله من الانبياء وما ابانت من الشرائع وحشت عليه من المكارم
وزجرت عنه من الدنئات بما او ضحت من القوانين ووضعت من
المصالح ثم درس منها مدارس وبقي منها ما بقي فبنوا عليه واضافوا
اليه فنه ما نقلوه على وجهه ومنه ما دركوه بما وافق الاغراض .
وقام بدائية الانزجار والانتهاض . وجرى في سنن المنى والهوى .
واما تطهير الابدان عن الاقدار فامر جبلي لامتعلق فيه لان الرسل
لم تات لبيانه . اما انها حضت عليه وحشت وانسدت اليه والزمت .
واما تطهير القلوب عن او ضار الدنئات فبعيد ان يصدر (٢) عنه
وازع من الذات فانها مركبة في الحيوانات فطرة وفي هيئة الانسان

(١) ما بين الهلالين مخرج في هامش الاصل . (٢) خ يصرف وهو الظاهر

(١) جملة • وهو مركب على الغضب والشهوة والقسر (٢) والغلبة وعلى ذلك من العقل رقيب وبينهما مجاذبات كثيرة مساهمة منا ومنهم وانما يكون التطهير بعمل هو جلاء القلوب وبعد الجلاء يكون الحصول بمعاملة ومقابلة ولا تطول معهم في ان كيفية الجلاء يكون بتوقيف عن بصير مبصر بل نقف معهم على المقابلة . فنقول انها لا تكون بتنبيه حتى جعله بعضهم خاطرا وقد لا يخطر الخاطر واذا وجد قد يصف (٣) ولا يتسدد فلا بد من داع ان كان له وازع والمجاهدات بين المتعارضات باب عظيم يفتقر الى قانون طويل ليس من بزم ولا يقوم به الا العالم بتفاصيله وقانونه . فان قيل قد سطر الافلاطون وسقراط والفاضل بقراط قلنا قد راينا ما سطر وا . وظالما ما ذكر وا . وتحققنا انهم قصر وا ، وعدا عليهم ما ايتروا . ولولا التطويل لسردنا عليكم من خرافاتهم ، ما ينبئني عن سخافتهم . اللهم تخفيفا ان ذلك محمول على الترحم (٤) ومحسوب (٥) في جهله او قصده الى التخليط وهو قوم اخذوا كلام الانبياء وخصموا صا

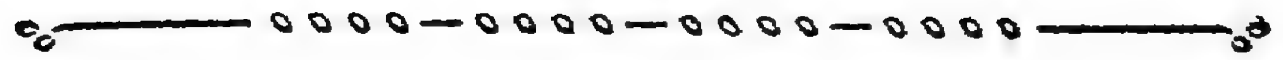
(١) بنية الإنسان جملة (٢) في الاصل القرس (٣) كذا بالاصل واعل اصله ينعف (٤) لعله المترجم (٥) او محشور .

محمدًا صلى الله عليه وسلم الذي اوتي جوامع الكلم باوساطه واطرافه
 وضم له من كل جوازبه فبدلوا وحر فولا ووضعوه على قوالب
 اغراضهم فاستوضعوه حتى استضمفوا و هذا لان مترجم كلامهم من
 اليونانية الى العربية لم يتولاه عدل بل فاسق بل كافر الامستخف
 مهتوك رائغ لاسيما وللسعادة عندهم سبيل منجدة للامجاد ، لا يدركها
 الا الافراد ، وعليها من القواطع اسداد . سدين سرود طريقها ،
 وغاب بن بيض عن تحقيقها . الا ترى انهم لم يجتمعوا فيها على
 طاق ، ولا قامت لهم فيها دلالة على ساق . فان تطاموا الى ذلك
 مدعين ، فقل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين . فني كل فصل
 قدمنا اصل في الرد عليهم يوضح تناقضهم فلا معنى للتكرار ،
 واما قولهم ان ما ياتي على ايديهم من الافعال الغريبة لا يوثق به
 لوجودنا في الخواص افعالا غريبة فلا معنى له فاننا قد حققنا المعجزات
 لا بد ان تكون خارقة للعادة خرقا يتجاوز الاوهام المتعلقة بالحيل
 والخواص مما يعلم انها من افعال العباد خاصة ، او لا نرى ان ابراء
 الاكهم واحياء الموتى لا ينال بحياة ولا يعد في خاصة ، وما عرف
 الباري الا بافعاله التي لا يقدر عليها سواه ، فما عرف به المرسل ، به

يعرف الرسول ، وهذه نكتة بديعة لم ازحم عليها فافهموها واعتبرها تلاقوها كذلك ، وهؤلاء ارباب الخواص قد جمعوها من وجوهها وانما هي من افعال مخصوصة بوجوه مخصوصة ، فان قيل فقد رويم ان في الارض ماء اذا جعل على الميت حيي فان قيل هذا صحيح فان كان ادركه عيسى فهي معجزة فان ذلك لا يدرك الا بتجربة جميع ميلا الارض ولعل ذلك كان مخصوصا بوقت ومحل ، وايضا فان خاصة ذلك العين احياء الموتى وبراء الائمة وصحة الابرص والاجزم من اين يكون والخواص لا تشترك افعالها ، هذا ونحن لا نجعل للخاصية طبيعة في المحل ولا صفة تقوم به ولا قوة فيه وانما نقول ان الباري تعالى يخلق عند اقتران بعض المحال ببعض ولا مور ببعض ما شاء من الافعال المعتادة او الغريبة ، هذا وقد اتفق العقلاء على ان الخواص مما لا يدرك بالتجربة وانما ينال بالعلم الالاهي ، وقد يرى الطبيب فعلا بفعل (١) لا يناسبه في الذي ادرك من طبيعته فيقول يفعل كذا بطبعه ، وكذا بخاصية فيه ، فسمى خاصية ما لم يطرده على قياس طبعه ، وليس هذا المقدار مما لا يدخل في (٢)

(١) او يفعل (٢) بالهامش هكذا تحت

الآيات ، وهبكم قلنا انه خاصية فهو [١] امر خفي انفرد الله تعالى به
 لعله بان خلقه فيه وانزله من داره التي اعدا فيها لاوليائه وقد
 يجوز ان يكون اية للنبي اظهار علم الله الخفي على يد النبي فتكون
 اية ولو كان نصيره خاصية ، واما قولهم يحتمل ان يكون ذلك
 جبلة ، فلا بد من خروجه من مرتبة الجبل حتى يصير في حد يفوت
 طوق [٢] البشر وعقلهم فيخرج بذلك عن حد النظر ، واما
 السحر فسل به خيرا يعلمه يقينا ورءا عيانا وراى البلاء به والفتنة
 فيه ويدري قصوره عن المعجزات بدرجة اعظم مما بين الارض
 والسموات ويعلم بطلانه في نفسه شرعا وابطاله عملا كما يعلم بطلان
 الكفر في نفسه شرعا وابطاله حجة . وقد تبين انه عند المبطلين اقسام
 اعلاها التعلق بالكلام وادناها الحركات في الارض بعضها على بعض في
 وجه وبطريق على نحو ارادتها في السماء فيحدث ذلك من فعل غريب
 وله بعد ذلك مراتب . احدها النفث في العقد بكلام لا يتحصل . وضع
 الله جميع ذلك في الارض فتنة كما اخبر وهو الصادق الحكيم . واي
 ذلك كان فان العصمة منه على الخاطر الفاسد ، او الالد المعاند ، من



ثلاثة اوجه الاول انه لا بد من ارتفاع المعجزة عن حد ينال بما قلتم .
 الثاني ان السحر يختص بحال دون حال وبشخص دون شخص
 وبزمان دون زمان والمعجزة عامة . الثالث ان الساحر وان رد
 الجيش وخذل الجم الغفير فليس هذا بغريب فكم من جيش تفرق
 بصيحة ، وكم كتيبه تبدرت بكذبة . وذلك لان القلوب القلقة يوتر
 فيها ادنى سبب والقلوب الثابتة لا تززعها الجبال . فاما سحر يهزم يوم
 بدر قوما لهم العدة والكراع والشعب والظاهر يقوم ليس لهم منعه الا
 العربي والرحلة والمزلة ، لاشكة ولا شوكة . (١) ويجعل العدد
 لكثير يوم الخندق ويغلب المعاندين ويقتل المستهزئين ويفنى الحاسدين
 يصرف جميع قلوب الخلق ويعم الاقطار ويدوخ الارض ويهدم
 الممالك فهو الذي يعتمد عليه ، ويستند في الحق اليه ، واما قوهم ان
 فيه اشكالات عظيمة من معرفة حقيقة النبوة فليس عندكم شيء ابين
 منه ولا اقرب منالا . فان الانسان من حين يولد الي ان ينتهي الى
 حد العقل الثاني للتمييز في المرتبة انما يتدرج عندهم في مدارج النبوة
 والعقل التمييزي بالمجاورة هو المدرجة الخامسة او السادسة فاما ان

يتمادى فيطلع اليها واما ان يقع عنها واما ان يقف حيث وقف به العقل . ولا بد من الترقى عندهم من مرتبة هذا العقل وعندنا ، فاما عندهم فبقوة نفسية ونور يسمونه الالهيا وليس بالاشي في الحقيقة اذ ليس لهذا الاسم عندهم معنى يتحقق فيدرك بها جميع العلوم ويكون هذه [١] الخاصة يعبر (٢) بها عن النبوة مدركا لكل خاصة وعامة حتى يجعله بعضهم وصولا الي الله ويجعله بعضهم اتصالا حتى يقولوا انه جزء من الله او كالجزاء ولقد سمعت بعضهم يقول انه نصف الله وبعضهم يجعله حلولا من الله فيه وبعضهم ينهر عن لفظ الجزاء والبعضية اذ لا تنقسم عندهم تلك الذات فيعبر عنه بالاتحاد . وقد ظهر فساد هذا كاه للعقلاء بما اغنى عن التعب فيه وتكلمنا نحن عليه في موضع (به دنا انه) (٣) وهم يشككون بها ويشككون فيها ويخلطون ويقنطون (او مر هو الحق) [٤] ويقولون على الله ما لا يعاينون واما عندنا فواضح مدلول عليه واحق حق يقصد اليه . واما ما ذكر ولا من كثرة الاعتراضات وازدحام الشبه فيه فالمشرب العذب كثير الزحام . ولولا تخليطكم ما نبس احد بما

(١) لعله بهذه (٢) كذا بالاصل وبالهامش: خ مع دنااته (٤) كذا بالاصل

قلم . ولا رضى ان يتفوه ما تفوهتم ، وما اعترض احد قط على
الرسول ممن كفر وعاند بما قلم . وانما قالوا هذا سحر ولا نقبل
منك معاندة او لانفهم ما تقول ولو شاء ربك لارسل غيرك ،
واما حقيقة النبوة فليست من بابكم [١] ولا يقف الامر هناك معكم
وهي مذكورة في موضعها لاهلها ، واختصار معناها انها عبارة عن
قول الله لنبيه انت رسول الى عبادي فباغهم كذا غي ، واما قولهم
ان الله لا يبعث رسولا فهذا كلام لا يقوله فلسفي فانه عندهم انما
يكون ذلك من قبل نفسه ، وانما يعترض بهذا القدريّة الذين حشدوا
الاعتراضات من اي قبيل كانت ولم يبالوا ان يقولوا ما خطر لهم
من تخطيط قصد التشغيب ، وعلى انه ليس من الباري فنقول فيه [٢]
بم علمتم استحالة ضرورية او نظرا وتدار عليهم الاقسام المعروفة
وهذا ينبني على ركن التعديل والتجوين فان عندنا ان للباري
لم يكلف ويامر بواسطة هي الرسل وبغير واسطة ، واما اثبات
كلام الله تعالى فهذا سؤال القدريّة خاصة ليس للفلاسفة فيه مدخل ،
ولا خلاف انه عندنا وعندهم متكلم ، وان اختلفنا في تفصيل وصفه

بذلك . ونكتته العقلية فيه ان من نظر الى الخلق علم جواف
انسلاكمهم تحت امر مطاع ونهى متبع وذلك يستند الى امر
ونال وهو الخالق سبحانه لا يجوز لغيره ، واما تعيين ما ياتي به فانه
معلوم انه بعث ليرشد الى الافعال المنجية من احوال الآخرة التي
لا يهتدي العقل الى تفصيلها ولا يتمكن من تحصيلها وذلك يرجع
الى تفاصيل عاجلة في الدنيا واحكام آجلة في الآخرة وذلك مما لا
يستقل به الخاطر الذي يدعو به ، واما قولهم ان القوم ياتون بما
لا يعقل فهذه جهالة قد تكلم العلاء عليها وانا احاكمهم فيها الى
رؤسائهم واحبارهم وفلاسفتهم على الحاليين فانهم قد اجمعوا على ان
معنى من معاني الانبياء لا ياتي منه الا على غاية الحكمة وفي نهاية
المصلحة وان من ابداع ما يدرك (١) بنور التطهير ما وصف به من
الانبياء من تنويع الصلاة الى تلك الافعال وتضعيف السجود على
الركوع والانحطاط بواسطة الركوع الى السجود ونصف (٢)
صلاة على نصف صلاة وعلى اخرى ثلاثة ارباع وانها تركبت في
ادوية القلوب على ترتيب ادوية الابدان على تناسب غريب

(١) هذا اقرب ما ظهر (٢) خ نصب وهو الظاهر

وان قصد بقعة وخلع كسوة وكشف راس وقذف بحجر كل ذلك على غاية الرياضة للنفس في ترتيب التادب و اظهار المناحي الرفيعة على الجوارح . والاشارة بذلك كاه الى مقاصد في القلوب بديمة فلا تسمع هذه الاعتراضات منكم لذلك (١) ولا من غيركم لان العقول عندنا لا تحسين لها ولا تقبيح اصلا ولا عند سواكم من مخالفينا اعتراض على ما تاتي به الرسل من المعاني التي لا تهتدى العقول الى تفصيلها وانما يتلقى بالتسليم لله سبحانه وكلنا نلتقاها بالانقياد الصرف . ثم نقول ان قوهم هذا في وظائف العبادات من ادراك النسب في التقدير و اظهار الحكم في التدبير فدعوى عريضة باردة ، نعلم ان ذلك لا سبيل اليه وياتون ما بين تمثيلهم لذلك وبين تركيب الادوية . ويا بعد ما بين الحالين في المناسبة والافكل لبيب اذا رجع الى نفسه يجد من تركيب الادوية نسبا ذكرها ارباب الصناعة لا يقدر ان يردها الى قانون ابدال والتطوير والخروج الى ما ليس من الباب لذكرت لكم منها جملة حتى يقال هذا الدواء يفعل مثل هذا وان استويا في الوزن او يفعل

في مثل هذا (١) كما [٢] يفعل الاخر بخاصيته اي بما لا تعقل طريقته ولا يعرف تعليله، وكذلك لو قاوضتهم في قانون التشريع فاعترضت عليهم فيما يصورونه على طريقة التعليل بزعمهم بهتوا وانقطعوا، ولقد قلت ان القلب معلوم الشكل فلم كان على تلك الصفة واللون والمقدار والوضع [٣] فهذه خمسة اسئلة لم يعرف عليها جواب ينفع ولا فائدة لكم في ذكر الانفصال عن هذا الاعتراض لانه خباط واذا كان القلب في صورته الجسمانية لا يدرك تاصيله ولا تفصيله فكيف بالقول في الصورة المعنوية . وتعلقها بالمعقولات فذلك ابعد لكم معشر المدعين فقفوا حيث وقف بكم الشرع ترشدوا . ولقد نظرت في كتاب فلطيانس في سر الحلقة وصناعة الطبيعة فرايت من الخباط ما لا عين رأت ولا خطر على قلب مجنون وكأنه اراد ان يضمها الى قانون بمضمار العقل فاخرجها عن اسلوب العقل . وقبل وبعد فلم تذكر في الخبر ما تجدونه في النظر . واما قوهم لا فائدة فيها لان اكثر اخلق لا يقبلها فهو غباوة

(١) في خ زيادة الموضع (٢) كذا بالاصل ولعله كما (٣) في خ زيادة والموضع ولا بد منه لتكمل الخمسة

فان كـون الحق حقا في نفسه لا يؤثر فيه رد الخلق له الا ترى ان كل ما يذكر من الحقائق مردود عند اكثر الخلائق افيجعلون ذلك حجة عليكم في ابطال مذهبكم فما التزموا يلزمكم ، واما قوهم انه يمكن ان تكون باطلا فيما (١) يريد الله من اضلال الخلق عندكم فهذا سؤال معتزلى ليس فيه للفلاسفة مدخل وانما تتكلم به المعتزلة الذين لا يجوز عندهم ان يضل الله الخلق بفعل منه ولا بقصد والجواب عنه قد بيناه مرارا والذي تعولون عليه الان ان تقرلوا بان الخبر امننا من ذلك بان الله لا يضل الخلق عموما ولا يضلهم على ايدى الرسل وانما فائدة ارسالهم تمييز المهتدى من الضال حتى يهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة . واما قوهم انها من العقليات او من العادات وهذا من الفصول التى عظمها الاله والامر فيه قريب فار المعجزة اذا جاءت على الشروط التى رتبناها فى المتوسط لا تخلو ان تاتى خارقة للعادة خارجة عن مقدور البشر قطعاً فهذه دلالة بذاتها لنفسها لا يقتصر الى كـونها مقارنة للتحدى مرافقة للدعوى على الوجوه المذكورة وان كان مما يجرى عادة فوجه

الدلالة منها عدم المعارضة فيها كما لو قال آتني ان لا يحرك اليوم احد من الخلق يدا فسكن [١] الا يدي غير متصرفه بحكم الارادة مع تعرض الارادة فنحن نعلم قطعاً به صدقه . واما قولهم ان المرء ضعيف فعندكم ان احدا لا يضعف عن هذا وعندنا الذي يضعف عن هذا بأفة توجب له ذلك غير مكاف به وهذه الافة (٢) لا بد ان تكون في البدن او في العقل فبهذا يكون المرء ضعيفاً . واما قولهم زاد النظر قليلاً فليفسروا ما ذا يريدون بزاد النظر فانه مجاز يصلح للوعظ لا على طريق الدلالة وزاد النظر ان فسرنا لانحن فهو عند الناس كثير كامل وذلك معرفة الطريق الى المطلوب ومعرفة الاعمال الصالحة وفي التدرّج به والوصول اليه وحررها (٣) من زيادة ما ليس منها او نقصان ما هو منها ، وانتم في المنطق بهذا تفخرون وعليه تحومون . وما اختلف قط نظر الا من احدى هذه الطرق الثلاث او من مجموعها او اثنتين منها . واما قولهم ان الشعوب فيه كثيرة فلا ينبغي لهم ان يروا القذالة عندنا ويدعوها

(١) كذا بالاصل ولعله فسكن اوفسكون (٢) في الاصل الاية (٣) كذا بالاصل ولعله وحزرها

في اعينهم جازعا فان شعوبكم في طريقكم اكثر ومطلوبكم
 اشكل وسفركم اطول ومطلوبكم اعسر دركا وهذا بين بالاختبار
 فافرضوا مسألة لا نفسك حتى اريكم مثالها في مرتبتها على حالها وكنت
 اذكرها لكم لكن اكسر تنبيههم والذي تتخذونه دستورا معهم.
 نكتة . ابينها لكم وهو انه متى ذكرنا مثالا من مبادئ نظريهم
 فقابلهم بمثال من اوائل نظرك ومتى ذكروها من الشوائب فاذكرها
 كذلك من ثوانيك ومتى ذكرنا غاية اوطويلا كان ذلك جوابهم
 واراحوك من كد النظر . واما قولهم ان العمر قصير فليس هذا
 بشيء من الدليل وانما هو وعظ والعمر وان قصر فالتكليف والابتلاء
 الذي الزم الله العبد على قدره لا يغيض عنه شيء منه وعليه ان يقوم
 بحق الامر ما ارخي له في الطول وفسح له في المهمل . وانتم
 تقولون لا دار الا هذا فلو كانت له باسرها ما كان مستوفيا املا ولا
 قاضيا حوجا . واما قولهم ان الواصل قليل فانه ينبغي ان يكون
 في الدين يدعون انه الحق ومطلوب فالواصل اليه اقل
 وهو عندكم معدوم . وانتم تقولون ان النبوة
 ممكن دركها لكل احد والذي ينالها اقل من

من القليل (١) واما نحن فعندنا ممن يصل الى مطاوبه عدد رمل يبرين
ومهي فاسطين . وقولهم كيف تقطع هذه العقاب الشاقة
فينعكس عليهم وكذلك في قولهم ان الالات لقطعها
ضعيفة مثله في الانعكاس وهذا تكرار منهم للقول قد بينا انها
قريبة قوية بابها العقل واذا ادعوا آية فليذكروها . وقولهم ان
السفر طويل بل قصير بلاخلاف فان مسافة السفر هي العمر بلاخلاف
وما (٢) اقله وليس بعد ذهابه سفر عندنا ولا عندهم وانما هو مقر،
جنة اوسقر . واما قولهم لقد ابعثتم النجعة في ذيل الحكمة الى
اخر كلامهم المتقدم فانه يقال لهم ان الذي تقدم من كلامنا في
العقل والعلم يفنى عن اءادته ولكننا نشئ عليه طرف العنان لما قد
ذكرناه من العنان . فنقول ان وجه تغالطكم او غلطكم ان الحكمة
خفيت عليكم فزعمتم انها قوة عقلية يتلقى بها العلوم من الملا الاعلا في
كلام طويل يركبون عليه مقاصدهم وليس للحكمة معنى الا العلم
ولا للعلم معنى الا العقل الا ان في الحكمة اشارة الى ثمرة العلم
وفائده ولفظ العلم مجرد عن دلالة على غير ذاته . وثمره العلم العمل

بموجبه والتصرف بحكمه والجري على مقتضاه في جميع الاقوال
والافعال . وبناء على ذلك يقتضى ان تجري الافعال والاقوال على
قانون فلا يترسل على الممكنات . وكذلك بناء على كماله في
اقتضاء ذلك . وعلى هذين المعنيين تصرف هذان اللفظان حيث
وردا الى ذلك يرجع قال (١) الله سبحانه ويعلمهم الكتاب
والحكمة . وقال ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا والمعنى
به في الاول علم الكتاب وفي الثانية العلم المطلق . وليس يمتنع في
اللسان العربي ان يسمى العمل بمقتضى العلم حكمة على معنى تسمية
الشيء بثمرته وفائده كما ينال في اصول الفقه لاسيما وقد اعطاه
لفظه ودل عليه وضعه . واذا ثبت ذلك فليس يهب العلم نفسه ولا
يكون ذلك الا من قبل العالم الذي لا يوهب علما ولا يتصور في جهته
طريق الى تحصيل مالم (٢) يكن قبل ولا بد للاشياء من مبادي وينتهي
الى مبدا لا مبدا قبله وهذا عكس النهاية فانه لا انقطاع لها والعلوم
على الصفة التي تتناها منه (٣) ما يوجد من الواهب ابتداء ولا سبيل
الى تفصيلها ومنها ما يترتب على اسباب وترتيبها على اسبابها ليس
(١) لعله قول ويكون فاعل يرجع (٢) هذا اقرب ما يظهر من المحو (٣) خ منها

على كل وجه يتصور ويخطر وانما يجري ذلك على قانون مدرك
 بالتعليم ولا يعلم آخر الا واهب العلم اولا واذا تأمل المنصف وضع
 (١) الاعتقادات في النفس والاعمال في الجوارح وتركيب بعضها على
 بعض راي انه امر لا يستقل به الا دمي فانه امر موضوع في اصله
 على تدبير فلذي دبر الوضع الاول دبر الثاني وانت اذا اضفت تدبيرة
 اليه واحلت به عليه مع علمك بانه عارية فيه فلا بأس بذلك فقد اذنت
 فيه الشريعة وان نت اعطيته الكل وحكمت له بانه ادركه بذاته
 فقد جهات نفسك ومن لا يعلم نفسه كيف يعلم غيره . ومن كلام
 الناس الذي لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحكمة
 ضالة المؤمن يعني بالعلم (٢) المكتسب ولما راي الناس بعضهم تقترب
 ما يتر (٣) بضرره ويعترف قالوا انه ليس بحكيم اي ليس بعالم لان
 عمده (٤) بخلاف ما استقر في علمه دليل الجهل بما ادعى انه عليه ،
 والى هذا المعنى عاد قوله لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن حسب
 ما بينه في شرح الحديث وغيره واشرنا اليه وكيف يصح ان يكون

(١) هذا في نسخة (٢) خ يعني به العلم . وهذا اولي (٣) هذا اقرب ما يظهر (٤) في
 الاصل علمه وهو غير ظاهر .

عالما بشيء يقتحم خلافه كما لا يصح ان يضع احد راس سيفه في
 الارض وذبابه بين ثدييه ويحامل عليه وهو عالم بانه هالك ولا ان
 يخرج عينه بيده ومن فعل ذلك فانما هو لذهاب عقله او ليدفع بذلك
 ضررا اشد منه فيكون في الاولى عاملا بغير علم وفي الثاني عاملا بعلم .
 وهذا المعنى اذا فهمته زدنا تقريراً وركب عليه ما تحتاج في التفهيم
 او في النظر اليه . واما قضية الشجاعة . فحقيقته انما هو ثبات النفس عند
 حلول المصائب وذلك يرجع الى دوام العلم وحضوره فاذا كان المرء
 عالماً بالامر فطراً (١) عليه ما يذهله عما كان يعلمه صار فعله غير محصل
 او يعلم اخر طراً عليه او وهم لم يتعلق بالموهوم على ما ينبغي او مشكل
 من المعنى لم يتبصر وجه كشفه واعجلته الحالة عن تحققة فاذا حضره
 (٢) العلم فلا يبالي عما ينزل به من مصيبة او يطراً عليه من مشكل
 فانه يقابله بما عنده من الكشف والايضاح ، وقد قالوا ان الشجاعة
 فضيلة للقوة الغضبية وهذه حقيقة يريدون ان يركبوها على دعوى
 يدعونها وليس للغضب قوة ولا للجمية التي يزعمون انها تنضاف اليها
 او تتعاقد معها لاسيما على اصحابهم في التواء فانه امر طبيعي فلم يركبون

عليه ما يجري مجرى الحظّة (١) التي هي عندهم في غير طريق التحقيق .
وقالوا ان التهور زيادة على اعتدال القوة الغضبية والجن نقصان منها .
وهذا كما يقول اهل بغداد (٢) نبأ شادوف على قاذوف لياتي منه
لا فوف . فليس لهذه الاقوال كلها معنى الا نقصان العمل بما يطرا
من الافات فيصدر العمل على جهل فيقع بخلاف الطبق وخارج عن
الوفق . واما العفة فيعبرون على طريقهم عنها بانها فضيلة في القوة
الشهوانية وهو انقيادها للقوة العقلية وعدوها عن زيادة الشدة وجعلوا
لذلك اسبابا من الخراب في الطعام والشراب وعملوا لتقليلها على قلتها
وتكثيرها على كثرتها وبنوا على ذلك حكمهم وحكمهم فيها
وليس الامر كما زعموا سيما ورئيسهم الاعظم كما قدمنا يقول ليس
يوجد اعتدال بحال (وانما بنا ع ف ف بنا ك ف ف على بعض بنا
ف لا ربنا ترك) (٣) وذلك ان الترك عبارة عن فعل وتحقيق الترك
مما لم يعلمه الفلاسفة ولا القدرية وانما ادركه اهل السنة فتبين ان
العفة ترك الانحال القبيحة اذا علم قبحها وتحقق مضرتها وهذه

(١) الحظّة او الحظّة او الحظّ الفاظ محتملة من الموجود بالاصل ولم يظهر لها معنى
هنا (٢) او بنا (٣) ما بين الملائين هو كذا في الاصل ولم يتضح لي المراد منه

الالفاظ التي يعملونها ليس لها عندهم اصل اذ لا قوة عندهم ولا قدرة
وانما هي طبيعية غالبية ومعاني [١] مترتبة دائرة ضرورية ولا يتعاق
بايثار ولا يجري على اختيار فيريدون ان يدمجوا لفظ [٢] الطبيعة
ويخرجوا لفظ القوة ويثبتوا للجبادات قدرة وينفخوا قدرة. انما على الاول
فيخلطوا ويخلطوا (٣) وينضموا هو سهم في سلك الالفاظ العربية
والنبوية تيمنا بها واسترسالا للامامة عليها ويخترعوا لذلك اخبارا عن
النبي صلى الله عليه وسلم لا اصل لها تلوح بالاشارات الى اغراضهم
يوهمون انها امور عاصمة (٤) يقصر الخلق عنها فيشار الى الافراد بها
واما العدل فهو عندهم عبارة عن اتساق قوى هذه الفضائل الثلاث
في جهة الالباء والانقياد على التناسب والسداد . ويقال لهم هناك
قوة ولا قدرة والانتظام انما يكون على النظام الاسد الذي رتبة
صاحب الشرع واتم لا تدرونها . وحقيقة العدل في اللغة انه مصدر
وحقيقته في الحقيقة ما للفاعل ان يفعل فذلك هو العدالة وهو العدل
فلذلك كان الباري تعالى بالحقيقة وحده العدل لانه له ان يفعل ما يشاء
من تمذيب جميع الخلق او تنعيمهم فيكون في العدل او الفضل كايهما

(١) في زيادة تحريرية (٢) موجود في نسخة (٣) او يخطوا (٤) او غامضة

سواء . والعدل منا هو الذي يفعل ما امر به . واذا تتبعنا الفاضلهم التي
استعاروها ليعروا (١) ويغروا بها في تعديهم عن مقاصدهم يخطئون بها
قلوب السخفاء القاصرين لم تجد فيها شيئا يحري على الاستقامة فيرجع
العدل والعدالة الى العلم ارتباطا لانه اذا عمل بها علم كان عدلا وقد
بيننا ذلك في غير موضع وهذه الاشارة تكفي في هذه العارضة
علاقة اخبرني ابو القاسم بن المنفرج بزقاق القناديل انه سمع ابن
رضوان الفيلسوف يقول حين قرأت عليه صفة النبي صلى الله عليه
وسلم في حديث هند وغيره هذه الصفة لا تكون الا لبني ولا يحتاج
معها في الدلالة الى غيرها فان اعتدال الخلق يدل على اعتدال الخلق
وانها جملة صدرت عن النور الساطع والحق الذي ليس عندنا باطل
وانه لم يلق في طريقه ظلمة ولا آفة ولا نقص حتى خاص للوجود علي
نهاية الكمال في الصنع . وهذه نزعة القوم فقد قال قبله ثمامة بن
اشرس ان النبوة لا تفتقر في دليلها الى آية خارقة للعادة ولا معجزة
تبهر العباد وانما يكون دليل صدقه اتساق كلامه وعدائته في نفسه
وجري جميع ما يأتي به فعلا او يخبر عنه قولاً علي استقامة مع احكام



ما يربطه من قانون ويبلغه الى الخلق من توظيف وسلامته من التشبيح
 والتناقض ، قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه ، اما قول ابن
 رضوان فقير مرضي عند احد ولا تكلم به قائل عندنا ولا عندهم لان
 اعتدال البدن الجسماني لا يتعلق بالروحانيات عندهم ، وانما يرتبط بها
 ويكون في منوال معها القلب ، وانما اراد ابن رضوان ان يجعلها
 عندنا دفعة ونحن لا نقبلها منه ولا نحتاج (١) اليه فيه ولا معنى لها
 في دينه فصارت لغوا في حقه ، واما قول ثمانية فلا يساوي ثمانية وقد
 بينا في كتب الاصول ان هذا الذي ذكره هو شرط النبوة لا دليلا
 وانما يبقى كلامه الباس المخذول علي حذبههم في ان النبوة مدركة
 بالاختيار ، وانه الذي يضع من قبل نفسه القوانين فيرتب الامور .
 وهذا مما يعلم بطلانه قطعا فان من نظر الى كلام محمد صلي الله عليه
 وسلم وما ابان من المعاني ، واوضح من المقاصد ، واخبر عنه من
 الكوائن ، ونظم من الترتيب وقدر من التدبير ، ودخول جمع (٢)
 المعاني من جميع الخلق افعالا واقوالا تحت ذلك النظام (٣) علم قطعا
 انه امر يفوت طوق البشر وانه لا يحصى فيهم الا موجدتهم ولا يرتبه

(١) هذا اقرب ما يظهر (٢) او جميع (٣) هذا في نسخة

لهم الا عالمهم وخالقهم . وهذه غاية في العصمة . والحمد لله وادته

انتهى الجزء الاول من كتاب « العواصم من القواصم »

للإمام ابن العربي المَعافى

رحمه الله

يليه الجزء الثاني . اوله . عاصمة ،

ثم نظرنا في طائفة نبغت ، يقال

لهم اصحاب الاشارات

الخ

تنبيه رقم عدد ١٢ هكذا ٢١ خطأ : وصفيحة ١٠٨ رقت

الصفحة التي تليها ب ١١٣ خطأ وتسلسل عليها المدد . وصفيحة ٨٠

رقت التي تليها ب ٨٥ خطأ وتسلسل المدد

يتأكد تصحيح الكتاب بورقة الخطا والصواب ❧

صفحة	سطر	خطا	صواب
٠٠٦	١٤	اي	او
٠٠٧	٠٦	القليل	الغليل
٠٠٨	٠١	مناحي	على مناحي
٠١٨	٠٤	الحسن	الحس
٠٢١	٠٣	قلبه	قلبه
٠٢١	١٣	قلبه	قلبه
٠٣٨	٠٧	ترجع	ترجع
٠٤١	٠٣	انبائه في انبائه	انبائه في انبائه
٠٤٣	٠٧	جيل	حيد
٠٤٣	١٦	فنجستني	ففا جأتني
٠٥٣	٠٧	يتمثل هذه	بمثل هذا
٠٥٦	٠١	جدت	جرت
٠٦٠	١٤	ذوي	ذو
٠٦٣	١٤	بنبيك	ينبيك
٠٦٤	٠٣	سقط بعد قوله المعصوم : قلنا ونحن اذا اختلفنا في شيء رددناه الى امامنا المعصوم الخ	
٠٦٨	٠١	يدكه	يدركه
٠٨٥	٠١	السطر الاول كله مكرر واول الثاني	
٠٨٦	١١	تتصروا	تقتصروا
٠٩٠	٠٨	كوكة	حركة

ص	س	الخطا	الصواب
٠٩١	١٢	الصبائع	الطبائع
٠٩١	١٤	بصدر	يصدر
٠٩٤	٠٣	اذ	اذا
١٠٣	١١	واجمة	وراجعة
١١٥	١٣	الموحين	الموحدين
١٢١	٠١	عن	عنى
١٢١	٠٤	مشاركة	مشاركة
١٢١	٠٨	نبعث	نبغت
١٢٢	٠٩	الجليلة	الجليلة
١٢٢	١١	واقاما	واقاما
١٢٣	١٤	لايستطيع احد خرقها لا في السماء بسلم ولا في الارض بنفق .	
١٢٤	٠٤	ارتقا	ارتغا
١٢٨	٠٢	فلبنا	فلبنا
١٢٨	٠٢	صفنا	طفنا
١٢٩	٠٥	داخلة	داخلة
١٣٠	٠٨	لولى	اولا
١٣٠	٠٢	نقصد	بفضل
١٣٢	٠١	به	بك
١٣٢	١١	اذا	اذ
١٣٦	١١	فيه انهم	بيد انهم

ص	س	خطا	الصواب
١٣٧	٠١	مامن	مايختار من
١٧٢	١٠	اللافاظ	الالفاظ
١٩٤	٠٤	قيل	قلتم
١٩٦	٠٥	تبدرت	تبددت
٢٠٤	١٤	الذين	الذي
٢١١	٠٢	تعييرهم	تعبيرهم

❦ فهرس ❦

الجزء الأول من « العواصم » التواصم

❦ للإمام ابن العربي ❦



فهرس

الجزء الاول من الكتاب

فيه بيان العواضم والقواصم واهم المباحث



٠٠١ الخطبة . وقد بناها على بيان حكمة القدر . في

انقسام البشر ، الى فريق النعيم وفريق سقر . وبيان

سير الابطلاء بنصب اعلام الاهتداء من مواقع الردى

ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة .

وهذه الخطبة وحدها — ببلاغتها ، — وانسجامها

ووضوح حقائقها ونفاسة دقائقها — تساوي كتابا .

٠٠٥ قاصمة في وقوع جملة عظيمة من الخلق في يد الاشتباك

٠٠٦ الموقف الاول في بيان قول من انكروا الحقائق

المحسوسة وزعموا انها خيالات . وهم السوفسطائية

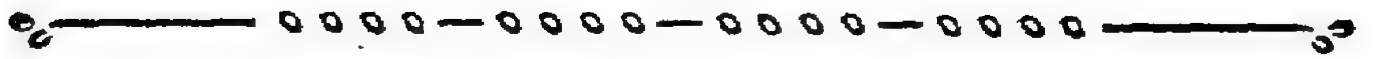
٠٠٦ عاصمة في بيان ان هذا ليس مذهبا لاحد

٠٠٧ قاصمة في بيان قول من قال ان الاشكالات لا تتضح

بالادلة وانما تتجلى الحقائق في القلوب بعد صقلها وصفائها

- ٠٠٨ عاصمة في بيان منشأ هذا الرأي ودليله ومناقشته
والرد عليه
- ٠٠٩ تعلق غلاة الصوفية بالمشتبهات
- ٠١٠ اشتراك مافى الدنيا مع مافى الجنة فى الاسماء مع
الاختلاف فى الحقيقة
- ٠١١ تمثيل من دليل فيه بيان ان الخلق فى جميع الازمان
جروا مع الرسل فى ميدان النظر والدلالات
- ٠١١ توجيه فى بيان مبنى قول ابى حامد من اصحاب
القول المتقدم
- ٠١٢ ارتباط العمل بالعلم ودلالة كماله على كماله ونقصه
على نقصانه واشكال على هذا وجوابه
- ٠١٣ معنى التقوى
- ٠١٤ مزيد تحقيق فى المتام
- ٠١٤ تكملة فيها رجوع الى ابطال قول السوفسطائية
- ٠١٥ بيان حديثين موضوعين
- ٠١٦ اشكال على قوله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا وجوابه

- ٠١٦ تنوير القلوب امر شرعى
- ٠١٧ الكلام على حديث ان الله خلق الخلق فى ظلمة
- ٠١٨ تخييل فى شبهة وجوابها
- ٠١٩ الموقف الثانى فى قول من قال ان مايفاض على العبد
- من العرفان يستغرق مقتضى الادلة من البيان
- ٠١٩ ما ينتهى اليه الغلاة من اصحاب هذا القول
- ٠١٩ قاصمة فيها لقاء المؤلف للامام الغزالي واخذه عنه وكلام
- الغزالي فى هذا الاصل
- ٠٢١ قول الغزالي: النفس تؤثر فى العوالم
- ٠٢٢ عاصمة فيها بحث المؤلف فى كلام الغزالي المتقدم
- ٠٢٢ كلام على لفظ البدن والروح والنفس والقلب والحياة
- ٠٢٣ بيان ان الروح مغاير للبدن واخذ ذلك من القرءان
- ٠٢٥ كلام على قوله تعالى ويسئلونك عن الروح
- ٠٢٧ رد ابن العربي على اصحاب قطع الملائق بين
- الارواح والابدان وهو فصل محكم بديع
- ٠٢٨ حديث ابى بكر وحنظلة فى معافسة الازواج



والاولاد والضيعات بعد مجالس التذكير

- | | |
|---|-----|
| اجتماع ابن العربي بالقاضي حامد المعتزلي | ٠٣١ |
| معنى شرح القلب وتنويره | ٠٣٢ |
| لله النور المحسوس والنور المعقول | ٠٣٣ |
| رؤية الملائكة اجبره | ٠٣٣ |
| رد المؤلف دعوى تأثير النفس | ٠٣٤ |
| بحث جليل في الكرامات | ٠٣٥ |
| حقيقة النبوة | ٠٣٦ |
| الموقف الثالث في قول طائفة لا مملوم الا المحسوس | ٠٣٨ |
| او ما يظهر في النفس ابتداء وانكروا النظريات | |
| عاصمة في الرد عليهم | ٠٣٨ |
| كيف يقنع المتشكك ويدل الحائر | ٠٤١ |
| سبب اختلاف النظار | ٠٤٢ |
| الحكمة في خفاء بعض الادلة وظهور بعضها | ٠٤٣ |
| الموقف الرابع في قول طائفة ان العلم لا يؤخذ الا | ٠٤٣ |
| من المعصوم | |

- عاصمة في الرد على هذه الطائفة ٠٤٤
- وصف حالة الباطنية اصحاب هذه العقيدة ٠٤٤
- وصف الحركة العلمية ببیت المقدس ٠٤٥
- دخول ابن العربي عكا واجتماعه براس الطائفة الامامية ٠٤٥
- مناظرة ابن العربي للامامية ٠٤٦
- متناقضات في مذهبهم ٠٤٧
- ذهاب ابن العربي مع الاسماعلية لمناظرتهم ٠٤٨
- الشدة الرابعة من شدائد عمر ابن العربي ٠٤٩
- حكاية الامام ابي بكر الاسماعيلي نسبا التي اخذ ٠٥٠
- منها ابن العربي سلاحه الذي انتصر به على الاسماعيلي مذهبها
- مناظرة الامام ابي الفتح نصر المقدسي لاحد الشيعة ٠٥٥
- تكملة في العصمة للمبعوث ويجوز ان يتعدد ٠٥٥
- مناظرة ابن العربي للامير الشيعي المعتزلي ٠٥٦
- رتبة ابن العربي العلمية في التقليد والنظر ٠٥٧
- دخول ابن العربي بغداد وتاريخ فشو الباطنية ٠٥٩
- بالعراق وكتب الغزالي في الرد على الباطنية



- ٠٦٠ استئصال الباطنية من العراق
- ٠٦١ اول مسألة حكم فيها بمذهب مالك بمدينة السلام
بعد احوال واعوام
- ٠٦١ مقالة الحلولية
- ٠٦١ فعل قاضى باطني واغتيال الباطنية لاهل السنة
- ٠٦٢ قول اهل الوحدة والرد عليهم
- ٠٦٣ قرطاس رايهم في النظر مع وجود المعصوم والرد عليهم
- ٠٦٤ قاصمة فيها بيان منشا الباطنية بين المسلمين
- ٠٦٥ البرامكة والباطنية والنزعة المجوسية
- ٠٦٥ المجلس الذي كان يعقده البرامكة
- ٠٦٧ عاصمة في رد على كلمات لاهل هذا المجلس بطريق
المعارضة ومقابلة فاسد بفاسد
- ٠٦٨ خوض المشيخة المذكورة في مسألة ما يصح وصف
الباري بالقدر لا عليه
- ٠٧٣ كيف ترجمت كتب الاوائل في عهد البرامكة
- ٠٧٤ سبب نكبة البرامكة



- ٠٧٤ عاصمة في ان الله تعالى حمى الدين بأئمة السنة وكتبهم
فهى الشفاء من الداء العياء
- ٠٧٥ تفسير الا شعري وما فعله به الصاحب ابن عباد
- ٠٧٥ رأي ابن العربي في البرامكة
- ٠٧٦ تقسيم المدارك العقلية
- ٠٧٧ عدد مآظهر من معجزاته عليه واله الصلاة والسلام
- ٠٧٧ قاصمة في زعمهم في لحم الخنزير
- ٠٧٧ عاصمة في الرد عليهم
- ٠٧٩ مزيد : بيان في تباين المخلوقات
- ٠٨٠ عاصمة فيمن رد عليهم بعلومهم
- ٠٨٥ موقف الغزالي الشريف وكلام ابن العربي على كتابه
التهافت والقسطاس وكلمة في ابن حزم وثناؤلا على الغزالي
وذكر حالته
- ٠٨٦ علماء بغداد والغزالي
- ٠٨٦ نصيحة ابن العربي لطالب العلم
اجبرلا وهى نصيحة عظيمة للغاية

أصحاب الطبيعة وانشعاب المعتزلة منهم	٠٨٧
ذكر طريقتين في اثبات الصانع	٠٨٩
ماخذ الطريقة الاولى من الترتيب	٠٩٠
الطريقة الثانية	٠٩١
مضايقه	٠٩٢
ابيات توحيدية	٠٩٣
تنزيل في الرد على القدرية في التولد	٠٩٤
التفات الى المتأهين من الفلاسفة وذكر طريقتين	٠٩٧
في الرد عليهم	
رد عليهم في انكار الفنا	٠٩٨
رد عليهم في انكار الحشر	٠٩٩
وهلة في تفسير الغزالي لحديث العنقود في	١٠٠
صلاة الكسوف	
تذكرة في الرد عليه	١٠١
معادلة في ذكر قول الفلاسفة في كون الاشياء	١٠١
عاصمة في الرد عليهم بشأنه اوجه	١٠٢

الاستدلال على اثبات الازالة	١٠٣
الاستدلال على اثبات الحياة	١٠٥
عاصمة في اثبات العلم على التفصيل	١٠٥
كلمات امام الحرمين في العلم المعروفة بمسألة	١٠٦
الاسترسال	
رد ابن العربي عليه	١٠٧
كلمة مختصرة جامعة كافية في عقيدة العلم	١١٦
طرح الالفاظ المحدثه في العقائد وهي طريقة	١١٧
علماء السلف	
عاصمة للموحدين قاصمة للفلاسفة فيها بحث طويل	١١٧
في العلم واثباته وانقسام الفلاسفة الى قسمين فيه	
بحث في السيط	١١٩
النظر مع الفلاسفة في الايالة الخاصة والايالة	١١٩
العامة	
محادثة الباجي والمؤمن ابن هود	١٢٠
قاصمة في طائفة حاولت التلفيق بين الفلسفة والملة	١٢١

مؤلفو رسائل اخوان الصفا	١٢١
عاصمة في ان القرآن فيه الرد على جميع الضالين	١٢٢
بالا دلة القاطعة وان الامة لا تخلو من حماها	
منزلة الشرع من العقل	١٢٤
عاصمة ليس في نصوص الشرع ما يصادم العقل	١٢٥
عاصمة في تفسيرات الباطنية	١٢٧
من اراد ان يدخل في الملة ما ليس منها وطريقة	١٢٩
استدلال المؤلف في هذه العواصم	
استدراج في ان طريق الفلاسفة لا توصل الى	١٢٩
معرفة الله	
سبيل الوصول الى معرفة الله	١٣١
معنى حديث انت كما اتيت على نفسك	١٣١
رأي المؤلف فيمن اعتقد ان علم الباري متعدد	١٣٢
عاصمة في مناقشة الفلاسفة في مدعياتهم وعباراتهم	١٣٥
المتقدمة	
كلام على العقل	١٣٦

١٣٨	نقض قولهم في حركات السموت
١٤٠	حكاية ذمي مع صاحب خرسان
١٤١	شبهة رأس من الملاحدة وجواب المؤلف عنها
١٤٢	المعنى الاصلي لمن
١٤٢	تحقيق معنى قوله تعالى خالق لكم الى جميعا منه
١٤٣	آراء طوائف في عود ضمير منه
١٤٤	كلام علي حديث اذا نشأت بحسرية
١٤٦	كلام علي النفس والجسم
١٤٦	قاصمة في ترتيب صدور الموجودات عند الفلاسفة
١٤٧	عاصمة في الرد عليهم
١٤٧	قاصمة في زعمهم صدور النقل من الاول
	وترتيب العقول
١٤٨	عاصمة في الرد عليهم
١٤٩	تركيب الامتزاجات من العلويات في السفليات
١٥٠	قاصمة في ذكر العناصر الاربعة
١٥١	عاصمة في مناقشتهم والرد عليهم

١٥٢ نكتة القضاء والقدر وهو فصل جليل نفيس
من فصول الكتاب

١٥٥ قول علمائنا في القضاء والقدر

١٥٥ رتبة احاديث النهي عن الخوض في القدر

١٥٥ عارضة فيها كتاب حكمة الاسكندر في

الاعتبارات بالاجرام العلوية علي الطريقة الفلسفية

١٥٧ معارضة ابن العربي لكلام الاسكندر

بكلام علي الطريقة الاسلامية التوحيدية بليغ عجيب

١٥٩ قاصمة كلام الفلاسفة في الصبورة والهوى والحركة

والملكات

١٦٠ عاصمة في مناقشتهم

١٦١ قاصمة كلامهم علي المرض

١٦٢ عاصمة في مناقشتهم

١٦٦ قاصمة قولهم في الامتزاج والتكوين والفساد وفيه

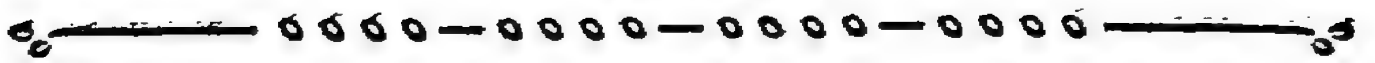
جهالتان

١٦٧ عاصمتها

قاصمة قوهم في تكوين المعادن	١٦٩
عاصمة في مناقشتهم	١٧٠
قاصمة قوهم في البخار اذا احتقن في الارض	١٧٢
عاصمة في مناقشتهم	١٧٢
قاصمة قالت طائفة لا يفتقر في معرفة الله	١٧٤
ووجوب ذلك على كل احد الى الشرع	
عاصمة في الرد عليهم	١٧٥
كلام على العقل والعلم	١٧٥
العقل في لسان العرب	١٧٦
معنى لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن	١٧٧
معنى اللهم اجورها وتقواها	١٨١
قاصمة قالت طائفة لا حاجة الى الرسل ولا مرشد	١٨٣

الا العقل

عاصمة في الرد عليهم	١٨٦
منزع الرد عليهم من آية قرآنية	١٨٦
مرتبة العقل في التمييز والتحصيل	١٨٨



ما عرف به المرسل به يعرف الرسول	١٩٤
رأي المؤلف في السحر والفرق بينه وبين المعجزة	١٩٥
الترقي عند الفلاسفة قد ينتهي الى الحلول والاتحاد	١٩٧
فائدة ارسال الرسل	٢٠٢
شرح لفظ الحكمة	٢٠٥
وضع الاعتقادات في النفس والاعمال في الجوارح وتركيب بعضها على بعض	٢٠٧
الحكمة ضالة المؤمن : معنائه ونسبته	٢٠٧
شرح لفظ الشجاعة	٢٠٨
شرح لفظ العفة	٢٠٩
شرح لفظ العدل	٢١٠
علاقة	٢١١
ما قاله ابن رضوان الفيلسوف عند ما قرئت عليه	٢١١
صفة النبي صلى الله عليه وسلم ورد ابن العربي عليه	
رأي ثمامة بن اشرس في دليل صدق الرسول	٢١١
رد ابن العربي على ابن اشرس	٢١١



الجزء الثاني

كتاب

العواصم من القواصم

تصنيف الشيخ الامام قاضي القضاة
ابي بكر محمد بن عبد الله بن العربي
رحمه الله تعالى



وقف على طبعه وتصحيحه

الاستاذ عبد الحميد بن بابوي
حقوق الطبع محفوظة له

الطبعة الاولى

سنة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م

المطبعة الجزائرية الاسلامية



— قاصصة — ثم نظرنا في طائفة نبغت يقال لهم اصحاب الاشارات جاءوا
بالفاظ الشريعة من بابها واقروها على نصابها لكنهم زعموا ان وراءها
معاني غامضة خفية وقعت الاشارة اليها من ظواهر هذه الالفاظ فعبروا
اليها بالفكر واعتبروا منها في سبيل الذكر وزاحمتهم من الطوائف
الاول زمرة لبست لبستهم وتكلمت كلمتهم ونحن نجمع بين الطائفتين
في مكان لانه اخصر في البيان وان اعترض غيرها لفقنا (١) فيها
وظاهر هذا القول انهم قصدوا خيرا فاساءوا عليها وربما تراقا (٢)
الامر بالتبعية له وادخال ما ليس فيه الى ما لا ينبغي منه ومتعلقهم في
ذلك ان السلف مازالوا يبطنون مثل هذا المعنى ويجعلونه من باطن

(١) اولفناها (٢) كذا بالاصل

علم القراءان الذي قالوا فيه ان للقراءان ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا
حسب ماقررنا في كتاب قانون التاويل . ولقد صحبت منهم كثيرا
وفاوضتهم طويلا وهم عصابة بتلك الديار ورؤسها في العلم وفاوضتهم
وطلبت منهم وطالبتهم بالادلة فتعلقوا بما قدمته من اثار السلف .
ومنهم من قال هذا مقصود الشريعة من تاديب الخلق واصلاحهم
بالتصريح تارة وبالاشارة اخرى فان القراءان نزل بلغة العرب وهذه
سيرة العربية وما من كلام الا وهو في لسان العرب يحتمل وجوها
ويدل على معان لا يدرك حقيقتها الا الكامل بنور العلم . او لا ترى
ماورد في الحديث الصحيح عن ابن عباس انه قال كنت اقرى رجالا
من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف فبينما انا في منزله بمنى وهو
عند عمر في اخرججة حجها اذ رجع عبد الرحمن بن عوف فقال
لورأيت رجلا اتى امير المؤمنين اليوم فقال يا امير المؤمنين هل لك
في فلان يقول لو قد مات عمر لبايعت فلانا فوالله ما كانت بيعة ابي
بكر الا فلانة فتمت فغضب عمر وقال اني ان شاء الله لقائم العشية
في الناس فحذرهم هؤلاء الذين يريدون ان يغضبوهم امورهم . قال عبد
الرحمن فقلت يا امير المؤمنين لا تفعل فان الموسم يجمع رعايا الناس

وغوغاءهم وانهم هم الذين يغلبون على قوالك حين تقوم في الناس وانا
 اخشى ان تقوم فتقول مقالة يطيروها عنك كل مطير ولا يعوها ولا
 يضعوها على مواضعها فاهل حتى تقدم المدينة فانها دار الهجرة والسنة
 فتخلص باهل الفقه واشراف الناس فتقول ما قلت متمكنا فيعني اهل
 العلم مقالتك فيضعوها مواضعها . قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه
 فقد كان خوف سوء التاويل للقول وحمله على غير وجهه مخوفا في الصدر
 الاول . قالوا ولم يكن لاشارة القول وعبارته والتجاوز به الى كثير
 من معانيه الاحوار (١) اليوم وهو معدن انصار الحقائق وفيه يبدي
 الملك غامض علمه وياقنى الغيب على من يشاء الله من عباد له . وقال لي
 محققهم الاكبر هذه امثال الله في كتابه واشارته الى علومه ، وذكر
 امثال الانوار للهدى والايمان وكذلك امثال النبات كقوله تعالى
 ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة وذكر امثال الماء والنار في
 سورة الرعد وما جرى على لسان النبي منها في حديث ابى موسى
 وغيره وتشبيه العلم والايمان فيه بالغيث والسمعين له بانواع
 الارض واخذ القوم من ذاك النموذجا منه (٢) قوله ومن اظلم ممن

منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها وقالوا ان الله
 به بذلك على انه لا اظلم ممن خرب اركان الايمان بالشهوات وهى
 قلوب المؤمنين وعمرها بالمنى والشهوات وشحنها بمحبة الدنيا وفرغها
 من محبة الله تعالى . ثم قال والله المشرق والمغرب و اشار بذلك الى مشارق
 القلوب وهى نجوم العلوم التى تطوف وتسير فى ظلمات المنى والشهوات
 وشموس المعارف فوقها فاذا طلعت بعد (١) ذلك (٢) شمس المعارف
 خفيت النجوم الشارقة قبلها وكل لله ومنه وبعضها انور من بعض .
 ومنه قول الخليل حين لاح له نجم العقل فعلم الحق فقال هذا ربي فلما
 زيد فى ضيائه وطلع له قمر العلم فطالع بالبيان قال هذا ربي ثم اسفر
 الصبح ومنع (٣) النهار وطلع شمس العرفان من برج مشرقها فلم يبق
 للطالب مكان ولا للتجويز حكم ولا للتهمة قرار فقال انى برىء مما
 تشركون . — عاصمة — فتلقفت جميع ذلك ووعيته وانا الى اصل
 الماخذ ناظر وعلى اعطافه بالتفكر قابل . والذي تحرر بعد تحرير
 الافتكار فى سبيل النظر والا اعتبار ان الصريح عام فى الدين به جاء
 البرهان وعليه دار البيان فلا يجوز ان يعدل بلفظ عن صريح معناه

الى سوا فان ذلك تعطيل للبيان وقلب له الى الاشكال فاذا تقرر
الصريح في نصابه فلا شارة بعد ذلك الى الامثال والاشبال والتنبيه
لوجه التشبيه اصل عظيم في العقل وباب متسع في الدين وسبيل
واضحة في الشريعة فان كانت في الاحكام فهو باب القياس وان
كانت في التذكير والوعظ فالعبرة مباحة وان كانت في التوحيد ولم
يذكر في معرض المثل فهي على حقيقتها لا حظ فيها لغير التنبيه
بقدره على قدره وبقدس على تقدس (١) فان ورد على طريق المثل
فقد مهدت قاعدته ومضى على محتملاته . قال الله تعالى وضرب الله
مثلا رجلا فيه شركاء . تشاكسون فتولى هو ضرب المثل لنفسه ونهانا
نحن ان نضرب له من قبل انفسنا فقال فلا تضربوا لله الامثال ان
الله يعلم وانتم لا تعلمون وان شبهت (٢) في المواعظ والتذكير فذلك
مع اجتناب الغلو وتوقي الافراط حتى يعود ذلك بزيادات لا تلزم
وينقلب المحال (٣) فيجعل المذكور تبعا والمنبه عليه اصلا والمشار اليه
مقصدا . (٤) وانا اضرب لكم في ذلك ثلاثة امثال . المثال الاول .
الاية المتقدمة . ضرب الله مثلا رجلا قيل هو الكافر وقيل هو الصنم

(١) في خ تقدس (٢) تنبهت (٣) لعن الاصل الحال (٤) خ مقصودا

وقيل هو العاصي وقيل هو المقبل على الدنيا . فيه شركاء قيل الآلهة وقيل الشياطين ومتشاكسون مختلفون ورجلا قيل المؤمن وقيل المطيع وقيل المقبل على الله وقوله سلما لرجل الله بالطاعة بالاعراض عن غيره هل يستويان مثلا فالرجل الاول ضربه مثلا في قول وللصنم في اخر والعاصي في ثالث والاشارة الى مقبل على الدنيا في رابع . وقوله فيه شركاء قيل الآلهة تدعيه وقيل الشياطين وقوله رجلا سلما لرجل قيل هو مثل المؤمن وقيل المطيع وقيل في الاشارة المقبل على الله المعرض عن الدنيا . ولا اشكال في ان المثل مضروب للمؤمن والكافر فهو الاصل الذي بعث لاجله النبي صلى الله عليه وسلم والداء العضال . والطاعة والمعصية منه . والاقبال على الله والاعراض عن الدنيا وان كان معنى صحيحا فانا لا نقطع على ان الآية سيقت له ولا ينبغي ان يكون مرادا بها ولكننا نقول ان الادلة المنصوصة من القرءان والسنة قد جاءت فيه فلا نفتقر الى ان تقول من هاهنا ناخذاه فانه لا خلاف بين الامة في ان المسئلة اذا وجد جوابها وظهر حكمها صريحا في دليل لا يطلب بالتظمين من غيره . المثال الثاني . قالوا ان قوله تعالى اخلع نعليك الاشارة فيه الى خلع الدنيا والاخرة

من قبله وقيل تنق عن (١) نوعى افعالك . وقالوا فى قوله ان
 الق عصاك اى لا يكون لك معتمد ولا مستند غيري . قال القاضي ابو
 بكر رضي الله عنه هذه اشارة بعيدة او قل معدومة فانها الى غير
 مشار . ما امر بطرح النعل الا لا احد وجهين اما لانها كاذبا من غير
 جلد مذكى كما روى عن ابن مسعود اولئلا يطاء الارض المقدسة
 بنعل تكرمته لها كما لا يدخل الكعبة بها . وقال الطبرى لو صح
 حديث ابن مسعود لقات به ، ولكن امر بذلك كرامة ، قال القاضي
 ابوبكر رضي الله عنه ولو كانتا من جلد حمار ميت لم يكن فى ذلك
 درك لان الشرع بعد لم يكن بلغه . وقد قيل فى شرعنا يجوز الاتقاء
 بجلد الميتة قبل الدباغ . فاما تفريغ قلبه فعند سماع كلام الله يفرغ
 ضرورة ، الا ترى ان النبي اذا سمع كلام جبريل عليها السلام معه
 في الوحي لا يبقى له فراغ لغيره . فكيف مع سماع كلام الله فهذا
 معلوم ولا يحتاج اليه بعبارة ولا باشارة . وهى حكمة شاذة واشارة
 الى برودات او تعطيل بحسب المقاصد . واما القاء العصا فقد بين الله
 تعالى الفائدة فيه . ومن يعتمد على عصا من طول القيام يقال له انه

علي غير الله يعتمد. هذه خرافة. فدع عنك نهبا صيحح في حجراته.
وعول علي كتاب الله ومعلوماته ، المثال الثالث ، قال اصحاب الاشارة
قول النبي صلي الله عليه وسلم لا تدخل المئكة بيتا فيه كلب
ولا صورة فبين النبي ان المئكة تنزلة عن بيت فيه كلب
من الحيوان او صورة من التماثيل . وهذا حث علي ابعادها وحض
علي تفريغ البيوت عنها لتمكن المئكة من الدخول الى
البيوت لما امرت به فيه من احصاء اعمال واحتياط على بدن او
مال او بركة تنزلها على ذي المنزل او رسالة توديعها اليه اذا كان
لها صاءبا وذلك مخصوص بالرسول ومنهم جاء اصل الحديث وبعد
تقرير هذا فهو تنبيه على تطهير القلوب عن الحسد والحقد
والغضب والبخل والخديعة والمكر وسائر الصفات الذميمة فانها تمنع
من الاعمال الصالحة بالتنفير لها والافضاء لاسبابها . ما تفعله
الكلاب في منازلها والقلوب منزل للمئكة ومعدن الايمان
ومحل التقوى وهي بين اصبعين من اصابع الرحمن وذلك عبارة
عن المئكة المدبرة لها . واذا ظهرت المنازل الحسية فتتزيه القلوب
عن صفات المكر ولا اولى فنقر الحديث على ظاهره ونعبر منه علي

طريق الاعتبار الى هذا المعنى المشار اليه فنلحقه به ونكون
عاملين بالوجهين موفين حق اللفظ في المعنيين وهذا حكم الاعتبار
والإلحاق . قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه هذا قدحة خاطر
ولحمة ناظر لا يحتاج اليها واصلاها انما هو من القوم الذين قدمنا شأنهم
في تعطيل الشرائع وان كل ما جاء منها وجرى في الفاظها ليس على
ظاهره وانما هو كاه مبني على التعبير عن باطن سواه وغرض آخر
غيره على معنى الكناية والرموز فاراد هذا القائل ان يتوسط فذكر
ذلك على هذا الوجه وهو معنى فاسد من وجهين احدهما انه يكاد
يقطع بان هذا لم يكن مقصودا للنبي الثاني انا قد وجدنا التصريح
بتطهير القلوب عن هذه الصفات الذميمة كلها منصوبا عليه فما الذي
يوجبنا الى ان نأخذ على بعد من لفظ آخر بمعنى من الاعتبار يبعد
او يقرب هذا من الفن الذي لا يحتاج اليه وانما هو احتكاك بتلك
الاعراض الفلسفية ، وهي عن منهج الشريعة قضية كادت بها الدين
طائفة خبيثة ، وقولهم ان الساف كانوا يبطنون مثل هذا المعنى فغير
مسلم انما كانوا يستدلون بالتنبيه العرفي او الذي يقتضيه اللفظ من
جهة اللسان فاما الاعتبار بالمعنى الباطن الذي يجري مجرى الرموز فلم

تفعلاه قط ولا يؤخذ في اغراضها من طريق صحيحة ، واما قولهم
ان هذا هو المقصود في الشريعة من التاديب والاصلاح فكلا ، انما
ادبت واصلحت الخلق بما ادبت به وصرحت وما اقتضاه لسان
المخاطبين ، واما حديث عمر رضى الله عنه فاصل صحيح فان الناس
ما زالوا قديما وحديثا باغراضهم الفاسدة يقلبون القراءان ويبدلون
ما سمعوا من النبي كما قال عنهم يحرفونه من بعد ما عقلوه ، وكانوا
يقولون للنبي راعنا وانتم ممن يبدل كلام الله ولا تتناولونه كما يجب
وتضعونه في غير موضعه ، واما امثال الهدى والانوار والشجر والماء
والنار فامثال معقولة ضربها الله فقهها من خوطب بها عنه وقد او
ضحناها في انوار الفجر وفي قانون التاويل بنهاية البيان ، واما الذي
ذكرناه من الاية التي في قوله وعن اظلم ممن منع مساجد الله فقد تقدم
الجواب عنه مثله فان المراد به المساجد ذوات الساحات المتخذة للصلوات
وقلوب المؤمنين معروفة حالها مبينة باكثر من هذا البيان في مواضعها
ولا نحتاج الى ذلك فيها ولا يدل ذلك اللفظ عليها ، وكذلك القول
في آية المشرق والمغرب هو نص في الجهات ، وما يتردد عليه احوال
القلوب ويجرى في خواطر الصدور معلوم بدليله منصوص في كثير

من آي توحيد القراء ان كقوله انه عليم بذات الصدور . الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير . فاخبر انه كاه من خلق الله وانه به عالم فهو لله خالق وقد يكون له تصديقا وقد يكون به (١) تكذيبا وقد يكون له محمودا وقد يكون منه مذموما وهذا كاه له خلق وقضاء ، وقدر وقد دللنا عليه في موضعه وافسدنا قول اخوانهم القدرية ، الذين اتفقوا معهم على هذه البلية . (٢) واما نازلة الخليل فهو خطب عليهم جليل ، وامر عندنا شريف جليل . وقد بيناها في التفسير ، ونكتة القول فيها ان شان ابراهيم صلى الله على نبينا وعليه كما شرحها (٣) المفسرون ليس فيه قطع بصحة ولا دفع ممكن وبعد سردها اختلف العلماء في المعنى على اربعة اقوال ، الاول ، هذا ربي في ظني لانها حال نظر واستدلال ، الثاني ، انه انتقد ذلك ، الثالث ، انه كان طفلا ، الرابع انه قاله منكرا عبادة الاصنام على قومه ، فاما من قال انه قالها في حال النظر والاستدلال فليس طريق من طرق النظر يفضي في ابتدائه ولا في انتهائه ولا في اثناؤه الى ان الكوكب رب ، ولو وقع النظر

(١) اوله (٢) في الهامش : هذا نصف الكتاب . وجعلنا نحن اول الجزء الثاني من حيث جعلناه ليفتح الجزء باول الكلام مع اصحاب الاشارة . (٣) خ شرحه

الناظر علي انه مدبر ما ازاله عنه انه اقل لانه يظن انه ربما كان
تديرة وربانيته في افوله وطلوعه . واما من قال انه اعتقد ذلك فكذلك يلزمه
ما قدمناه في حال النظر والاستدلال المتقدمة . وقول من قال انه كان طفلا حين
خروجه من الغار الذي خبأته امه فيه خوفا من القتل عليه ، فاخبر بذلك عن بشاعة
قصور النظر ان كان نظرا او عن فساد الاعتقاد ان كان لذلك معتقدا . واما
قول من قال انه كان منكرا فصحيح حسن فان ابراهيم بعثه (١) بين قوم عامة
يعبدون الاصنام التي ينسجون . فاذا تخصص منهم احد تعلق بالعلويات ورأى انها
اشرف من هذه الارضيات في ظاهر الحال فخرجت الخواطر الحائرة بالمقادير ؛ كل
احد الى كوكب وقمر وشمس وكان منهم خاصة يرون ان هذه الكواكب
الزاهرة ، في الافلاك الدائرة هي الفعالة ويرجعون اليها بعبادتهم وتقديسهم وطلباتهم
فلما اصطفاه الله بخلته ، وادبه بتكريمته ، ورباه بتربيته لاوليائه وانبيائه بان
كره اليهم الاباطيل ، وطهر نفوسهم عن الاضاليل (وهذا (٢) بقين (٣) فانك قد
تري وسمعت بان القلوب تختلف في الاعتقادات فاذا كان هنالك من يربا
بنفسه عن باطل الى آخر يرى انه اشرف منه يدرى بتهكمه وكرهه وكذلك فاعلم
ان الله يظهر من يشاء من عبادة فيستله ويعطفيه فيكون سلااته ومصطفاه ولا

————— ٥٥٥٥٥ — ٥٥٥ — ٥٥٥٥٥ —————

يمكن من قلبه الا الحق (١) وانشاء على اكمل صفة بين انقص قوم كشف
(٢) له عن ملكوت السموات والارض واره تدبير الجملة والتفصيل وجرده له اديهما
حتى ادرك لئيمها وكريمها وخيرها وشرها واطلع في جملة ذلك على الشمس والقمر
والنجوم في السموات والجبال والشجر والبحار في الارض ليكون من الموقنين .
وبعد هذا ذكر ماجرى له في الكواكب بقوله جل وعز فلما جن عليه الليل
فاخبر ان ذلك كان بعد اطلاعه على الملكوت وهو تعريف المخلوقات من الملك بحكم
الملك المطلق وبطل ان يكون ذلك ظنا واعتقادا ووجب ان يكون احتجاجا
فقال لقومه جميعا واشتاتا هذا ربي اما على التنزيل في المناظرة والتقدير ليرتب عليه
مايعده من الدليل . راما بل طريق الانكار والاول اقوى في طريق النظر واطهر (٣)
يدل عليه الكلام في الاية فلما افل قال للمتكلم معه لا احب الافلين . تقرير الكلام
انه قد ذهب وانت تسجد له اذا طلع ولا تسجد له اذا افل فالذي لا ويراك في
كل وقت اولى بالسجود له . وقال للذي سجد للقمر هذا اكبر جرما من ذلك
واظهر فعلا ولا سيما ان كانت له مقشورة فانه يستحقه بنجرتها (٤) فلما غاب عنه قال
انه مثل ما قال الاول وزاد انه لودام على المقشورة لافسدها فقد زال لآخر (٥) هو

(١) ما جعلناه بين هالين هو كذا في الاصل ولعله كلام معترض بين المعطوف عليه
وهو اصطفاؤه والمعطوف وهو وانشاء (٢) هذا جواب لما (٣) بالاصل حرف محو
لعله لفظة ما (٤) هذا اقرب ما يظهر (٥) يعني الشمس

اكبر منها (١) واكثر فعلا فيها فايالا فاعبد فلما افلت قال ماهذا الباطل
لا سجود لمصرف محكوم على مقدار معلوم متداول مع غيره معاقب
له بينهما برزخ لا يبغيان دل على انها محكومان . وما قدر هؤلاء
الثلاث في جنب سائر المكونات من السفليات والعلويات ومع انكم
تقولون ان الشمس دون زحل في المرتبة وان زحلا قد جاز العلو فما
هذه الا راء المتهاففة التي لا يضم نشرها براي ولا يحيط باخبارها وعى
ارجعوا بعبادتكم الى الذي دبر الكل وفطر الجميع ولا تشتغلوا
بالوسائط فليس لها حكم وانما هي امثالكم في التسخير والتقدير
فافردوه بالعبادة دونها ولا تشركوا به احدا . ويعضدا قوله وحاجه
قومه وقوله وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه فانها بابصار علمنا
قطعا انها كانت بحاجة لا شيكا . فاما جواز اعتقاد الانبياء للباطل
والكفر قبل البعث فكما نعلم ان الله على كل شيء قدير نعلم قطعا
انه قد امنهم من ذلك واخبر انهم مطهرون عن ذلك في الازل .
قليل للنبي متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد ، وبين
الماء والطين خرجه الترمذي وصححه وهو صحيح باللفظ الاول . فان

قيل هذه الاستدلالات ظنية فانه (١) ليس يمتنع ان يكون صيبا
 ويشكل عليه الامر فكذلك لا يبعد ان تكون دلالة الحدوث
 عندنا اكثر من دلالة الجسمية واطهر ولا سيما وكان محبوسا في غار
 لامة خوفا من ملك زمانهم يعيش من طرف اصبعيه وذكره لرؤية
 ملكوت السموات والارض يجوز ان يكون الله ذكر حال نهايته ثم
 رجع الى بدايته قلنا قد مهدنا القول القطعي بغاية البيات كما تقدم
 وليس مذكرا لله بيننا ظنا وهذا لا تفهمه الا عاجم ان الله تعالى قال
 مخبرا عن الخليل انه قال لابي له اتعبد اصناما الهة اني اراك وقومك
 في ضلال مبين فلم يخبر عنه بشك فيها ثم نظر فاستيقن ، وانما اخبر
 عنه بتوحيد ظاهر وقول بين ثم عطف عليه فقال وكذلك نرى
 ابراهيم ملكوت السموات والارض اي انا ارينا وجه الحق في الاصنام
 الا رضية كذلك نرى وجه الحق في الاجسام العلوية ليكون من
 الموقنين ولم يخبر انه اراد اجسامها وانما اخبر انه ارادها اياها فراءها
 ملكوتا مدبرة مسخرة ومن كان محبوسا في غار لا يرى في الليل ولا
 في النهار فيخرج منه فيرى الكوكب لا يخطر بباله ان له ربا فكيف

ان يجعله كوكبا ولا شك انه سمع من انيسه في الغار احاديث الاخير
والا شرار . وما يقال انه تحدث (١) به عنه وعن امثاله من انه يخرب
الملك فسمع ان هنالك ملكا يخرب هذا الملك فتعاقق وهم به فاذا
خرج ورأى الكوكب لا يخطر بباله عادة قطعا انه المدبر حتى يسمع
منه ركزا ويلقي اليه احد ذكرا . وقوله ان الباري ذكر حاله في نهايته
ثم رجع الى ذكر بدايته قلنا ذلك محتمل لولا قوله وكذلك نرى ابراهيم
ملكوت السموات والارض ويؤكد ذلك قوله ولقد اتينا ابراهيم رشدا
من قبل وكنا به عالمين اذ قال لابيه وقومه ما هذا التماثيل التي انتم
لها عاكفون القصة الى اخرها فاخبر عنه بقول نظار حكيم ثم اخبر
عنه بانه كما اتانا رشده في الاصنام كذلك نريه في المستقبل ايات
العاويات فكشف له عنها عيانا كما في الاثر او دالة وكان الاستدلال
بالتغير اقوى من التقرر (٢) لان المتغير مخلوق مربوب ضرورة اذ
التغير لا يخلو ان يكون من قدم الى قدم الى حدث (٣) او من
حدث الى قدم او من حدث الى حدث والكل محال كما بيناه في

(١) او محدث (٢) او التقرر (٣) كذا بالاصل ولعل ثم حذفوا وهكذا الاصل
او من قدم الى حدث الخ

كتاب الاصول فلم يبق الا القسم الرابع وهو انه يتغير من حدث الى حدث وذلك المقصود . والذي يعضد دلالة الخليل في الاستدلال بالحدوث يمهد لكم اليقين فانها اقرب وابلد من المساحة والتشكيل ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال وذكر مايفعل من الايات وما يظهر على يديه من المعجزات حتى احياء الموتى قال فمهما يكن من شيء فانكم تعاينون ان الدجال اعور وان ربكم ليس باعور . في حديث اعور عين اليمين وفي حديث اعور عين الشمال تختلف عليه صفات النقص ويلحقه التغير فهذا ينفي عنه الالهية قطعا وهذا بالغ لمن وفق لفهمه وبالله التوفيق - قاصمة - وقد بينا في غير موضع ان الكائدين للاسلام كثير والمقصرون فيه كثير واولياؤه المشتغلون به قليل فمن كاده الباطنية وقد بينا جملة من احوالهم . ومن كاده الظاهرية . وهم طائفتان المتبع للظاهر في العقائد والاصول (١) . الثانية المتبعون للظاهر في الاصول . وكل الطائفتين في الاصل خبيثان وما تفرع عنه خبيث مثلها فالولد من غير نكاح اغية ، والحية لا تلد الا الحية . وهذه الطائفة الاخذة بالظاهر في العقائد هي في طرف التشبيه كالاولى

في التعطيل وقد بليت بهم في رحلتي ، وتعرضوا لي كثيرا دون بغيتي
واكثر ماشاهدتهم بمصر والشام وبغداد . يقولون ان الله تعالى اعلم
بنفسه وصفاته وبمخلوقاته هذا وهو معانا فاذا اخبرنا بامرنا امنا به كما
اخبر ، واعتقدنا كما امر . وقالوا حين سمعوا هل ينظرون الا ان
ياتيهم الله في ظل من الغمام والمملكة . وجاء ربك والملك صفا صفا
واتى الله بنيانهم من القواعد . وينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا انه
يتحرك وينتقل ويذهب من موضع الى موضع ولما سمعوا قوله الرحمن
على العرش استوى قالوا انه جالس عليه متصل به وانه اكبر باربع
اصابع اذ لا يصح ان يكون اصغر منه لانه العظيم ولا يكون مثله
لا انه ليس كمثل شئ فهو اكبر من العرش باربع اصابع . ولقد اخبرني
جماعة من اهل السنة بمدينة السلام انه ورد بها الاستاذ ابو القسم
عبد الكريم بن هوازن القشيري الصوفي من نيسابور فتقد مجلسا للذكر
وحضر فيه كافة الخلق وقرا القاري الرحمن على العرش استوى . قال
لي اخصهم فرايت يعنى الحنابلة يقومون في اثناء المجلس ويقولون قاعد
قاعد بارفع صوت واننذه (١) مدا (٢) وثار اليهم اهل السنة من

اصحاب التشيرى ومن اهل الحضرة وتثاور الفتان وغلبت العامة
 فاحجروهم (١) المدرسة النظامية وحجروهم فيها فرمواهم بالنشاب
 فمات منهم قوم وركب زعيم الكفالة وبعض الدارية فسكنوا ثورتهم
 (٢) وطلوا ثورتهم (٣) وقالوا انه يتكلم بحرف وصوت وعزوا الى احمد
 بن حنبل وتعدى بهم الباطل الى ان يقولوا ان الحروف قديمة . وقالوا
 انه ذو يد واصابع وساعد وذراع وخاصرة وساق ورجل يطاء بها
 حيث شاء وانه يضحك ويمشي ويهرول . واخبرنى من اتق به من
 مشيختي ان ابا يعلا محمد بن الحسن الفراء رئيس الحنابلة ببغداد كان
 يقول اذا ذكر الله تعالى وما ورد من هذا الظواهر في صفاته يقول
 الزموني ماشئتم فاني التزمه الا اللحية والعورة فانتهى (٤) بهم القول
 الى ان يقولوا ان اراد احد ان يعلم الله فلينظر الى نفسه (٥) فان الله
 بعينه الا ان الله منزّه عن الآفات لا اول له دائم لا يفنى لقول النبي
 صلى الله عليه وسلم ان الله خلق ادم على صورته وفي رواية على صورة
 الرحمن وهى صحيحة فله الوجه بعينه لا تنفيه ولا نتاوله الى محالات
 لا يرضا بها ذونهي . وكان راس هذه الطائفة بالشام ابو الفرج الحنبلي

(١) او احجروهم (٢) هيجانهم (٣) كثرتهم (٤) خ وانتهى (٥) خ ذاته

بد مشق وابن الرميلی المحدث ببیت المقدس والقطر وانی بنواحي نابلس
والفاخوري بديار مصر ولحقت منهم ببغداد ابا الحسن بن ابی يعلى الفراء
وكل منهم ذو اتباع من العوام جما غفرا عصبة عصية عن الحق، وعصية
على الخلق. ولو كانت لهم افهام، ورزقوا معرفة بدين الاسلام لكان
لهم من انفسهم وازع لظهور التهاافت على مقالاتهم، وعموم البطلان
بكلماتهم. ولكن الفدامة استولت عليهم. فليس لهم قلوب يعقلون بها
ولا اعين يبصرون بها ولا آذان يسمعون بها اولئك كالانعام بل
هم اضل. ولقد اخبرني غير واحد عن ابی حامد احمد بن ابی طاهر
الاسفاريני انه خرج يوما على اصحابه مسرورا فسالوه فقال ناظرت
اليوم عاميا فظهرت عليه فليل له وانت تظهر على الائمة فكيف تفرح
بالظهور على العوام فقال العالم يرده عليه وعقله ودينه والعامي لا يرد
فهم ولا يردعه دين فغلبته نهزة ونادرة. قال القاضي ابوبكر رضي
الله عنه، القيت طائفة الا وكانت لي معهم وقفة في مقالاتهم عصمني الله بالنظر
بتوفيقه منها الا الباطنية والمشبهة فانها زعنة، تحققت انه ليس وراءها
معرفة، فقدفت نفسي كلامها من اول مرة. وسائر الطوائف لا بد
ان يقف الفكر عقلا وشرعا من اي وجه طلبت الدليل حتى يرشد

العقل والشرع الى ماخذ النجاة. وقد كان صاحبنا ابو منصور ساتكين
التركي نزيل الثغر وابو محمد (١) عبد الغني قاضي البسكرة بديار
(٢) المشرق معنا ولقد كانا اوتيا فهما ورزقا ذكاء ونبلا فغلبت عليهما
صحبة ابن السمناني فاختارا مذهب القدرية ولقد دخلت اليه وسري
وسالني عن اعتقادي فاخبرته فقال لي مامنعك من اعتقاد الحق من
مذهب اهل التوحيد يعنى نفسه واصحابه من القدرية . وهو مذهب
مستند من ابن الفرج الى ابى الحسين الى عبد الجبار الى ابى هاشم
الجبائي الى علي بن ابى طالب رضي الله عنه الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم . فعاتت انه قد تبطن الباطن ولصق باهل البيت
واخذ مذهب القدرية ستره . خلاف ابيه رضي الله عنه الذي كان
يسميه القاضي ابوبكر بن الطيب مؤمن آل فرعون اذ كان حنفي
الفروع اشعري الاصول . ولا (٣) راى قط بخراسان ولا العراق
حنفي (٤) الا معتزليا او كراميا خلا ماوراء النهر ببابخ فانهم الى منقطع
المعمور على اوفق طريقة في الحق وقت عنه وتركته وكان فخلا
من فحول الفقه سمعت كلامه في جامع المنصور مع الشاشي في مسألة

(١) خ ابو محمد عبد العزيز بن (٢) هذا اقرب مظهر (٣) خ ما (٤) خ حنفيا

—————٥٥٥٥٥—٥٥٥—٥٥٥٥٥—٥٥٥٥—————

القضاء على الغائب فرايت رجلا قد احكم الادلة في مسائل الاحكام
وحكمها على الطريقة العراقية . عاصمة . قال القاضي ابوبكر رضى الله
عنه وقبل وبعد ينبغي ان تعلموا ان هذه الطريق في حفظ ظاهر هذه
(١) الاخبار لا يقال انها بنت قصرا ، وهدمت مصرا . بل هدمت
الكعبة ، واستوطنت البيعة . وحذار ان تنشوا معهم دليلا ، ولا
تستانفوا معهم من الكلام نقيرا ولا فتिला . فليسوا لذك اهلا . ولا
ينجع فيهم ان ينشر ذلك معهم الا ان تدخل اليهم من بابهم وهو
ايسر طريق اليهم في الكشف لضلالهم ولا تلتزم معهم مذهبا الا
ان تبطل رأيهم ولا يظهر لك اعتقاد الا رد الكلام الى القراءات
والسنة وما اجمعت عليه هذه الامة وهم قد خالفوا الكل فالهم
افساد مقالاتهم ، وبيان ضلالهم ، فيقال لهم ما لكم اصحاب الا
اليهود فانها الفت في التوراة حين خلق الله السموات والارض ذكر
فيه انه خلقها في ستة ايام واستراح يوم السبت ، فكذبهم الله في
قوله فقال ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما
مسنا من لغوب ، فاخذوا لفظ الراحة بظاهرها ، وهو اعفاء النفس

عن كد التعب بعد تسخيرها فيه ، واعتقدته بحاله فكفرهم الله وكذبهم . ثم نعطف عنان القول فنقول قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة انتم قد قلتم انه اكبر من العرش مقدارا كيف يشمل (١) عليه ظلل الغمام وكيف ياتي الحق مع الخلق يوم الفصل او ياتي البنيان وهو اكبر من العرش والعرش اكبر من السموات والارض ، وقوله الرحمن على العرش استوى ، يقال لهم قال الله ثم استوى على العرش ما العرش وما معنى استوى وينبغي ان تعلموا كلكم انتم وهم قبل وبعد ان بناء ظاهر مفيد في العربية لكل شيء خرج عن حد الخفا والجهل الى العلم كان من المحسوس يخفى على البصر والسمع وسائر الحواس او من المعاني يخفى على العقل ، فاحذروا من ياخذ الظاهر فيجعله في حد الباطن بتاويله له او يحكم بظاهر على معنى هو خفي ، فلما قال الرحمن على العرش استوى كان معناها هنا في المطلوب ثلاثة معان . معنى الرحمن ومعنى استوى ومعنى العرش ، فاما الرحمن فمعلوم لا خلاف فيه ولا كلام . واما العرش فهو في العربية لمعان فايها تريدون ولفظ (٢) استوى معه محتمل

(١) او يشمل وهو الظاهر (٢) او ان محتملان من الحو

خمسة عشر معنى في اللغة فايها تريدون او ايها تدعون ظاهرا منها
ولم قلتم ان العرش هاهنا المراد به مخلوق مخصوص فادعية موه على العربية والشرعية
ولم قلتم ان معنى استوى قعد او جلس فتدعكمون باتصاله به ثم تقولون
انه اكبر منه من غير ظاهر ولم يكن عظيما بقدر جسمي حتى تقولوا
انه اكبر اجزاء منه . ثم تدعكمهم بانه اكبر منه بربع اصابع تحسكم لا معنى
له . وكنت اقضي عجبا من هذه النازلة حتى وردت من المشرق سنة خمس
وتسعين فرأيت غريبة مغربية دفعها الى عبد الله (١) بن منصور القاضي فيها كلام
لبعض منتحلي صناعة الكلام بالمغرب يقول فيها ان الباري في جهة وانه فوق العرش
وان العرش هو الذي يليه من مخلوقاته ، فرأيت قوما قد استولت عليهم الغفلة وغلبهم
الجهل حتى قالوا ان الباري يحاذي المخلوقات ، والذي اوقعهم في ذلك انهم راوا
احاديث ليست بصحيحة ان النبي صلى الله عليه وسلم عدد السموات فذكرها
حتى انتهى الى السماء السابعة قال فيها والعرش فوق ذلك والله فوق ذلك . وسمعوا
التدريية يقولون ان الله في كل مكان . وتكاثر في ذلك الاقوال من المؤلف
والمخالف فانكروا ذلك عليهم وقالوا ان اطلق لفظ في هذا المعنى فالذي ينطلق انه
على العرش وساحوا في فوق لانه بمعنى علا رجل ورددوها (٢) في هذا الحديث

(١) خ عبد الملك (٢) بالهامش الصواب واوردوها

المذكور آنفا ثم جاءت طائفة ركبت عليه فقالت انه فوق العرش بذاته . وعليها شيخ المغرب ابو محمد عبد الله بن ابي زيد فقالها للمعلمين فسدت بقلوب الاطفال والكبار . ثم جاء هذا فقال وانا ماذا ازيد مما يظهر منزلي ، بان (١) اقول وهو الذي يليه من مخلوقاته يعني ليس بينه وبينه موجود وهو يحاذيه . وجعل يفيض في المحاذاة والجهة وما يفيض بكلمة صحيحة . ولم يتفق بعد ان نكر على اهل بغداد وبين اضلاعى (٢) هذا الداء فنفت (٣) عنهم المسئلة واوردتها واصدرت وامليت رجعت . ولبابه ان الله تعالى لا يوصف الا بما وصف به نفسه شرعا وعقلا وان كان في ذلك تفصيل حققناه في موضعه ، ونحن نعلم قطعا انه كان موجودا قبل ايجاد العالم كله على اختلاف اصنافه ثم خلقه مثني وفرادى فلم تتغير له صفة ولا حدث له اضافة محدثة او صفة مخلوقة وهو مدلول عليه ثابت دليلا وعلمنا واجعل العرش مخلوقا مفردا اضحاف المخلوقات فهو مخلوق فان (٤) صفته (٥) بعد خالقه في ذاته كصفته قبل خلقه لم تتغير له ذات ولا قامت بذاته منه صفة لم تكن . فان شيئا من المخلوقات لا يتغير للباري سبحانه به صفة ولا ذات . فاذا ثبت هذا فقوله الرحمن على العرش استوى ان علمنا معناه آما قولنا ومعني وان لم نعلم معناه قلنا كما قال مالك

(١) خبر مبتدأ تقديره ذلك (٢) يعني في وطنه (٣) او نقتب وفي خ بثت (٤) هذا اقرب ما يظهر من الخبر (٥) الضمير يعود على الله

الاستواء معلوم وا لكيف مجهول والسؤال عنه بدعة . فكيف بتفسير (٦) تعلقه بالله
لا يقال انه بدعة بل اشد من البدعة عندا فكيف لو سمع من يقول ان الله فوقه
فكيف بمن يعين فوقية الذات فكيف بمن يقول انه يحاذيه ويليه .
تبا له . والحديث الذي فيه والله فوق ذلك لا حجة فيه لان في
الحديث بعينه وقد عدد الارضين ايضا حتى ذكر الارض السابعة ثم
قال والذي نفسه بيده لو دليت حبالا لهبط على الله . ولم يقتض ذلك
انه تحت الارض . فان قيل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن
معاذ حين حكم في بني قريضة بان يقتل مقاتلهم وتسبوا ذراريهم ، لقد
حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة اربعة . قلنا لم يصح ومع
حاله فلا متعلق فيه لان قوله من فوق سبعة اربعة حرف جر يتعلق
بحكم او بحكم المصدر المتصل لا بقوله الملك فافهموا ذلك فهو من الصنائة
وقد استوفينا بيانه في الاملاء والمشككين . واما قوله ينزل ربنا كل
ليلة الى سماء الدنيا فان الحركة والانتقال وان كان محالا عليه عقلا
فانه يلزمهم على محالهم ان يكون محالا فانهم قد قالوا انه اكبر من
العرش بمقدار يسير فكيف ينزل الى السماء وهو اكبر من جميعها اي

حتى (١) يحمله تعالى على الوجهين ولم يفهموا ان النبي انا خاطب بذلك العرب والفصحاء اللسن . وقد ثبت فيها (٢) ان التنزيل (٣) على الوجهين نزول حركه ، ونزول احسان وبركة ، فان من اعطاك قد نزل اليك (٤) الى درجة النيل المحبوبة عندك عن درجة (٥) المنع المكروهة كما انه نزل من ودك لك عن حال البغضاء والا عراض عنك . وهو نزول سميقة في بابه كما ان نزول المرء عن الجبل الى السفح حقيقة في بابه . الا ترى الى قول عذرة :

ولقد نزلت فلا تظني غيرا ❀ مني بمنزلة الحب المكرم
وقال عمر رضي الله عنه في الاسلام ما ينزل بعبد مسلم من منزل شدة
وهو معنوي لا حركة فيه ولا انتقال . وفائدته ان الكريم اذا حل
بموضع ونزل بارض ظهرت فيها افعاله وانتشرت بركته وبدأت انارته
فما بث الله من رحمته من السماء الدنيا على الخلق في تلك الساعة عبر
عنه بالنزول فيه عربية صحيحة (٦) واما قولهم انه يتكلم بحرف
وصوت فهو معنى اصاته القدريه لقولها بخلق القرآن وان الله خلق في

(١) في خ حيز وهو الظاهر (٢) اي اللغة (٣) في خ النزول (٤) هذا موجود في خ
(٥) خ مرتبة (٦) فصيحة

الشجرة كلاما فهمه موسى كما يفهم كلام الانسان فجرى اولئك على
فصل من البدعة فاسد الاصل معلوم المعنى . فلما جاءت هذه الطائفة
ووجدت القول بخاتى القراء ان كفرا اقروا الحرف والصوت وانكروا
الخلق وقضوا بقديم الحرف والصوت فجاءوا بما لا يعقل ولا هو في
حد النظر والمجادلة . ولهم ظواهر لا اصل لها في الصحة ليس فيها
ما يعول عليه ولا ثبتت صفة به (١) امثله حديث عبد الله بن انيس
يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد فيناديهم بصوت ذكره
البخاري في التراجم مقطوعا . ومعناه ان مناديه ذو صوت ليس هو
الذي له الصوت صفة . وقد يضاف الى الباري (٢) ملكه كما تضاف
اليه صفته فما جاز عليه حمل الاخبار عنه على الصفة وما كان غير
جائز حمل الاخبار عنه به على الملك ، ولا فنى الخبر ينادي بصوت
وليس فيه يتكلم بصوت . فلم تركتم الظاهر وجعلتم الكلام والصوت
واحدا وهما قد وردا في موطنين وبين الكلام والندا ما بين السماء
والارض . وقد قال في حديث القيامة بعينه فيا تبيهم في صورة ثم
يا تبيهم في صورة (٣) اخرى اف يحمل ذلك على ان الله يتبدل وينتقل

(١) هذا في خ (٢) الملك (٣) خ صفة

ويتحول تعالى الله عن ذلك ، فكما ان ذكر الصورة محمول على المعنى كذلك النداء بصوت محمول على المعنى . فان قالوا بالصورة والصوت والتعبير بالحوادث لم يكونوا من اهل القبلة وحكم بخروجهم اصلا وفرعا من (١) الملة . ولم يفهم هذه الحقيقة احد فهم البخاري رحمه الله فانه قال . باب قول الله تعالى ولا تنفع الشفاعة عندنا الا لمن اذن له الاية . ويذكر عن جابر بن عبد الله عن عبد الله بن انيس انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الملك انا الديان ، ثم قال عن ابي سعيد الخدري بالسند الصحيح قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل ي ب دم يقول لبيك وسعديك فينادي بصوت ان الله يامرك ان تخرج من ذريتك بعثا الى النار . فبين سبحانه ان المنادي عنه غير لا لقوله ان الله يامرك والحمد لله . واما احمد بن حنبل فانما ابا ان يقول ان القرءان مخلوق وحملاه الظالم على ان يناظره وقال له القرءان شيء أو غير شيء فإن قلت انه غير شيء كفرت وإن قلت أنه شيء فقد قال الله خالق كل شيء ، فهل يدخل القرءان فيه أم لا

فأبي أن يناظره حتي لا ينزل الباطل والحق في منزلة سواء ، ولو جاء
القائل ان القرآن شاق الي احمد بن حنبل مجي، المسترشد لا رشد
وأجابه . ولما نزل منزلة القدرة وعضده السلطان سكت عنه لئلا
يقع منه ما يفتن به الملك والناس وراى فداء الدين بنفسه فكانت
منزلة سنية لم تكن لاحد في الاسلام . وقد ورد في الصحيح
حديث صحيح اذا قضى الله في السماء امرا سمعت الملائكة كهيئة
السلسلة على الصفوان فيخرون سجدا حتى اذا فرغ عن قلوبهم
قالوا ما ذا قال ربكم قالوا الحق فيقولون الحق الحق فتعلق به بعض
هؤلاء المبتدعة وقالوا هذا نص في ان كلام الله صوت وقد بينا في
شرح الحديث وغيره . وتحقيق القول فيه ان الله تعالى اوحى الى
رسوله اذا قضى الله ولم يقل تكلم الله ولا اذا قال الله . والقضاء
في اللغة والشرع يرد على معان كثيرة وقد يحتمل ان يكون المعنى
اذا قال الله بواسطة ففهم عنه تكلم به اليهم فيغشون لشغل قوله على
الملائكة كما قال يغلب النبي ثقل القول فيغشى عليه كانه الجرس وهو
نحو من السلسلة على الصفا وبعض الملائكة اقوى من بعض كما ان
بعض الادميين اقوى من بعض فقوة جبريل في الملائكة على القبول

من الله يناسب قوة محمد صلى الله عليه وسلم في الادميين على قبول القول من جبريل ولو كان كلام الله صوتا لما كان صوت جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم كالجرس وكلام الله لجبريل كالسلسلة لا يصح بهذا التقدير نعم ولا كالسرعد ولا اعظم منه . واما كونه له يد ويمين فانه له ثابت قطعا اذ هو نص القرآن وكذلك ذوعين فانه ثابت قطعا ولما جاء في القرآن كلاهما قال علماءنا المتقدمون ان اليمين صفة ثابتة في القرءان ليس لها كيفية وحملها المتأخرون من اصحابنا على القدرة . والذي قال في ادم لما خلقت بيدي قال تبارك الذي بيده الملك . وقال بل يدا لا مبسوطتان وقال والسموات مطويات بيمينه . وفي الحديث الصحيح وكنتا يديه يمين . والذي خلق به ادم ويطوى به السموات هو الذي به الملك وهو يقبض به الارض . في البخاري يقبض الارض ويطوي السماء بيمينه . وذكر الحديث وذلك كله عبارة عن القدرة وضرب الله اليدهم مثلا اذ هي آلة التصرف عندنا والمحاولة فانهما المراد هنا ووضح العلم لنا منا وذلك تصديق قوله وفي انفسكم افلا تبصرون . واما بعض اصحابنا فقد قال ان معنى قوله والسموات مطويات بيمينه اي (١)

بقسمه ان يفني (١) الخلق فقول ضعيف وانما هي كناية عن القدرة كما بينا . وهبك وجد للقسم ههنا محتملا ما ذا يصنع بذكر اليمين في الحديث الصحيح . واما ذكر الكف فلم يرد في القراءات ولكنه ورد في الحديث الصحيح . ولعلنا نكتة بديعة . وذلك انه ما جاء في القراءان من احوال الصفات الثابتة نقلا قطعا قالوا انها صفات لا تتأول وما جاء في اخبار الاحاد اولوها ولم يوجبوا لله منها (٢) صفة — وقوله ان الصدقة تقع في كف الرحمن كلام صحيح يشهد له القراءان والسنة فان الله تعالى يقول في كتابه من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه عن نفسه الكريمة بالمستقرض فمن دفع اليه شيئا فقد وقع ما دفع في كف المستقرض كما انه قال مرضت فلم تعدني افيكون المرض صفة ولا يشك في انه لا يكون . كذلك الكف . واما الساعد فليس في حديث صحيح وكذلك ذكر الذراع فلم يصح في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اكثر من غلظ جلد الكافر اثنان واربعون ذراعا وان ضره مثل احد وان مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة وهو صحيح

وقال ولو ان رصاصة مثل هذه اشار الى الجمجمة ارسلت من السماء الى الارض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها ارسلت من رأس السلسلة لسارت اربعين خرفا الليل والنهار قبل ان يبلغ قعرها او اصلها . فاما ذكرها مضافا الى الجبار (١) فباطل .

واراد بساعد الله ان صح الذي ينتقم الله به كما ان سيف الله الذي ينتقم به كما ان سيف الله الذي ينتقم به من الكفر (٢) ويستوفى به القبض واراد بالذراع مملوكة كبيرة المساحة فامر ان يذرع بها ما عنده من المساحة فانه كما قال وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون وخمسين الف سنة . فالأزمنة تكون عنده في طول المساحة ما يشبهه به فيأمره (٣) بمقدار يناسبه . واما ذكر الاصابع فصحيح ولكن لم ترد مضافة اليه وانما ورد انه يضع السموات علي اصبع والارضين علي اصبع ثم يهزهن الحديث . ولا ينكر ان يكون لله اصابع ولكن ليست صفات له ولا متصلة (٤) ولا يقتضي الظاهر ذلك فلا نرده باطنا فيضيفوها الى الله وقولوها مطلقة

(١) هذا اقرب ما يظهر (٢) خ الكفار (٣) خ يأمر له (٤) في زيادة له والظاهر به

كما جاءت تكونوا ، اخذين بالظاهر • والمعنى فيه ان الجامع (١) للمخاطب
 الا صابع فضرب له المثل به • واحفظوا نكتة بديعة ومعنى ان
 الشرع جاء باليدين واليد والكف والا صابع وقل الساعد والذراع
 مفردات فلا تصلوها وتجعلوها عضوا وتضيفوها وتركبوها بعضها الى
 بعض فانكم تخرجون عن الظاهر الى باطن التشبيه والتشيل الذي نفاه
 عن نفسه فما فرق لا يجمع وما جمع من صفاته العليا لا يفرق • واما
 القدم والرجل فصحيح • وردا مضافين الى الله • واما الساق فلم
 يرد مضافا اليه لاني حديث صحيح ولا سقيم • وانما قال الله يوم
 يكشف عن ساق • ما الساق • واي ساق • ومن ذوي (٢) السوق •
 واما الوطاء بالقدم فلم يرد في حديث صحيح اما انه ورد في
 الحديث الضعيف • آخر وطئة وطئها الله تعالى بوج يعني الطائف
 اشارة الى انها آخر غزوة انتقم فيها من الكفار وذلك مشهور في
 لسان المخاطبين بالقرء ان قال الشاعر

وطئنا وطيا على حنق * وطئي المقيد ثابت الهرم

ولا يبعد ان يكشف عن ساق من يقول انه ذو ساق ومن الذي

(١) في خ الجامع للمتفرق المأخوذ للمخاطب (٢) الظاهر ذوو

يمنعهم ان يقولوا انه هذا الساق قال الشاعر

عجبت من نفسي ومن اشفاقها * ومن طراد الطير عن ارزاقتها

في سنة قد كشفت عن ساقها

واما حديث المحاصرة فضعيف وهو في اللغة ماخوذ من خصر وقد يكون الجارحة وقد يكون من المحصرة وهي العصا المعنى يعطيه ما يعتمد عليه ويدنيه منه بالمتى والامان حتي يكون بمنزلة من خاصر الملك . ثم يقال لهم قوله يضع السموات على اصبع ويقلب القلوب باصبع الرحمن من اين لكم ان اصابع الوضع المطلقة هي اصابع التقلب المضافة اليه . ثم انه قال ولتصنع على عيني . وقال تجري باعيننا من قال لكم انها عينا . وقال بيدي ويدي من قال لكم انها ايدي . فان قيل قوله والسما بيناها بايد لنا اتفقت الامة على انها لا تنافيا فلا سبيل ان تكون جمع يد . ثم يقال لكم لم لا تصلون بين القدم والرجل والساق والمحاصرة والجنب — والجنب عبارة عن جهة القصد لانه قال فرطت في جنب الله ولا يكون ذلك ابدا الا من جهة طاعة لا تفريط في الجارحة منك ولا في الصفة منه سبحانه — ثم تصلون الاصبع بالكف بالذراع والساعد وتجمعون صورة فرقها العقل والشرع . ان هذا

هو الكفر العظيم والخسران المبين . ثم الوطاء هو وضع القدم بثقل
 وليس الباري ذا اجزاء تنتقل . فان قيل ففي الحديث ان العرش ليوط
 به اطيح الرجل براكبه . قلنا هذه باء السبب والمخلوقات كلها توط به اي
 من اجله . فان قيل اجعت الامة على ان اصابع الوضع هي اصابع
 تقليب القلب . قلنا اجعت الامة على انها ليست هي . فان قيل عمن . قيل له
 وقل انت عمن . وتحقيق المسألة ان احدا لم يقل قط ان الاصابع والكف
 صفة انما اختلفوا فيما جاء به القرآن من طريق الاحاد فلا يثبت العلماء بها
 صفة وانما اقتحم ذلك هذه الطائفة العوجاء ، واما الضحك والفرح فحديث
 صحيح ولكن اجعت الامة على انها ليست بصفات وانما الضحك عبارة
 عما يكون من فضائه ويفيض من عطائه كما يقال ضحكك الارض اذا
 ابرزت زينتها قال ابونصير

يضحك الشمس منها كوكب شرق * موزر بعيم النبت مكتهل

وقال آخر

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا * غلقت لضحكته رقاب المال

والفرح عبارة عما يظهر عنده من الجود والسخاء والبشر والقبول والاقبال . لهم (١)

(١) كذا بالاصل ولعل ثم حذف هكذا ثم يقال لهم .

على م تقواون انه يفرح ويمشي ويهرول ويأتي وينزل . فهل
 يجوع ويعطش ويمشي ويمرض ويحتاج ويعرى . فان قالوا لا . قلنا فقد
 قال عبدي مرضت فلم تعدني جعت فلم تطعمني عطشت فلم تسقي وفي
 رواية استكسيتك فلم تكسني فيقول وكيف يكون ذلك وانت رب
 العالمين يقول كان ذلك بعبدي فلان وار فعلت به ذلك لوجدتني عنده
 في حديث طويل هذا معناه . فان قالوا لا نقول بهذه لانها آفات وهذه
 صفات قلنا لهم بل هي جوارح وادوات وهي كلها نقص وآفات فان
 هذه الجوارح كلها انما وضعت للعبد جبلة لنقصه يتوصل ويتوسل بها
 الى قصده . ومن الاله والقوة وانما هو اذا اراد شيئاً قال له كن
 فيكون بلا (١) الاله ولا جارحة ، فكما اضاف هذه الالفاظ
 الجوارحية عندنا الى نفسه كذلك اضاف البيت والدار اليه فهل بيته
 الذي هو الكعبة على قدره او اسكبر منه وهل يدخله ام لا وداره هل
 يسكنها او يدخلها . وانتم معشر الغافلين او قل الجاهلين ان خسرتم (٢)
 فاصب بالفضالين الكافرين مقتل الخطاب الصحيح فيهم . الارض كلها لله
 والمساجد لله والكعبة بيت الله والجنة دار الله واذا اراد الله ان يشرف

(١) في خ فلا الة عنده . وهذا هو المتعين . (٢) هذا غريب ما ظهر من الحو

بيتا او دارا او آدم او عيسى قال انه منه وله وببيده كنف والى جنبه
يقعده وعلى عرشه ينزله معه وكل ملك له ويده (١) ورجلاه وقدمه
وذراعه وساعده ، ولا سيما اذا تصرف في طاعته الا ترى الى قوله في
الحديث الذي روئتم فساعد الله اشد وموساه احد بفعل له ساعدا وموسى
والاضافة واحدة والكل صحيح المعنى حق . (٢) واما قوله صلى الله
عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته فقد تكلمنا على الحديث
في مواضع واملينا فيه ما شاء الله ان يملى ولم يتفق لاحد فيه من
الجمع ما اتفق لنا . ولبابه ان اصل القول معناه ثلاثة اوجه الاول ان
يكون المراد به (٣) صورة الرحمن الثاني ان المراد صورة آدم نفسه
الثالث ان المراد صورة العبد المملووم الذي جاء الحديث على سببه حين
لطم ونجهه فقال اجتنبوا الوجه فان الله خلق آدم على صورته فرجع
الثلاثة الاقوال الى اثنين وهما ان يعود الضمير الى آدم اصلا او تبعا
او يعود الى الله فان قلنا انه يعود الى آدم كان معناه اكرمه فان
اباك على صورته وكان ذلك او عظم له من ان يقول له فانك على صورته
لان المرء ممكن ان يمتن من نفسه ما يمتن (٤) من ابيه فان الموجود
(١) معطوف هو وما بعده على له (٢ و ٣) هذا موجود في خ (٤) كذا بالاصل والصواب ما لا يمتن

إذا أشبه من له حرمة عندك راعيت شبهه جبلة وشريعة ومروءة إلا ترى إلى قول القائل

أحب لحبها السودان حي ❀ أحب لحبها سود الكلاب
وقال الآخر :

أشبهت أعداءى فصرت أحبهم ❀ إذ صار حظي منك حظي منهم
وان قلنا يعود الضمير إلى الله كان معناه تشريف العضو بأن فيه طرق العلم كلها البصر والسمع والشم والذوق واللمس وفيه شروط قيام العقل بالقلب أو هو محل العقل على اختلاف غير ضار (١) في الدين ولا يصح أن يكون آدم ولا أحد على صورة الرحمن باجماع وإذا بطل الظاهر فلا معنى لا اعتقاد المحال الذي يبطله العقل في الباطن فإن العقل يزكي الشرع والشاهد بعد الله ومن المحال أن يأتي الشاهد بمحنة الزكى وتكذيبه فان ذلك عائد بإبطال قوله وقد بينا ما كان يقوله أبو يعلى بن الفراء الحنبلي أنه يلتزم في صفة البارئ كل شيء إلا اللحية والفرج فانظروا فيهم (٢) الله إلى هذا المفتري (٣)
على الشريعة في جنب الله تعالى ويقال له فإن التزام الظاهر وإن

صفات المعاني من العلم والقدرة والكلام والارادة والحياة والسمع والبصر واذا ثبتت الجوارح الظاهرة فان الباطنة من القلب ونحوه فان قال هذه صفات نقص يقال له تكون صفات كمال بان يذهب عنها الآلام واللذات والقاذورات كما ذكر تعالى عن صفات اهل الجنة وكما فعلتم في الجوارح الظاهرة واذا بلغتم الى هذا المقام فاحمدوا الله على ما وهبكم من العصمة عن هذه البدعة . ومن استطاع على التاويل وفهم المعنى فيها ونعمت ومن قصر نظره التزم الايمان ونفى التشبيه واعتقد تقديس الرب عن الافات والنظير ولا تصفوه الا بما صح ولا تنسبوا اليه الا ما ثبت فانتم تعلمون انه لا يقبل على احد من الخلق الا العدل فكيف تقبلون على ربكم من لم تعرف عينه ولم تثبت عدالته فيضاف اليه ويحكم به عليه . والاحاديث الصحيحة في هذا الباب على ثلاث مراتب ، الاول ما ورد من الالفاظ كمال محض ليس للافات والنقائص فيه حظ فهذا يجب اعتقاده الثانية ما ورد وهو نقص محض فهذا ليس لله فيه نصيب فلا يضاف اليه الا وهو محجوب عنها في المعنى ضرورة كقوله عهدي مرضت فلم تعدني وما اشبهه ، الثالثة ما يكون كمالا ولكنه يوم تشبهها ، فاما الذي ورد كمالا محضاً

كالوحدانية والعلم والقدرة والارادة والحياة والسمع والبصر والاحاطة
 والتقدير والتدبير وعدم النال والظير فلا كلام فيه ولا توقف .
 وأما الذي ورد بالافات المحضة والنقائص كقوله من ذا الذي يقرض
 الله قرضا حسنا وقوله جئت نذير تطعمني وعطشت فقد علم المحفوظون
 والمفروضون والعالم والجاهل ان ذاك كناية وانه واسطة عن تتعلق
 به هذا النقائص ولكنه اضافها الى نفسه الكريمة المقدسة تكرمة
 لوليه وتشريفا واستلطافا للقلوب وتليينا . وهذا ايها العاقلون تنبيه
 لكم على ما ورد من الالفاظ المحتملة فانه ذكر الالفاظ الكاملة المعاني
 السالمة فوجبت له وذكر الالفاظ الناقصة والمعاني الدنية فزلة (١) عنها
 قطعاً : فاذا جمعت الالفاظ المحتملة التي تكون للكمال بوجه وللنقصان
 بوجه وجب على كل مومن حصيف ان يجمعه كناية عن المعاني التي
 تجوز عليه وينتفي عنه ما لا يجوز عليه . فقوله في اليد والساعد والكف
 والا صبع عبارات بدیعة تدل على معان شريفة فإن الساعد عند العرب
 عليه كانت تعول في القوة والبطش والشدة الا ترى الى قول الزبير
 وقد ضرب فابان المضروب وفصله وتجاوز الى ما تحته فقال له قائل

ان هذا السيف (١) فقال ما هو السيف انما هو الساعد ولهذا قال
النبي في حديث ابي الاحوص عن ابيه فيجدع هذا فيقول ضرر
ويقول بحيرة فساند الله اشد وموساة احد تشديدا (٢) له تلى ما اتى
من الفعل القبيح وتحذيرا له من النعمة والجزاء ، و اضاف الساعد الى الله
لان الامر كانه الله كما اضاف المرسى اليه . وكذلك قوله ان الصدقة
تقع في كف الرحمن عبر بها عن كف المسكين تكرمه له حتى لقد
قال بعضهم ان قوله اليد العليا خير من اليد السفلى المراد باليد العليا
يد السائل المعطى الآخذ لهذا المعنى . و اضافها اليه تكرمه كما قال
ناقة الله وامثاله كثيرة . وقد بينا ذكر الاصابع وحكمته في ذكر
التقليب به . وما يقاب بالاصابع يكون ايسر واهون ويكون
اسرع فاراد الباري ان يكون عند قدرته مقدار السموات والارض
والمخلوقات واراد في جعل القاب بين اصبعين الاشارة بذلك الى
سرعة تقلبه وخفائه وحقارته وهو والمخلوقات سواء في حقارة ذلك
عنده وحقارته بالاضافة الى قدرته . وقيل كنى بالاصبعين عن اللتين
لته من المالك له في الاعداد بالخير وتصديق الحق ، ومن الشيطان

لثة في الایجاد بالشر والتكذيب بالحق . واما الذراع فقد بينا
بانه انما ورد مطلقا غير مضاف الى الله قال الله سبحانه ذرعا سبعة
ذراعا فاسلكوها . والحديث الذي بذراع الجبار لم يصح كما قدمنا .
وانما الصحيح في اسناده عن ابي هريرة غلط جلد الكافر اربعون
ذراعا مطلقا غير مضاف فلا ياتفت الى حديث الاضافة ❀ عاصمة ❀
مما يتعلق بها ويستذكر به وجرى فيه توقف وغلط احاديث يعارض
ظاهرها يقتضى بالعقل لا تتعلق بالباري ولا صفاته ولكنها تتعلق
بما اخبر عنه من المعاني وقد سبق بيانها بان العقل والشرع صنوان
وان العقل زكي الشرع ولا يجرح الشاهد المزكى ولا يكذبه فان
ذلك ابطال له . واحكام العقل ثلاثة واجب وجائز ومستحيل فاما
الواجب والمستحيل فالشرع لا يثبتها ولا ينفيها (١) لانه لم يات
لبیان المحسوسات والضروريات وانما جاء ليعين جائزا ويبين حكما
ابتلايا وعلى الواجب والمستحيل بنى الشرع الادلة وبهذا وقع
احتجاجة واليهما في النظر كان مرجع البیان منه فاذا جاء ما ينفي
العقل ظاهرة فلا بد ايضا من تاويله لان جملة على ظاهرة محال فيكون

غير مفهوم والشرع لا يأتي به فلا بد من تأويله . والاخبار على ثلاثة اقسام متواتر وهو قليل بل عزيز ومستفيض وهو كثير وآحاد وهو جملة اخبار الشرع وفي القراءان من التواتر ما يغني والمستفيض والآحاد اذا جاء في الآثار يرد الآحاد جماعة منهم ملك رضي الله عنه في مواضع تعارضها اصول الشرع والقدرية لا تلتفت اليها (١) ولكنها تتناقض فيها وقد بينا حقيقة الاخبار في كتب الاصول ونحن نورد من ذلك امثلة مختلفة المباني ع خبر ع قال النبي صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فقد رآني في اليقظة ان الشيطان لا يتمثل بي . فهذا يعلم قطعا انه لا يرى ذات النبي ع بل في احداهما ان ذاته لا تدرك في اليقظة فضلا عن المنام الثاني انه يراى في صورة تخالف صورته الكريمة فدل على ان هنالك محذورا تقديره من رأى مثالي فقد رآني اي يكون ذلك دليلا على انه رأى الحق كما قال في رواية اخرى فقد رأى الحق اذ الشيطان وان لعب بالانسان في يقظته ومنامه فلا يلعب به بواسطة النبي فكان ذلك المثال الذي يرى في المنام هو مثال النبي ضرب عنه حقا . وقد سألت

نشمد (١) عن الرجل يرى النبي في المنام فيقول له كان كذا او افعل كذا مما يوافق الحق او يخالف ما روى عنه او ما يقتضيه القياس فقال لي ذلك لا يوجب حكما ليس بشك في حقيقة المثال وتصديق الرؤيا ولكن لان الذي رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه لا يوثق به في تحصيل ما رأي فان المستيقظ قد يفوته التحصيل ويذهب عنه الوعي بغفلة او ذهول او نسيان فكيف بحال النوم انتهى قوله . قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه وقد بينا ان الرؤيا اوهام او حقيقة ادراك على الاختلاف في ذلك . وعندي انه حقيقة ادراك ولكن الملك يضرب بها المثل وذلك مختص بحالة النوم تصرف فيه الاشياء عن ظواهرها وتجري الكنايات والمجازات البعيدة فيها باذن صاحب الشريعة ووضعه كما انه منع الكنايات في بيان التوحيد ووضع الاحكام وجري كل على حكمه وبابه رحمته خبر رحمته قال النبي صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فكتب ما يكون الى يوم الساعة قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه فقد اخبر الله انه خلق العرش والكسري والقلم واللوح وامر القلم فكتب فائتلفت هاهنا خمسة

(١) هو ابو حامد الغزالي وا لكلمة العجمية معناها عالم العلماء

معان. المعنى الاول العرش ولا خلاف بين المصلين ان العرش مخلوق جسم محدث عن اول سابق لعدم ولكنهم اختلفوا هل عبارة عن المخلوقات اجمع ام عن مخلوق اعظم منها قدرا واعلا منها مكانا والصحيح انهما جميعا صحيحان موجودان. المعنى الثانى الكرسي وقد اختلف الناس فيه فمنهم من قال انه العلم وقيل انه موضع القدس ومعناه ان العرش منصوب كهيئتي الدست والكرسي موجود تحته كهيئة الكرسي الموضوع للملك في الدنيا يرقى الى الدست عليه ويضع اذا جلس قدميه فيه وهي جلسة الجبارين فيما شاهدتهم عليه. ولم يرد في هيئته حديث نعول عليه فلا يلتفت اليه. اما انه من الجائز ان يكون الحال كذلك والله (١) اعلم بوجه الحكمة في خلقه اذ لا يصح بحال في المعقول ان يكون مقرا له ونحن لا نعلم الحكمة في خلق الذر فكيف ان نعلم الحكمة في خلق العرش والكرسي فلا معارضة بين القولين فيجب الايمان بالورود والتجويز للمعنيين، واعتقاد وجوب مدعة العلم للكل، وتنزيه الرب عن الحلول والاتصال ونكون حينئذ من الراسخين بفضل الله. المعنى الثالث القلم ليس

يتمنع ان يكون جسما مؤلفا ولا خلاف بين الامة انه كذلك وقد
تظاهرت الاخبار والآثار انها اقلام وقد سمع النبي صلى الله عليه
وسلم في رواية الصحيح صريفا في ليلة الاسراء في العلو الاعلا .
ويحتمل ان يكون اول مخلوق قلما واحدا فكتب ثم خلقت سائر
الاقلام بعده ، ويحتمل ان يكون قوله اول ما خلق الله القلم عبارة عن
الجنس لا عن الواحد ، والظاهر عندي انه واحد خلقت بعده اقلام
سواه والله اعلم ، المعنى الرابع انه قال له اكتب ، قد بينا في قانون
التاويل وجه الحاجة الى الكتابة وفضل الله فيها على الخلق وما يدفع
من مضرتهم ويرفع من حاجتهم ، ولما قال في الحديث فقال له اكتب
دل على ان هنالك مكتوبا فيه وهو المعنى الخامس عبر عنه في آية
باللوح وفي اخر (١) بالرق المنشور ويحتمل ان يكون لفظين لمعنى
واحد ويتمل ان يكونا لفظين لمعنيين والظاهر انهما واحد له اسمان
بل له اسماء المذكور منها هذان الاسماء وعند الانتهاء الى هذا
المقام قالت طائفة ان هذه (٢) عبارة عن انتقاش المعلومات في قلوب
العالمين ، وعبر عنه بالقلم والكتب مجازا اذ معنى الكتابة تثبت (٣) صور

(١) كذا باصل والاولى اخرى (٢) خ هذا (٣) او تثبت

العلوم وذلك كما ثابت في قلوب العالمين فعبر به (١) عنه . وهذا المعنى وان كان جائزا في ذاته صحيحا في وجوده فلا نقف بالقول فيه بل نقول انه مكتوب في جسم بجسم وفي مؤلف بمؤلف ويكون ذلك كما من خلق الله وحكمه وحكمته بان كتبه محسوسا ومعقولا وجعله بالمعنيين موصولا . واذا كان كل ذلك جائزا فهذا هو الظاهر فان الله قال انه اول ما خلق القلم وقال له اكتب ولم يكن هنالك عالم ينتقش في قلبه معلوم فعبر عنه بانه مكتوب . وانما خلق ما خلق وكتب ما كتب ثم انشأ الخلق اطوارا وعالمهم بالقول البيان ، وبالقلم الكتاب ، واخبر عن الوجهين بقوله : الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان (٢) وبقوله : اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم وقد زاد بعضهم بان هنالك دواة وجعلها مذكورة في قوله ن والقلم ، وهذه دعوى من غير برهان فان المداد مادة لنا في تصوير القلم لما يكتبه في وجه اللوح وكتاب قلم الله لا يحتاج الى مادة اما انه لو ثبت طريق وجودها قلنا به وان (٣) لم يثبت فقد استغنى عنه ❀ تكلمة ❀

(١) موجود في خ (٢) في الاصل زيادة : وبالقلم والكتاب والظاهر انه زائد اذ لا ارتباط له بسباق الكلام (٣) الظاهر اذ

وتبقى ههنا نقطة وهي ان كتابه يحتمل ان يكون بخلاف كتابة الخلق
ويحتمل ان يكون مثلها فقد روى الترمذي وغيره عن عبد الله بن
عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوما على اصحابه وفي يده
كتابان فقال عن الذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين فيه
اسماء اهل الجنة واسماء ابائهم وقبائلهم ثم اجمل على اخرهم فلا يد
فيهم ولا ينقص منهم ثم قال للذي في شماله هذا كتاب من رب العالمين
فيه اسماء اهل النار واسماء ابائهم وقبائلهم ثم اجمل على اخرهم فلا يزداد
فيهم ولا ينقص منهم ابدا ثم قال بيديه فنبذها ثم قال فرغ ربكم
من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير . ولو أراد احد ان يكتب
اسماء اهل بلد في قرطيس تسع بيته ما وسعت فيه فكيف كفه
ولكن كتابة الباري على ما تقتضيه قدرته . وخذوا دستوراً في كلامه
العربي الذي نظمه لرسوله الامي الذي اتاه جوامع الكلام وانزل
عليه القرءان معجزاً للخلق فذكر قصة نوح في خمس وعشرين آية
املينا عليكم فيها خمسمائة مسألة وذكر قصة موسى في تسعين آية املينا
عليكم فيها ثمان مائة مسألة وا فرد ليوسف سورة املينا عليكم فيها الف
مسألة وليس يقدر احد من الخلق على ان يجمع في قدر ذلك من الحروف

مقدارها من العلوم فإذا شاهدتم هذه القدرة في المؤلف بين أظهركم
فماذا تستغربون من امر فيما غاب عنكم فقدّر نفسك على ان الاقلام
اجسام تكتب في الالواح فوق السموات بصرير وتصريف وتقدير
وتصوير وان ذلك المكتوب ينكتب في قلوب الملائكة وينتقل
منه الى قلوبنا ويثبت بصفته في كل موضع بحسب حاله والكل
جائز مقدور ، والحديث فيه صحيح مأثور ❀ خبر ❀ ثبت في الحديث
الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوتي يوم القيامة بالموت في
صورة كبش املح فيوقف على الصور بين الجنة والنار ثم يقال يا اهل
الجنة فيشرئبون ينظرون ثم يقال يا اهل النار فيشرئبون ينظرون فيقال
لهم اتعرفون هذا فيقولون نعم هذا هو الموت فيذبح ثم ينادي منادي
يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت فلولا ان الله
قضى لا اهل الجنة الحياة والبقاء لما اتوا فرحا ولولا ان الله قضى لا اهل
النار الحياة فيها والبقاء لما اتوا ترحا . قال القاضي ابو بكر رضي الله
عنه لما سمع الناس هذا الحديث من ذهاب الصدر الاول قالت طائفة
لا نقبله فإنه خبر واحد وايضا فإنه جاء بما يناقض العقل فإن الموت
عرض والعرض لا ينقلب جسما ولا يعقل فيه ذمحا ولما استحال ذلك

عقلا وجب ان يمنح الحديث ردا . وقالت طائفة اخرى ان كان
ظاهرا محالا فان تاويله جائز واختلفوا في وجه تاويله على اقوال قد
بينها في كتاب المشكلين اصلها قولان اجدهما ان هذا مثل كما لو
راى احد ذلك في المنام في زمان وباء فيقال له هذا الوباء قد زال
ويقع في قلبه في المنام ان ذلك هو الوباء وأنه بذبحه يرتفع عن
المكان الذي هو فيه . وهذا له روثق ، وربما تلفق وتنمق وءاخر
الامر لا يستمر ولا يتحقق . الثاني ان الذي يوتي به متولى الموت وكل
ميت يعرفه فإنه يتولا لا فإذا استقرت المعرفة به اعدم لهم العدم
الذى عهدوا ولو شاء ربنا لخلق لهم العلم بذلك ضرورة ولكنه رتب
لهم هذه القصة بهذه الحكمة ويعبر عن المتولى لذلك الشيء باسم ذلك
الشيء وقال فصيدهم :

يا ايها الزاكب المزجي مطيته ❀ سائل بني اسد ما هذا الصوت
وقل لهم بادروا بالعذر والتمسوا ❀ قولا يبريكم انى انا الموت
والذى يعضد هذا التأويل ويحققه قوله تعالى والذين كفروا أعمالهم
كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجدا شيئا ووجد الله
عنده فوفى الا حسابه فأخبر عن جزائه بذاته الكريمة فكذلك يخبر عن

الموت بمتوليه فاعلموا ذلك وقد مهدنا القول مستوفى في تفاصيل الخبر
 في كتاب المشكلين بما لبابه ان خروج الروح من الجسد ان لم يكن
 موتا اذ كان الموت لا يكون حياة الا برجوعه الى الجسد فاذا
 ذبح الكبش ولم يخرج روحه فلا يرى احد الموت وان رآه بعد
 خروج روحه فلم يذبح الموت وان رآه وقد خرج بعضه فليس بموت
 والموت في حقيقته لا يتمعض وان توقفنا في الروح هل يدخل أو
 يخرج وإن قال أرى مقدماته عاد إلى المجاز وأهل القيامة لم تبق لهم
 غريبة لم يروها ولا عادة منخرقة إلا عاينوها فإنهم رأوا الاجسام
 الشقال تعلو وعاینوا في الصراط الاجسام الشقال تمشي على المجوز الدحض
 ثابتة وتجري كجري الخيل وتسیر سير الزیح وتخطو خطو البرق
 وأحسوا بالظما قد ارتفع من شرب الحوض ورأوا العرق يسيل
 فيأخذ كل إنسان عرقه على مقدار ذنوبه فيكون الشخصان متجاورين
 في سطح كخبرة النفي وأحدهما قد غرق في العرق حتى شرق وجارلا
 قد بلغ إلى نصف ساقه ورأوا المقسطين على كراسي في الهواء قعود
 إلى غير ذلك من عظم الايات . وأعظم منه الحياة بعد الموت والقيام
 من الرفاة إلى الحياة فبعد تحققوا الحياة أولا وثالثا والموت ثانيا فلا سالف

إلا وقد حصل عندهم في باب كان ، وسحبوا عليه ذيل العرفان
فلو ذبح لم يمت قبل البعث لقال من رآه ولم يمت أنى قد استرحيت
من الموت . مرة يرى الموت قد ذبح وهو قد كان ذبح قبل ذلك
وقطع آرابا ثم عاد حيا فكيف يمتنع عنده أن يعود الموت بعد
الذبح حيا فكيف يانس بذبحه مع تجويز عود لا فاني لهم نفس
مطمئنة أم كيف يتحققون الخلود في نار أو جنة هيهات ليست الحقائق
في هذه الطرائق . ولا تنال المعاني ، بالاماني ، ولا تؤخذ التحف ،
من الصحف . وإنما هي منقولة من الفؤاد إلى الفؤاد ، بواسطة اللسان
والآذان . ونبذ المال ، بشد الرحال ، وأعمال المطي ، الى المكان
القصي . وملاحظة الا عيان ، بالعيان ، وتحقيق القول في ذلك أن
الروح تخرج من الجسد في الدنيا على أنواع تجمعها حالتان إحداها
أن تنتقض البنية ، وتنفك الرتبة . والثانية أن تزهد الروح
والبنية بمجالها من وقص أو رفس ومع عمل من الادمي كالخفق ولدم
القلب ورض الانثيين وغير ذلك من الانواع الخفي على الناس وجه
اتصالها بالموت . والموت وإن اعتقده المعتقدون خروج الروح
من الجسد وأن الروح جسم ولا بد له من منفذ

لصيقته (١) المذكورة فإذا وقع الخلق فمن اين تخرج والمنفذ مستد .
وان قال هو جسم لطيف قلنا اللطيف والكثيف له محله وسبيله
بصفته (٢) والذي يدل عليه ان الريح التي هي شبيه الروح في
الحروف تاليفا ، وفي الاشتقاق وزنا . وتصريفا ، وفي الكيفية ظنا
وتخميننا ، اذا سد عليها المنفذ لم يكن لها مخرج ولقد روي ان
الخرقة فتحت على عاد منفذ الريح في مسلك محبور مثل حلقة الخاتم
وعتت حتى فعلت ما فعلت بقدرة من مكنها فتمكنت . فأفاد أنه
لا يكون سلوكها الا على مسلك بقدر فعلها . ومن يظن ان الروح
لها دخول وخروج كدخول الاجسام وخروجها في المعتاد فيها .
هيئات له هيئات المدى . بل له معنى بديع يبرزه النظر ، ويشهد له
الخبر . فإن قيل فقد روي ان يحيى ذبح او نشر ولم يمت قلنا اخبار
من (٣) غير اخبار . ولو صحت لقلنا انه ذبح ثم احيي وقد احيي بعد
الموت في الدنيا جماعة . ولا بن ابنها (٤) كتاب فيهم كبير مفيد وقد
يمكن ان يذبح الحي فلا يموت . فإن قيل فحركة المذبوح بعد الذبح
ما هي قلنا لهم هي عندهم مستعارة وحقيقتها نبينها ان شاء الله .

(١) اول صفته (٢) اقرب ما ظهر (٣) خ عن (٤) اقرب ما ظهر

فإن قيل فكيف يأكل أهل الجنة من لحم حيوانها مع بقاء الحياة فقد روى أنه يقع بين أيديهم مشويا . قلنا ويجوز أن يكون مع ذلك حيا سويا . ويلقم وهو يتكلم . وكما انشؤوا من غير اشتواء ، كذلك يوكل حيا من غير اشتواء . وسقطت الزكاة لان الجنة ليست بدار تكليف . ولما سقطت الزكاة سقطت متعلقاتها ، والله أعلم . وطريقة الكلام في المسألة المتقدمة ان الله يخلق لهم العلم اليقيني في دار اليقين بان الموت لا يعود أبدا . ولو خلق لهم هذا العلم ابتداء دون ذبح شيء لكان ذلك واقعا موقعه ولكنه بحكمته جعله مخلوقا منوطا بسبب كما عند العلم اليقيني في الدنيا ان من ذبح او مات لا يعود فيها ابدا فرتب لهم سبحانه شيئا يشبهه حتى يكون العلم الثاني على ما رتب عليه العلم الاول وثبت في نفوسهم العلم بالمراد كما أثبتته من قبل وكان عود الحياة بعد الموت الاول بخبره كذلك يكون امتناع العود في الموت الثاني بخبره وتطمئن نفوس أهل الجنة بالخلود ويزيدهم قوله لهم احل عليكم رضواني فلا أسخط بعده أبدا . ويقع اليأس لا ولئلك وتطبق عليهم النار وينفذ الحكم ويقع الفصل ويظهر الوعد الصادق . والله يختم لنا ولكم بالحسني برحمته ❀ خبر ❀ ثبت

أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى الأنبياء ليلة الإسرى رؤيا عين لا رؤيا قلب في المنام وذكر فيه أنه رأى جميع الأنبياء في السماء ورأى موسى عند قبره يصلى مع أنه رءا في السماء وروي أنه رءاهم في المسجد الأقصى وصلى معهم وصلى بهم ورأى عيسى يهادي بين رجلين كأنما خرج من ديماس ورأى أو قال كأنى انظر إلى يونس يلبي وتحسبه الجبال وعليه عباءتان قطوانيتان . ولا جل هذا قال جماعة بأن الأسراء بالنبي كان مناما فأنكروا صحيجا جائزا لأنه تعذر عليهم ثقل يعلو وصيت يحيا من طريق العادة واطمأنت به نفوس العلماء فإن اعتلاء الثقل كنزوله وإذا نزل جبريل مع خفته جاز أن يعلو محمد مع ثقله والذي يمسك السموات بغير عمد والارض معها بغير عمد (١) مجدد يجوز في حكمته ويتيسر في قدرته أن يعلو بالثقل إلى ذلك المنتهى ويجوز أن يحيى له الأنبياء فيردهم الله إلى هيئتهم فريهم إياه في مواضع مختلفة في أوقات متباينة . ونحن إنما نتكلم مع أهل الملة ومن يتوجه إلى القبلة فإن تكلم معنا سواهم رجعنا معه إلى الأصل المتقدم ويجوز أن يقول النبي في يونس كأنى أراه يلبي كما

تقول انت اليوم كاني بالنبي محمد في عرفة في حجة والناس حوله واسامة رديفه لانك قد تحققتة والا ول في جهة النبي اصح اذ قال راي وهو جائز اذ قال كاني خبر ومن ذلك قوله في حديث الكسوف رايت الجنة والنار في عرض هذا الحائط ودنت فاردت ان اتناول منها عنقودا فقد علمنا ان عرض الحائط لا يتسع لاقول حائط بالمدينة فكيف للجنة وانما اراد انه رآها في جهة القبلة وهذا مما لا يؤمن به القدرية ابدا لان الرؤية عندهم انما هي اتصال الاشياء من نور البصر الى المرءى على خطوط مستقيمة او معوجة بحسب اختلاف المناظر وهي بواطل قد بينها في غير موضع من كتبنا وانما الرؤية ادراك يخلقه الله تعالى يجوز عندنا ان يجمعه في الرأس والرجل والخذ والظفر وان كان اجري العادة ان يكون في المقالة . فالعنى ان الله خلق لرسوله الادراك وهو في عرض الحائط وخطر بباله ان يتناول منها عنقودا فلو حاول ذلك لا خذلا كما قال لانه قد كان التي في نفسه او سمعه انه ان شاء ان يتناول تمكن وليس من شرط التممكن اللمس بل يمد يده وارادته ياتي ذلك الى ايدي من مكران يمد بل ارادته ويحدها . وهذا كله وان كان خلاف

العادة فانه مقتضي القدرة . ولما بعد ذلك عند القدرية قالوا صقلت له صفحة الحائط فتمثلت له الجنة والنار في ذلك الجسم الصقيل . فيا عجباً لهم هذا خلاف العادة مما تقتضيه القدرة وليست القدرة في صحة ما يتعلق بها من الجائزات موقوفة على ما قالوا من الصقيل خاصة بل جائزة في الصقيل والتفل (١) وإذا جاز صقيل الحائط فلا يرى فيه الجنة ممن قابله إلا محمد جاز. ان يخلق له الإدراك وحده بها . ويحتمل ان يكون قوله رأيت الجنة والنار في عرض الحائط اي مستقرب يوازي في القرب عرض الحائط بما اطمع عليه منها والتي اليه من التمكن بها وإذا مكن المرء من البعيد صار قريباً كما انه اذا لم يمكن كان ابعد من السماء وإن كان مصاقباً له وهذا لا يخفى على ناظر منصف . يعضداً ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم لما اسري به وقال لقريش كنت البارحة في القدس فقالوا له صفه لنا قال فكربت كربة لم يصبني قط مثلها واراني الله اياً عند دار ابى جهنم فطفقت انظر إلى بابه واخبرهم عنه . فإن كان نقل رؤية فقدرته وآية ، وان كان خلق له الإدراك حتى صار في التبيين له كانه

(١) هذا أقرب ما ظهر لي

قريب منه كقرب دار ابي جهنم في ية والكل جائز وربنا عليه قادر .
 قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه وبعد هذا اخبار كثيرة هذا
 دستورها وقد يضاف اليها بالجهل ما ليس له اصل كقولهم اول ما خلق
 الله تعالى العقل فقال له اقبل الحديث وهذا لم يصح ولو تعدل راويه
 لكاتب له وجه بان يخلقه في محل ويكون الخبر عنه صحيحا معقولا
 وقد بينا انه العلم فاليه يرجع معنالا وعليه يتركب المراد به . وبقيت
 بعد ذلك معضلة وهي ان القيامة يوم عظيم فيه اعلام واحكام
 واجسام فقد روى في الحوض والصراط احاديث صحيحة واما الميزان
 فاما ذكر في القرآن وانفرد القرآن بذكر الميزان والوزن وانفردت
 السنة بذكر الصراط والحوض ، اما انه روى عن انس انه قال للنبي
 صلى الله عليه وسلم احب ان تشفع لي يوم القيامة قال انا فاعل قال
 قلت يا رسول الله اين اطلبك قال اطلبني اول ما تطلبني على الصراط
 قلت فان لم القك على الصراط قال فاطلبني عند الميزان قال فان لم
 القك عند الميزان قال فاطلبني عند الحوض . والحديث لم يصح بل انه
 ثبت في الاحاديث المستحاج من الشناعة اخرجوا من النار من في
 قلبه دينار ، نصف دينار ، شعيرة ، ذرة ، وذلك مما لا يعرف الا

بالوزن . فكانه نبه بالسنة على ما صرح به القراءات من امر الصراط والحوض . فلما كان هذا الامر هكذا اختلف الناس في ذلك فمنهم من قال ان الاعمال توزن حقيقة في ميزان له كفتان ، وشاهين في قبان ويجعل في الكفتين صحائف الحسنات والسيئات ويخلق الله الاعتماد فيها على حسب عمله بها وصفة اعمال عباد لها . واذنى ذلك على التعديل والتجوز والتحسين والتقصيح وان الله يفعل ما يشاء ولا يترتب عليه حكم في فعل يناسب عملا من اهل الدنيا . وانما هو الخبر كما جاء . والحكم لله العلي الكبير كما اراد . وتعارضت آيات الوعد والوعيد وجرى فيها ما بيناه في غير موضع . ومنهم من قال وهم المبتدعة انما يرجع الخبر عن الوزن الى تعريف الله سبحانه العباد بمقادير اعمالهم . ونقل الطبري وغيره عن مجاهد انه كان يميل الى هذا القول فان كان هذا النقل عنه صحيحا انه لمزلة قدم وفاتحة ان يري قلب الالفاظ لغير صورة مع امكان حملها على ظاهرها وليس يمتنع ان يكون الميزان والوزن على ظاهره وانما يبقى النظر في كيفية وزن الاعمال وهي اعراض فيها هنا يقف من وقف ويمشي على هدى من مشى فمن كان رأيه الوقوف فمن الاول ينبغي

ان يقتضيه وزن ثبات المشي ليجدن سبيلا ميسرا فانه يجدها هنا ثلاثة
معاني : ميزاننا وموزونا وكل واحد منها معلوم وبعضها مرتبط
ببعض لا يصح ان يفرد منها واحد عن الآخر للاملازمة التي يقتضيها
اللفظ . يقتضي بها العقل فقال الله تعالى والوزن يومئذ الحق فعلمنا ان
هنالك وزنا . وقال فمن ثقلت موازينه فعلمنا ان هنالك ميزانا نصا
وموزونا نصا نصا (١) لانه قال موازينه بعد قوله ثقلت فاقضى
ثقلنا في ميزان وذلك هو الموزون فصارت الثلاثة كلها في القرآن واقتضى
ذلك موزونا يخف تارة ويثقل أخرى فيخف الميزان ويثقل ولم
يبق الا تعيين الميزان . وقد ورد الحديث الصحيح انه يوزن
عماله من ايمانهم ومن حسناتهم وبه يخرج من النار كما ان بعمله السيئ
دخلها فاذا كانت السيئات ودخل النار روعي له عند الخروج
الايمان ثم خذلة شميرة الى دينار ولو روعي له ذلك في الوزن
الاول ما دخل النار لرجحانه له ولكنه تأخر اما لوزن السيئات
ورجحها واما لانه مؤخر للخروج من النار وقد بينا ذلك في
موضعه من المشككين فدل صحيح هذا الخبر على ان اعمال الجوارح

(١) كذا مكرر بالاصل ولعله للتاكيد

توزن وبها ينجو من العذاب او يقع فيه وانه يخرج بما في قلبه من الايمان اذا الاعمال تضعفه فاذا بقي له مقدار ذرة عصم من الخلود به . ومن مشى في طريق الوزن وتبع الفاظه وجدلا صحيحا في كل لفظة حتى اذا بلغ الى تعيين الموزون ولم يتبين له لا ينبغي ان يرجع القهقري فيبطل بل يبدى ما تقدم على حقيقته وصحته ويسعى في تاويل هذا وتبيينه . وانما يكون الرجوع في قياس الخلف النظري في المعقولات على الوجه الذي بيناه في ابواب النظر فلا نقول اذا لم نعلم عين الموزون يسقط الكل . وانما وجب الرد في قياس الخلف لا ابتداء بعض المقدمات على بعض . واما هاهنا بالفاظ صحيحة ومعان صائبة وامكان موجود فينبغي اذا عرض في اثناء ذلك التعذر ان يفرد بالنظر . واذا ثبت هذا قلنا قد ثبت ان اعمال العباد مكتوبة في صحائف تنشر له فيقع الوزن في الصحائف ويخلق الله فيه الثقل والخفة على حسب عمله بها وهذا كله مبني على اصل يخالف فيه الفلاسفة والقدرية التي فرت من الوزن لاجله وذلك ان الثقل والخفة عندهم انما هو بكثرة الاجزاء وقلتها وعندنا فما يخلقه الله فيها فجرت العادة في الدنيا بان

يتبع الثقل كثرة الاجزاء والخفة قلتها فاذا خرق العادة ارتبط
الثقل والخفة بخلقه . وزمان القيامة زمان خرق العادة عندنا
وعندهم . ومجاهد لا يحتاج معه الى هذا بل يلزمه الامر من اول
كرة لمساعدته لنا في عموم القدرة وهذا ربط به الثقل والخفة في
الدنيا ليجمعه سبيلا الى معرفة الخلق بالمقدار . والمقدار في الآخرة
انما يكون بما عمله من الاعمال لا بشغل ولا بخفة فيها لانها ليست
باجزاء . وقد فعل الله سبحانه في الدنيا فعلا من ربط الثقل والخفة
بكثرة الاجزاء عايناه واخبرنا انه يفعل في الآخرة غيره والقدرة
عامة فوجب التصديق للخبر اذا لا بد من الرجوع الى عمله بها باتفاق
منا ومنهم اجمين . فان قيل فيعلمهم فاي حاجة الى الميزان . قلنا
نصب الميزان ليس لحاجة ولا نصب الصراط لحاجة وانما ذلك
لحكمة ليرى الخلق عيانا ما كان اخبرهم عنه برهانا وللعيان تأثير لا بد
منه في الدنيا والآخرة كما اخبر به فلا ترجعوا عن الظاهر الى الباطن
ولا تحترسوا في امر لا بد لكم منه في كيفية احوال الاعمال في
الآخرة فانه قد ثبت من تصورها صوراً وتشكلها اشكالا مالا مدفع
فيه لاحد . وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ان البقرة وآل

عمران معاياتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان او كأنهما خرقان (١)
 من طير صواف يظـلان صاحبهما والسورة لا تأتي والا صوات لا
 تتشكل والخبر قد صح وتأويل من قال يأتي ثوابها كلام متصور لا
 علم عنده فيرعد به لسانه ، في الذي ليس من شأنه ، بما لا يتحصل
 حدوده ، ولا يثبت وجوده ، وانما عمل على معان منها ان الصحيفة
 التي قرأ فيها او كتب الملك فيها قراءته تطلبه او ينشي الله له غمامة
 يقال هذه سورتك التي كنت تقرأ . فان قيل فهذا هو الثواب قلنا
 نعم ولكن ليست الغمامة السورة ولم يرد تسميتها ثوابا فكيف بخبر
 عما يشك بما يشك وانما كان يقول يأتي ثوابها لو قاله النبي صلى الله عليه وسلم
 فيفسر واما تفسير المشكل والمحتمل بمشكل محتمل فما لا يجوز شريعة
 ولا يصح عربية ❀ خبر ❀ روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
 ذكر اخير اهل النار خروجا من النار فقال يوتي مثل الدنيا وعشرة
 امثالها وذلك اقل اهل الجنة منزلة فلما سمع قوم هذا عظم ذلك
 عندهم لوجهين خطأين احدهما جهلهم بعموم قدرة الله وعلمه وسعة
 مخاوقاته قياسا على انفسهم ، وقصرا لخواطرم القاصرة عن منتهى

المعلوم . الثاني اعتقادهم ان الجنة هي السموات وهي لا تتسع لهذا وكيف وهي من الدنيا فذلك ابعد . قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه فقال لي ابو حامد الغزالي انما يوتى مثل الدنيا في القيمة والقدر لا في المساحة وقيد شبر من الجنة خير الدنيا بغير حصر بمثل ولا بعشرة امثالها ولا باكثر من ذلك كما يقال هذه الياقوتة خير من الف مثقال لا في الوزن ولكن في القيمة والمنفعة لانها تساوي بالتقويم اكثر من الف فقلت هذا المذكور يوتي مثل الدنيا في عشر مرات مساحة وقيمة فان القيمة لا تنحصر اذ نصيف حورية خير من الدنيا والقدرة متسعة للمساحة والقيمة جميعا والخلاء يحتملها فافرض ما شئت في العدم واخرجه الى الوجود جاز عقلا ووضح اذا خلق وجودان وقد روى عن ابن عباس انه قال ليس في الجنة من الدنيا الا الاسماء وليس هذا باخراجها من حد المحسوس الى المعقول كما تقول الفلاسفة وانما هو الفرق بينهما من اوجه كثيرة احدها ان الجنة لا تفي والدنيا تفي والجنة لا تستحيل ولا تتغير والدنيا بخلافها والجنة لا آفة فيها والدنيا كلها آفات من نعمي وهم وعول ومالك وغلي وحسد ومنازعة وكل ما يكدر نعم الدنيا

فالجنة منزلة عنه في ذات وصفات وافعال وبذلك تم النعيم وكمل
 الاخذ وطاب العيش والدنيا ما يكون فيها ينشأ بتركيب وتدريب
 وترتيب والجنة انما يقول العبد فيها لشيء كن فيكون وكل شيء
 في الدنيا ينفع ويضر والجنة منفعة بجميع ما فيها لا مضرة معها
 فهذه سبعة وجوه اصول بله ما يتبعها من اعظم التفصيل . وبالجملة
 فاذا اردت ان تعقل امرك في الجنة فتصور نفسك وقدرها
 في جنتك مع من تحب من اهلك لا ينقصك امل ولا يتوقع حول ،
 وما تمت نفسك وصل اليك وما كرهته من شيء دفع عنك ،
 واجتمع عندك الامرات نيل كل مطلوب على العموم والامن من
 كل مرهوب على العموم ورض ربك ورؤيته اعظم من ان تقدر
 لذته او تتصور واقراً اذا اردت ان تعلم فلا تعلم نفسك ما اخفي لهم
 من قرّة اعين جزاء بما كانوا يعملون بسم الله الرحمن الرحيم قد سبق انه انقسم
 حال السامعين لكلام الله الى من جعله كاه باطنا وءاخر جعله كاه ظاهرا
 وان الذي جعله ظاهرا بدأ بالباري وصفاته فقال فيها ما تقدم وقنا
 بفرض البيان فيه بما امكن وعصمنا البيان فيه بما عصمنا به . وهنالك
 من تعلق به في مسائل الاحكام خاصة وجعله الدليل على الاحكام

وحده واسقط الاستنباط لانه مستغني عنه قال ان الله لم يبق حكما
 الا نص عليه ولا مشكلا الا بينه وارشد اليه فلا يؤخذ حكم الا
 منه ولا يوجد بيانه الا فيه والحكم بالرأي والقول بالقياس ضلال في
 الدين وعدول عن سنن المرسلين ومشاقة لله ورسوله والمؤمنين وهي
 امة سخيفة تسورت على مرتبة ليست لها وتكلمت بكلام لم تفهمه
 تلقفوه من اخوانهم الخوارج حين حكم على رضي الله عنه يوم صفين
 فقالت لا حكم الا لله . وكانت اول بدعة لقيت في رحلي كما قلت
 لكم القول بالباطن فلما عدت وجدت القول بالظاهر قد ملا المغرب
 (١) سخياف كان من بادية اشبيلية يعرف بابن حزم نشأ وتعلق
 بذهب الشافعي ثم انتسب الى داوود ثم خلع الكل واستقل بنفسه
 وزعم انه امام الامة يضع ويرفع ويحكم لنفسه ويشرع وينسب
 الى دين الله ما ليس فيه ويقول عن العلماء ما لم يقولوا يذغر القلوب
 عنهم وتشنيعا عليهم وخروجا عن طريق المشبهة في ذات الله
 وصفاته فجاء فيه بطوام قد بينها في رسالة الغرلة واتفق له ان
 يكون بين اقوام لا نظر لهم الا المسائل فاذا طالبهم بالدليل كاعوا

(١) خ بسخياف اي بسبب سخياف وهي الظاهرة

فتضاحك مع اصحابه منهم وعضدته الرياسة بما كان عندا من أدب
وشبه كان يوردها على الملوك مع عامتهم فكانوا يحنونه حفظا لقانون
الملك ويحمونه لما كان يلقي اليهم من شبه البدع والشرك وفي حين
عودتي من الرحلة القيت حضرتي منهم طائفة ونار (١) لائحة فقاسيتهم
مع غير اقران وفي عدم انصار الى حساد يطؤون عقبي فيدوسون ذيلي
فاذا دنوا عدموا حافتي فتارة تذهب لهم نفسي ، واخرى تنكسر
لهم خرسني ، وانا ما بين اعراض عنهم او تشغيب بهم ولم يكن
هنالك من يقف الامر على حد المناظرة فينصر الحق ويظهر الصديق
فدربت الانام ودارت الايام وقد كان جاءني بعض الاصحاب بجزء
لابن حزم سماه نكت الاسلام فيه دواهي فجرد عليه نواهي وجاءني
آخر برسالة الدرة في الاعتقاد فنقضتها برسالة الغرة والامر اخش
من ان ينقض ما فسد من ان يفسد اذ ليس له ارتباط ولا ينتهي
الى تحصيل يقولون لا قول الا ما قال الله ولا نتبع الا رسول الله فان
الله لم يأمر بالاقتداء باحد ولا بالاهتداء بهدي بشر ولا بالانقياد الى احد
عاصمة ❀ قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه اعلموا ارشدكم الله

الى طريق التعليم ويسر لكم اسباب التفهيم انا لقد مهدنا في
النواهي عن الدواهي وجه الرد عليه وطريق الدخول اليهم ويجب
ان تتحققوا انهم ليس لهم دليل على عقولهم ولا حجة على رأيهم
وانما هي سخافة في تهويل فانا اوصيكم بوصيتين احدهما لا
تستدلوا عليهم ولا تطالبوهم بالدليل فان المبتدع اذا استدلت
عليه شغب عليك واذا دعوته الى الاستدلال لم يجد اليه سبيلا فان
الله لم يجعل له على الباطل دليلا فاما قوهم لا قول الا ما قال الله فحق
ولكن ارنى ما قال الله واما قوهم لا حكم الا الله فغير مسلم على
الاطلاق بل من حكمكم الله ان جعل الحكم لغيره فيما قاله
واخبر به قال النبي صلى الله عليه وسلم في الثابت من الحديث واذا
حاصرت اهل حصن فطلبوا ان ينزلوا اليك فلا تنزلهم على
حكم الله فانك لا تدري ما حكم الله ولكن انزلهم على حكمك
وهذا نص في مسألتين بديعيتين احدهما انه يجوز ان يقال الحكم الى
فيك شرعا والثانية وتقوي الاولى ان حكم الله لا يعلم الا بقوله وما
ثم يقل فيه شيئا فاذا مررته دون حكمك ولكنا نحكم فيه
بما يقتضيه النظر في امثال احكامه واشباهها والا فكان قوله

ولكن انزلهم على حكمك بمعنى انفذ فيهم ما تشتهي وما تريد
وانما افاد بهذا هذه المسئلة البديعة وهو انه لا يقول المجتهد هذا حكم
الله وانما يقول هذا فرضي وعمل في عملي ، واما قولهم ان الله لم
يامرنا بان نقتدي باحد ولا نهتدي بغيره فكذبوا على الله وعلى
رسوله فانه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بسنتي
وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بعدي عضوا عليها بالنواجذ فامر
بالاقتداء بسنة الخلفاء كما امر بالاقتداء بسنته وانما يقتدي بالخلفاء فيما
لم يكن عنه فيه نص والافا كان فيه منه النص لا ينسب الى الخلفاء
وهذا قاطع في انه صلى الله عليه وسلم لم ينص على كل مسئلة
اذ لو نص عليها لما كان للخلفاء سنة غيرها ويقال لهم ايضا قد صح انه
قال اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر وهذا كالاول في
الاقتداء بهما فيما لم يكن فيه عن النبي نص وقال صلى الله عليه وسلم
اهتدوا بهدي عمار وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ارحم امتي
بامتي ابوبكر واشدها في امر الله عمر واصدقهم حياء عثمان واقراهم
لكتاب الله ابي بن كعب وافرضهم زيد ابن ثابت واعلمهم بالحلال
والحرام معاذ بن جبل الا وان لكل امة امينا وان امين هذا الامة

ابو عبيدة بن الجراح ولو كان كل الشريعة نصا ما تفاوت فيه هؤلاء
 الجلاة ولكن دركه عندهم سواء كما تقول انت وشيعتك ان كل احد
 يدركه ويستغنى عن كل احد فيه . وغريبة امرهم انهم يقولون
 لا رجوع الا الى النص عن الله وعن رسوله وهى كلمة مختارعة لم تجر
 على لسان احد قبل الشافعى اخذتها منه الشيعة فقالت ان النبى نص
 على علي فى الامامة والخلافة على الامة وكان ابن حزم اولا قد تعاق
 بمذهب الشافعى ستره متهم كما مدة ثم فضح نفسه بمذهبه اخرا
 وتعلق بكلمات من لدنه منها النص فيقال لهم باى نص تردون الامر
 الى النص وهم لا يجدونه ابدا وتحقيق القول فى ذلك ان الله انزل
 كتابه محكما ومتشابهها واوعز الى نبيه بان يبين للناس ما نزل اليهم
 ولو كان كاه مبينا يدركه كل احد لما كان له محلا للبيان فامثال ما
 امره الله به ، والبيان على اقسام كثيرة عند العلماء ولكل احد طريقة
 فى العبارة عنه فاما طريقة الاصوليين فقد اثبتناها فى مواضعه
 مقتديين بغيرنا فيها . واما المحدثون الذين تعلق بحبلهم وترغم انك
 تتفيا بظالمهم فهو عندهم على عشرة مراتب الاول بيان التصريح
 كقوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله

السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاثة متواليات
 ذو القعدة وذو الحجة ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان الثانية قال
 البراء اشار النبي صلى الله عليه وسلم بيده اقص من يد رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فقال اربعة لا تضح بهن العور البين عورها
 والمريضة البين مرضها والعرجاء البين ضلعها والعجفاء التي لا تنقي
 الثالثة قال سمرة بن جندب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسمين
 عبدك افلاح ولا نجيح ولا رباح ولا يسار وانظر الا تزيد على الرابعة
 قول النبي صلى الله عليه وسلم ايما رجل اعمر عمرى له ونعقبه من بعده
 فانها لمن يعطاها لا يرجع الى صاحبها ابدا لانه اعطا عطاء وقعت
 فيه المواريث الخامسة قام رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن
 الصلوة في ثوب واحد فقال او كلكم يجد ثوبي السادسة قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض العلم وتظهر الفتن ويكثر الهرج
 قيل يا رسول الله ما الهرج قال هالكنا بيده وحر فيها يريد القتل
 السابعة قال رجل في حجة الوداع ذبحت قبل ان ارمى فاوما بيده وقال
 لا حرج الثامنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى
 نقاتل اقواما عراض الوجوه وانف الاوف مغار العميون كان وجوههم

الجنان المطرقة التاسعة جاء ابوبكر والقوم ركوع فركع دون الصف ثم
مشى فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته قال ايكم الذي
ركع دون الصف ثم مشى قال ابوبكر انا يا رسول الله قال زادك الله
حرصا ولا تعدل العاشرة سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع
الرطب بالتمر فقال ينقص الرطب اذا يبس قالوا نعم قال فلا اذن
فانظروا رحمكم الله الى بيان النبي صلى الله عليه وسلم للاحتكام
على درجات واين النص من هذه المراتب . يريد ايضا ان
النبي صلى الله عليه وسلم صح أنه قال اقتدوا بالذين من بعدي أبي
بكر وعمر وقد اختلفا في مسائل قطعا منها الحد وتفصيل التفضيل (١)
والعطا ولا يمكن الجمع بينهما في الاقتداء فإين النص ولكم ابين هذه
المسألة لاهم ومن الاقتداء بهم أن يرى الفقيه منكم ان
كل واحد منهم لم يرجع إلى صاحبه ولا ينظر كل واحد الا لما يقتضيه
اجتهاده وكذلك فعل سائر الصحابة دونهم وكذلك فعل التابعون
وكذلك فعل مالك والشافعي فليقتد بهما في ذلك ومن الاقتداء
بهدي عماران فقهه كان فيما اذا عارضه أمران أحدهما أشد من

الاخر واكثر احتياطاتي الدين أخذ به وهذا صحيح منه فاقتدى به
مالك وجماعة فراوا اذا تعارض دليلان ان يؤخذ بالاشد والاحوط منهما
ومن الاقتداء بعمر ان لا يقبل حديث النبي من كل راو فتراه قد رد
على ابن موسى حديثه وطلب منه البينة عليه ومن الاقتداء بعلي وهو
احد الخلفاء انه كان لا يرى راى ابي بكر وعمر في الحد فقد
تعارضوا فكيف يكون الاقتداء بفعل قوهم ما بين النبي صلى الله
عليه وسلم ما انزل اليه ولا احوال الاعلى مشكك ومن الاقتداء بعمر
الا يمكن الناس من ان يقولوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا يذيعوا احاديث النبي صلى الله عليه وسلم حتى يحتاج اليها وان
درست وهذه الحكمة بدية وهى ان الله قد بين المحرمات والمنعوضات
في كتابه وقال تعالى لا تسئلوا عن اشياء ان تبدلكم تسرر كم وثبت
عنه انه قال ان الله أمركم باشياء فامثلوها ونهاكم عن اشياء
فاجتنبوها وسكت لكم عن اشياء رحمة منه فلا تسئلوا عنها وقد
اتفقت الصحابة على جمع القراءات لئلا يدرس وتركت الحديث
يجري مع النوازل واكثر قوم من الصحابة الحديث عن النبي صلى الله
عليه وسلم فسجنهم عمر فلو درس ما درس من الحديث الواحداني

لما أثر في الشريعة فانه كان يبقى مسكوتا عنه فيكون عفوا وما ضمن
الله الحفظ لحديث النبي صلى الله عليه وسلم وإنما ضمنه للقرآن على
الاختلاف ايضا بين العلماء في تاويل قوله انا نحن نزلنا الذكر
وإنا له لحافظون فانا نقول لهم ليس المراد بالذكر ههنا القرآن وإنما هو
النبي صلى الله عليه وسلم أو الدين أو القرآن وإنا حفظ النبي صلى
الله عليه وسلم بقوله والله يعصمك من الناس وحفظ الدين بقوله اليوم
أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا
وحفظ القرآن بان الصحابة وفقوا النسخه وضبطه وارسل الامهات
إلى امصار المسلمين به ولو كان المراد به الحديث لكان أول من
يبادر بذلك الصحابة رضي الله عنهم حين قالوا لا بى بكر استحر
القتل بالقراء يوم اليمامة يامير المؤمنين ادرك القرآن وما جاء اليه
أحد قال له ادرك حديث رسول الله وأنت ترى حديث النبي ياتى في
كل زمان وعلى يد كل شيخ واحد بعد آخر فاعل حفظه هكذا
ولكن فيه ان الاحكام تجرى على بابها ولا ينتظر بها الاحاديث
حتى إذا وجدت على شرطها وتبينت البيان الشافى المراد فيها ومنها
لم يحل لاحد ان يتمداها ولا (١) سنز يده بيانا والله اعلم بحقيقة انهم

يقولون على الاجماع ولا اجماع عندهم الا للصحابة خاصة ولا يسمع اجماع
 الصحابة الا بان ينقل عن كل واحد منهم وهذا مما لم يوجد فاذا قالوا هم لا
 حكم الا بنص قلنا ولا نص على من ترك النص وهذا القول اصح
 لان به قال جماعة من العلماء والذي قالوا ما قال به احد قط والاختبار
 في ذلك كانه يكشف الحقيقة فان قائله اجهل الجاهل أو اضل
 الضلال فاذا طالبتهم بنص فذكروا وجدت الاحتمال يتطرق اليه
 ضرورة فاذا عارضتهم فيه لم يجدوا ملجأ وذلك بان تتبع مسائل
 لهم وهي كثيرة فلانكمهم فيما ساعدكم عليه الشافعي وابو حنيفة
 فمنهم يتكادون بحجتهم ويتقنون بهم وانما نتمكم معهم فيما ينفردون
 به فترى النصيحة المعجزة وما سلكوا في الظاهر الا سبيل اخوانهم
 من اليهود فانهم قيل لهم لا تصطادوا يوم السبت فسكروا الا نهار
 في أو ايلها فلما كان في يوم الاحد أمكنهم الحوت فان الحوت
 قبل ذلك كان ياتي يوم السبت ولا ياتي في سائر الايام فاخذوا بظاهر الامر
 فسدوا افواه الا نهار فلم يجد الحوت منفذا وصادوه فعوقبوا ولم يعدلوا
 عن ظاهر ما أمروا حين تركوا المفهوم من ذلك وهو تفويت الحوت
 وكذلك اخوانهم الروافض قالوا لا تكون الامامة الا بالنص من النبي

على ان فلانا خليفتي وهذا باطل قطعاً ليس لهم في ذلك حديث يعول عليه . مسألة . قال أهل الخيال ثواب رجل بال في ماء دائم لم يتوضأ منه ولو جرى فيه من بول في مجاورته لم يمتنع الوضوء به وكذلك لو غاط فيه لم يمتنع من الوضوء به فانظروا رحمكم الله إلى هذا الهوس في الدين والاعتداء على الشريعة والاستخفاف بجرمة الرسول صلى الله عليه وسلم إن كان المتبع لفظ الشارع بعينه فقد قال لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ثم يغتسل به فهذا يقتضي بظاهره أن نقصر المنع على البابل دون غيره ويقتضي أنه لو بول في كوز وصبه فيه أن لا يمنع ذلك من وضوءه منه ويقتضي أنه لو بول فيه قطرة من بول لم يتوضأ به ولو غاط فيه رطالاً لم يمتنع من الوضوء به فانظر إلى ما يؤدي إليه مذهبه و يعطيه غرضهم كبر كلاماً يخرج من أفواههم لن يقولوا إلا محالاً على الشريعة وافتراء وقبل وبعد فليقولوا ما شاءوا وليخرجوا دقائق المحلى بالحاء المهملة فعندنا فيه نقطة واحدة فوق حايهم واخرى تحت حيمنا (١) فيحلى به ما يقتضي ان يكون كتابهم متروكاً لا يلتفت إليه قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه وقد كنت

أتتبع لكم مسائل داود مسألة مسألة الا ان ابن حزم لا يبالي
عن داود ولا عن سواه فاكون ضاربا معه في حديد بارد ولكني
أذكر لكم دستورا تقهرونه به قهرا بان تقولوا له قال الله تبارك
وتعالى وأقيموا الصلوة وءاتوا الزكاة وقال النبي صلى الله عليه
وسلم صلوا كما رايتموني اصلي وحفظنا صلاته فعلا وما امر به غيره
وبقي علينا من نسي تكبيرة الاحرام او القراءة او الركوع او
السجود أو الجلوس أو السلام أو اثنتين من ذلك ماذا عليه أجزيه
أم لا يجزيه والنبي صلى الله عليه وسلم قد نسي وسجد في موضع
فهل كل موضع مثله أم لا وما سجد فيه من ترك السجود وقد
رفع الله عنا قطعا ما نسينا فيه او اخطانا فلا تقولون شيئا يقوم
على ساق ابدا لانهم لا يجدون في كل حرف نصا وكذلك القول في
أبواب الشريعة كلها مسألة مسألة هي اشد قول ابن حزم ان الله قادر
على ان يتخذ ولدا وان يخلق اليهما اذا شاء ذاك واراد لا بقوله لو
اراد الله ان يتخذ ولدا لا صطفى مما يخلق ما يشاء فانظروا إلى
هذه الداهية العظيمة كيف جهل الجائر من المستحيل في العقل
والمعقول المفهوم من الكلام دون ما لا يعقل فان هذا الكلام

ليس له معنى مفهوم اذ قوله هل يقدر الله ان يتخذ ولدا ليس يفهم
 لان الله هو الذي لا يتصور ان يكون له ولد ولا يمكن فاذا معنى
 ذلك من قول القائل هل يقدر الله الذي لا يصح ان يولد منه ولد
 على ان يكون له ولد فنقض اخر الكلام اوله فلم يكن له
 معنى معقول في نفسه فيستحق به جوابا وكذلك قوله هل يقدر الله
 على ان يخلق ولدا الا هالان الله هو الذي لا يصح ان يكون
 معه اله سوا لا فنقض اخر الكلام اوله ومن ينتهي إلى هذا الحد
 فقد سقطت مكانته وقال منتهى الشريعة مستخفا بطرف الملة
 ان من ترك الصلاة متممدا حتى خرج وقتها فقد سقط عنه فرضها
 ولم يتوجه عليه خطاب بها وقد رأى اصول الشريعة ثابتة في الذمة
 تقضى متى تعذر عملها من صوم وزكاة وحج فهل اوعى ، ولم
 يغوفين غوى ، ولا ضبح على الدين وعوي . فان قيل فقد قال الله
 تعالى إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا فربطها بوقت كما
 ربطها بطهارة فاذا زال ربطها سقط الامر بها الجواب عن ذلك من
 خمسة اوجه الاول ان اعظم بواحدة تكشف خفا المسئلة وتهتك
 سترها وترفع حجابها وهوان تناقضهم في الالفاظ حتى

تتمكنوا من ان يخرجوا عنها إلى المعاني فانهم تجدهم لا يتبعون لفظا ولا يصح ذلك بيس قم (١) ترون انهم مهتدون وهم ضالون قوله تعالى إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا فلفظ موقوت مفعول من الوقت التقدير إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا مفعولا في وقت ولا شك في ان كل عبادة وعمل شرعى موقوف (٢) فتفسيرهم مرتبط بوقت لا يقضي اللفظ فان لفظة مفعول لا تقتضي الارتباط بوقت ببنائه ولا بمعناه الجواب الثانى ليس بقاء وقت من الزمان خاصة بل هو موضوع لكل محدود قد قال في الحديث الصحيح وقت النبي صلى الله عليه وسلم لا هل المدينة ذا الحليفة ولا هل الشام الجنة ولا هل نجد قرن المنازل فاستعمل التوقيف في الامكنة ليبين انه لفظ موضوع للتحديد والتعيين في القوال والاعمال كانت لوقت او لمكان اولوصف. الجواب الثالث ان قوله موقوتا قيد ان الوقت شرط من شروطها كالقبة وستر العورة والطهارة و كل شرط منها كلها إذا فقد لا يمنع من فعالها باجماع فكذلك فقد الوقت وليس في هذه الشروط كلها

(١) هكذا يظهر بالأصل ولعله قوم (٢) لعله موقوتا

احاديث يعلقون بها انما هي كلها ثابتة بالقياس الجواب الرابع نقول
ان النبي صلى الله عليه وسلم قد ابان الحقيقة واوضح سواء الطريقة
في نوم اصحابه عن الصلاة لحضرته في ثلاثة احوال عرضت لهم معه
من نام عن صلاة او نسيها فليصلها إذا ذكرها وبفعله في قضائها
حين لم يفعلها معهم في وقتها وقد تساوى معهم في الترك وإن
كانوا قد اختلفوا في سبب الترك وقد بينا فيما سلف من كلامنا
ان ما يعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المعاني التي هي
جبله الادمي هي بركة على الامة فانها لهم فيها يصيبهم سلامة
ولا تباعهم له في ذلك اسوة وقد تفتن لذلك حبر الامة فيما روي
عنه الائمة قال مسروق عن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم في سفر فعرسوا من الليل فلم يستيقظوا حتى طلعت الشمس
قال فامر بلالا فاذن ثم صلى ركعتين فما يسرني ان لي بها الدنيا
وما فيها قال عياؤنا لما كان في ذلك من النسيان لمن عراه بمثل ما
عراه وشغله عن طاعة ربه اي شغله حتى اذهله وانسأله ثم عاد إلى
ذكره ولو كان قوله موقوفا (١) مربوطا بوقت مخصوص معين لم

(١) لعلاه موقوفا كما في نسخ

يكن في غيره واقعة موقعها لأن ذلك يبطل ارتباطه بها فان قيل
 ذلك الوقت الذي ربطت به إنما يعلم من قبله يجعله معينا للعالم وجعله
 للذاهل في النائم وقت الذكر قلنا قد بينا ان اللفظ لا يقتضى ذلك
 ولا يعطيه الاشتقاق وقد بينا ان الشريعة لا تخص بذلك كل
 عمل محدود لا بد له من وقت الا انه قد يكون مطلقا وقد يكون
 معينا بحسب ما قامت عليه أدلة الشريعة من صلاة وزكوة وصوم
 وحج وفرض ونفل الجواب الخامس انه لم يزل الامة من عصر
 الصحابة متفقة على ان من ترك الصلاة باي وجه تركها حتى
 يخرج الوقت الذي يقولون انه يازمه قضاؤها أبدا من نسيان
 او سهو او نوم واختلفوا في المغلوب على عقله بالاغما والجنون
 وقد تولجت تلك الاقطار الكريمة ودخلت تلك الامصار العظيمة
 وجبت الافاق القاصية نيفا على عشرة اعوام فما رايت احدا تفوه
 بهذا الكلام ولا وجدته مسطورا في كتب ائمة الاسلام ولو ان
 اهل بلدنا اذ سمعوها تفلوا عليها ولم يلتفتوا اليها اذنا ولا قلبا ولا
 ليتا لما انت فقال احمد بن حنبل وابن حبيب من المشاهير هو ككافر
 لا لفاظ وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم منها قوله العهد الذي

بيننا وبينهم الصلاة من تركها فقد كفر وهذا قول صريح في حديث صحيح ولو لم يعارضه سواه لقلنا به ولكن صدنا عن ذلك معان المعنى الاول ان لفظ كفر قد يرد في الشريعة بمعنى اشرك وخرج عن الملة وقد يرد بمعنى لم يشكر حق النعمة قال النبي صلى الله عليه وسلم للنساء انى رايتكن اكثر اهل النار قالوا بما يا رسول الله قال بكفرن قيل ايكفرن بالله قال يكفرن الا احسان ويكفرن العشير لو احسنت إلى احداهن الدهر كله ثم اسأت اليها (١) قالت ما رايت منك خيرا قط وقد يرد بمعنى ستر لقوله صلى الله عليه وسلم ايما عبدا اتى من مواليه فقد كفر قيل ستر نفسه عمن يجب عليه اظهارها له وقيل انه كالاول في انه كفر نعمة سيدها اي لم يشكرها كنحو قوله واشكروا لى ولا تكفرون فجعله من الكفر الذي هو ضد الشكر لا ضد الايمان الذي هو توحيد الله المعنى الثاني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اخرجوا من النار ممن في قلبه مثقال ذرة من ايمان المعنى الثالث ان عبادة روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خمس صلوات كتبهن الله على العباد في اليوم

(١) بخ زيادة يوم واحد

والليلة من جاء بهن لم يضع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد ان يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء غفر له وهذا نص قاطع فان الكافر لا يكون في مشيئة المغفرة بما أخبر به عن ذلك سبحانه ❦ درجة ❦ اما ان العلماء اختلفوا في قتله إذا ترك الصلاة عمدا فقال أبو حنيفة لا يحل أراقته دمه لكنه يؤدب على استخراج هذا الحق منه بالسوط وان أدى ذلك إلى تلف نفسه وقال مالك والشافعي يقتل في آخر الوقت قال متأخروا علمائنا لا يقتل ضربه بالسيف ولكنه (١) بالحديد حتى تفيظ نفسه أو يقوم بالحق الذي عليه من فعلها وبهذا أقول قال أبو المعالي لا أرى ان يسفك دم امرئ مسلم على ترك الصلاة بغير نص كتاب الله ولا سنة ولا قياس حتى يناظر بمثله المحظورات والذي حمل أبو المعالي على ذلك نكتة فارغة تعلق بها أهل ما وراء النهر من اصحاب أبي حنيفة وهي عسرة المبدأ ولكنها سبالة المذتهى قالوا ان الشريعة لم تبح قط دما بترك مفروض كالوضوء والصوم والزكاة والحج وانما أباحت الدم بفعل المحظور كالزنى والقتل

(١) يحس او يحبس مخرج بالهامش وعليه علامة الصحة

والحرابة والذي انتهى اليه التحقيق في ذلك المتفق عليه ما اوردنا في مسائل الخلاف . لبابه يتحصل في ثلاثة مسالك المسلك الاول منع الوضوء والصوم وارتكاب اباحة دم من تركها متعمدا فاما الحج فهو على غير الفور عند قوم فلا يتحقق فيه الترك المتفق عليه واما الزكاة فقصودها الا وكد هو اخذ المال ممكن وتبقى النية وهو الركن الثاني فليس يمتنع في الشريعة استقلال الامر باحد ركنيه وقد بيناه في مسائل الخلاف فلا نطول في هذه الاشارة المسالك الثاني انا نقول لهم قد اتفقنا على قتله قلم يقتل بالسوط وقتلنا يقتل بالسيف والحقوق تستخرج بالحديد كما تستخرج بالسوط الا ترى انا نستخرج حق الله في الاسلام من المرتد بالحديد . المسالك الثالث ان قوله صلى الله عليه وسلم من ترك الصلاة فقد كفر وهذا وان لم ينفذ حقيقة الكفر فلينفذ جزاء الكفر لئلا يبقى اللفظ عاريا عن احدى فائدتيه وهي الحقيقة والمجاز فان قيل فكيف نقول في الامثلة التي استشهدتم بها وهي قوله في النساء وفي العبد الا بق . قلنا ليس هنالك حق يستخرج بالجعل المؤدي الى تلف النفس بخلاف مسالتنا فانا اتفقنا على انه يستخرج منه هذا

الحق وان ادى إلى تلف نفسه واراقة دمه وان اختلفنا في صفة ذلك ۞ درجة ۞ فاما تخصيص التارك متعمداً بدليل على وجوب القضا وقد قدر الله تعالى انه لا بد من النظر في ذلك مع هذه الطائفة الركيكة فنأخذ ذلك من وجوه . أحدها اننا نقول ان السبب الالهي يوم عصر السلف الاول على وجهه قضا الصلاة على المتعمد فلا يراعى ما طرأ في هذه الاوقات المفسيرة التي طرأت عليها البدع المضلة ولقد كان أهل البدع لا يتحدثون بمثل هذه الطاعة حتى اجراها الشيطان بقضاء الله وقدره على لسان من اجراها لتكون زيادة في الاضلال . ولو راعينا كل خلاف يطرا لما استقر الدين على قاعدة . الثاني ان داود واصحابه الذين احدثوا بدعته لا يختلفون في قضا المتعمد لترك الصلاة وذلك منصوص في كتبهم فانظروها هنالك . الثالث ان من الثابت انعقاد الاجماع على انه من ثبت في ذمته شيء لا بد أن يخرج عنه ومن تعينت عليه عهدة لا غنى من ان يتفصى عنها . وهذا متعمد قد لزمته الصلاة وثبت في ذمته فلا يخرج عنه الا اداؤها على حكم كل حق ثبت في الذمة . فان قيل حق موقت أو مربوط بوقت فقد سبق الجواب . على

انه يبطل بالصوم فانه مربوط بوقت ويقضى تاركه متعمدا وربط الصوم بوقته أعظم من ربط الصلاة بوقتها فان قيل قد زال وقت الأداء فلا يجب القضا الا بامرتان قلنا ليس لا غيرها حدا لا فعلها. جواب آخر . انا نقول اذا توجه الامر بالفرض لم ينبج المكلف من ذلك الافشاء كان ذلك مذكورا في وقت او مطلقا ولا نقول ان الاداء والقضاء غير ان الاداء هو القضا والقضا هو الاداء شرعا وعربية. وما ذكر الفرق بينهما المتأخرون من اصحابنا اصطلاحا وهذه الالفاظ التي اصطلح عليها العلماء اخرا لما احتاجوا اليه من البيان لا يجوز بناء الاحكام الشرعية عليها وانما تبنى الاحكام الشرعية على قول الله وقول الرسول أو العربية التي نزل القراءات بها وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانها. الرابع . انا نتعلق بظواهر الاحاديث التي يزعم الجاهلون القائلون بذلك انها لهم وهي ستة احاديث الحديث الاول قوله من نام عن صلاة او نسيها فليصلها اذا ذكرها لا وقت لها الا ذلك فاخبر النبي ان من نام عن صلاة او نسيها أو تركها انه يصلها متى ذكرها والنسيان في العربية قسبان احداهما ذهول والاخر تعمد وذلك اشهر من ان يدل عليه فبين

النبي صلى الله عليه وسلم انها متى تركت بغير عقل كالنوم او بعقل كالذهول والعمد انه يجب قضاؤها الا ترى انه لم يقل من سهى وذكر من نسي ليستوفي البيان صلى الله عليه وسلم وقال اذا ذكرها فالذاهل يذكر بعد ذلك فيلزمه وقت الذكر والمتعمد ذاكر ابدا فيلزمه ابدا وهي مرتبة على الذكر فمن وجد منه الذكر لزمته حتى يفعل وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم نسيت ءاية كذا بل هو نسي وذلك لقوله اتاك ءياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى .

الحديث الثاني قول النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال له رجل او امرأة انت فريضة الله في الحج ادركت ابى وامى وانه لا يستطيع ان يحج افأحج عنه قال ارأيت لو كان على ابيك او امك دين اتقضيه قال او قالت نعم قال فدين الله احق ان يقضى فبين ان كل حق لله في ذمة العبد لا يخرج عنه الا فعله فان عادوا إلى ذكر الوقت قلنا لهم قد بينا فساد الحديث الثالث قول رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلوة الوسطى صلاة العصر حتى غابت الشمس مالا الله قلوبهم وقبورهم ناراً ثم قضاها بعد غروب الشمس ولم يكن تركها سهواً وانما كاسب استغفالا بالحرب والتلبيس

لها والا حتراس من غرة المشركين . الحديث الرابع روى في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في الخندق لاصحابه سيروا إلى قريضة ولا يصابن احد منكم الا فيها فساروا ففاتتهم العصر في الطريق فقال بعضهم لا نصلي حتى نبلغها وقال بعضهم لم يرد رسول الله هذا منا وصلوا فصبوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائفتين التي صلت والتي أخرت الصلوة عن وقتها متعمدة وقضت ولو كانت مقصورة الوجوب على الوقت لا فعل لها فيه لبيّن لهم ذلك واعلمهم ان ما أثوابه بعد خروج الوقت تكاف . الحديث الخامس قوله صلى الله عليه وسلم فما ثبت وصح انه سيكون بعدي امراء يؤخرون الصلوة عن وقتها قال فنصليها معهم قال نعم ولم يقل ان الصلوة لا تفعل (١) في وقت مخصوص . وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال وهو الحديث السادس ليس التفريط في النوم إنما التفريط على من لم يصل الصلوة حتى دخل وقت الاخرى وهذا نص في ان المفراط حتى يخرج الوقت يصلي ولكنه يكون مفراطا وهذا القدر كاف لكم في المسئلة . والذي

(١) لعل لا سقطت الاصل الا في وقت

إرادته إلا نكلم قائل هذا إلا بالاستجابة أو القتل لمخالفة إجماع الأمة
والله أعلم ❦ مسألة ❦ وعن اعظم ما جاء من التخليط قول ابن حزم
والقرآن كلام الله تعالى وهو علمه ويعبر بالقرآن ، بكلام الله عن
خمس مسميات يعبر بذلك عن علم الله وعن المسوع في الحاريب ،
قال الله حتى يسمع كلام الله ، وعن المحفوظ في الصدور ، قال الله
تعالى بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم . وعن
المكتوب في الصحف ، قال الله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح
محفوظ ، وقال فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة
مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة ونهى عليه السلام عن ان يسافر
بالقرآن إلى ارض العدو ، وعن المعاني المفهومة من التلاوة . و كل
هذا الاربعة إذا أفردت وعبر عنها بالصوت والخط حاشى لله فكل
ذلك مخلوق . وإذا عبر عن علم الله فهو غير مخلوق ، فكل ما
وقع من ذكر فرعون والكفار والسموت والارض في القراءات
فكل ذلك مخلوق ، وإذا أطاق جملة فهو غير مخلوق قال الله تعالى
وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا . وهذا يدل على انه غير مخلوق
وقال ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فصيح يفتينا انه أراد

عابه السابق فعابه هو كلامه وهو غير مخلوق وقال وتمت كلمة ربك
وقال قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفذ
كلمات ربي فدل على ان ثم غير الذي لا ينفد والذي ثم هو ترتيبه
لمقادير ما خلق . وقول الله غير كلام الله والبرهان ان التكليم
فضيلة قال الله تعالى منهم من كأم الله والقول رذيلة قال الله تعالى
اخسئوا فيها ولا تكلمون . قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه ما
لهذا مثلا الا ما قال الشاعر

وخلا الغبي بها يضل نفسه ككفر كفعل الا محط المتهوج

عشا يرد مقالته بمقاله فعلى الجهول على الطريق الاعوج

هذا الكلام من تنزيهه . قوله كلام الله هو عابه لا عقل وله شرع من
اين أخذ هذا أدلة العقول تنفيه ، والشرع لم يرد به ثم قال
يعبر بكلام الله عن خمس مسميات عن علم الله وعن المسموع
في المحاريب (١) والمسموع في السفر والمسموع في الكتب إذا تلى
القرءان هنالك أحد كلام من يكون ثم قال وعلى المحفوظ في الصدور
قال لقوله بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم ولا يصح

(١) بخ زيادة والمسموع في الصدور

ان يكون ذات القراءة الذي هو كلام الله انه ثم
 قال في صدور الذين اوتوا العلم فان
 حفظه من لم يقرأ العلم بالصبي الصغير والعجوز والاعرجي القدم هل
 هو محفوظ في صدره أم لا والله لم يقل الا في صدور الذين اوتوا
 العلم فلا يرد عليه ولا يعمل الخوض نحو ما فانه جوهل محض بالطريقة
 وخروج عن الظاهر به ثم قال وعن المصنف في المصحف
 لقوله في لوح محفوظ واللوح المحفوظ هو عند الله وليس بصحف
 وقال تعالى فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة يعني ما
 بأيدي الملائكة فالذي يقتضيه القراءة انه في صحف الملائكة فاما
 في صحف بني ادم أو الواحهم فينتقر فيه الى دليل نص فان
 قال واي فرق بينهم هذا مثل ذلك قلنا هذا قياس والحق وتقدير
 وتشبيه وتنظير واين اصالك في انه لا شيء الا قول الله وقول
 الرسول واما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يسافر بالقراءة الى
 الارض العدو فتي كان ذلك الوقت مصحف يسافر به وقد كتب
 هو صلى الله عليه وسلم بالقراءة الى الروم وهم انجاس واذا كان
 في صدور الرجال وحملوا الى ارض العدو فكيف هذا ولا يحمل

المصحف والرجال المومنون اعظم حرمة وقد قال بعض الناس لا يغزوا العلماء قال ويعبر بالقرءان عن المعاني المفهومة من التلاوة ومن قال له هذا واين وجده في كتاب الله او في سنة رسول الله وانا (١) له ان الايات يراد بها المعاني ولعل يراد بها الاشارة ثم قال وكل هذا اذا عبر به عن غير الله مخلوق واذا عبر به عن الله غير مخلوق فكيف تكون الحروف التي يكتب بها الله ويعبر بها عنه غير مخلوقة فاذا عبر بها عن غيره تكون مخلوقة وكلاهما موجود عن عدم وهذا الكلام ينفيه العقل والشرع ولا يرضى ان يتكلم به معتبر وترنه ان كلمات الله قد تمت بمعنى مقاديرها وكلماته التي لا تنفذ غير مخلوقاته سخافة وكلمات الله على حقيقة واحدة تعالى ان يكون شيئا منها مخلوقا او من صفاته تعالى او من اسمائه الحسنی . ثم قال وقول الله غير كلام الله وهذه سخافة قالتها المعتزلة ولكن بطريقة معلومة من العربية سلكوها ومن البدع ذكروها معقولة يصح ان تسمع فيرد عليها . واما هذا الذي قال ان كلام الله فضيله وقوله رذيلة فهذا خذلان لا ينتهي اليه

جبهة النسوان يالك من جعل بمرحض خلا لك اتجب فدخرج
وارحض . ولفها من قدر وحيض . ❀ مسألة ❀ عربية وهي ان
الله سبحانه قال والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا
فتحرير رقبة فوجب الكفارة بالعود بعد الظهار فقال البايس
داوود ان معنى ذلك يظاهر مرة اخرى بلسانه ولم يحتشم من
العربية ولا من الله ولا من رسوله ولا من الناس وانا اكلمه لكم
ظاهريا حتى ابرزه لكم بررا من المرفقة سريريا . قال الله والذين
يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فنزل معه منزلة فنقول
اخبرني يا داود كيف الظهار الذي اخبر الله عنه هل هو قول بالجنان
ام قول باللسان وجئني بنص نصا من النبي صلى الله عليه وسلم في
حديث صحيح اوسقيم ولن تجد ذلك ابدا واخبرني يا داوود عن
صفة ترتيبه في الاعتقاد وفي نظم الحروف عن النبي صلى الله عليه
وسلم او عن احد من الصحابة وهذا مسألة قد استرحنا معك فيها
فانها ليست باجماع فاذا عين او قال ما قال قيل له ومن اين تقول
ذلك وانت لا تتكلم الا بنص ولا سبيل ابدا ان تتكلم بحرف
مما نقوله الا وفيه من الله قول او رسوله فان زاد على قول الله او

قول رسوله حرفا فزد انت حرفين ❀ منزلة اخرى ❀ انا نقول لك
 في الظهار انه قول الرجل لزوجته في تشبيهه ظهرها بظهر امه هل
 هو قول محدد او اي قول كان باي صيغة ظهر منه وورد فان قال
 هو مثل قوله انت على كظهر امي (١) او تقول ظهرك على كأمي
 وهذا هو صريح القرآن فيلزمه الا يجعل الظهار شيئا غير هذا
 ولو قال انه ظهرك على كظهر امي كان اميل الى قرب القرآن
 وينبغي ان يقال له انه اذا قال ظهرك فمن حرم عليه بطنها او سائر
 اعضائها وهو يقول لو طلق يدها لم تطلق وان قال تطلق وقع
 في اشد من ذلك واطم وطولب بالدليل فان رام ان يتعلق
 بالاجماع لم يجده الا من الفقهاء ولا قدر لهم عندنا وانما الاجماع
 الذي يرى اجماع الصحابة ويجب ان تعلموا ان البخاري ومسلم لم
 يدخلوا في الظهار حرفا واحدا من الحديث اما الاثمة ادخلوا منها
 جملة فذكر ابو داود والطبري حديث خوله قالت ظاهر مني

(١) وانتظهر امي دون او بطنك على كظهر امي او فرجك او جملتك كظهر امي او
 يسقط الظهر من امه ويجعله في الزوجة . هذا كله كما هو مخرج بالهامش على انه من
 الاصل وعليه علامة الصحة

زوجي وذكر نزول القرآن وروى الترميذي ان رجلا أتى
النبي صلى الله عليه وسلم وقد ظاهر من امرأته وروى ابو داود ان
رجلا جعل امرأته كظهر امه وهذا أقرب الالفاظ الى التقصين (١)
فانه لم يذكر احد منهم لفظه ولكن ظاهر هذا يقتضي ان يقول
امرأتي كظهر امي فينبغي ان يقتصر يا داود عليه ولأن فعات
ذلك لنقولن لك هل جعلها بقوله او باعتقاده ذلك فيها فان قيل
ومن اين علمت ذلك قلنا قال لها اعتقدت فيك الا اعلوك كما لا اعلو
أمي او قال لها فرجك كفرج أمي من نزلة اخرى ثبت عن
الترمذي وغيره ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له
يا رسول الله ظاهرت من امرأتي فوقعت عليها قبل ان اكفر قال
وما حملك على ذلك يرحمك الله قال رأيت خليخالها في ضوء القمر
قال فلا تقربها حتى تفعل ما امرك الله به فاعلمه ببقاء كفارة الظهار
عليه وانما كان قد وطئ وبقي النظر في العود الذي احال عليه
رسول صلى الله عليه وسلم ولم يتثبتته فيرجع اليه فيقول ان الله
سبحانه قال ثم يعودون لما قالوا وانت لم يتعين لك بعد قولهم الذي

يرتبط به الحكم فتري ان يكون العود اليه هل هو قول القلب
 ام قول اللسان وما صفة ذلك القول ارايت ان قاله ثم نسيه وانت
 قد عينته وان قلت اخذ بالعموم فيه فكل قول يكون ذلك فيه
 اقول به مهمى كان فيه ذكر الظهر . قلنا له ويكون فيه ذكر
 الظهر فيهما جميعا او الزوجة وحدها او في الام وحدها منزلة اخرى يقال له
 ارايت ان لم يعد بما قال ولا كلم الزوجة فليس له ما يقول مما فيه
 اثر عن النبي صلى الله عليه وسلم وانظروا رحمكم الله الى قول
 النبي صلى الله عليه وسلم للذي وقع على امرأته المظاهر منها قبل ان
 يكفر لا تقر بها حتى تفعل ما امر الله به وقال للاخر الذي وقع
 على امرأته قبل ان يكفر اعتق رقبة او اطعم ولم يقل له عد لما
 قالت لانه قد رآه عادا قال ومعنى الآية قد مناه في الاحكام
 و تحقيقه انه قال ثم يعودون لما قالوا انهم لا يعودون اليه لانه
 لو قال انت على بظهر امي قد قال انه لا يطأها فلما عاد الى الوطن
 ازمت الكفارة او الى التمسك بالزوجية والى الغرم (١) على ما بيناه
 هنالك والله اعلم . اي وهكذا فنخذ مسائلهم تجدها كما قلناه بتوفيق

(١) كذا بالاصل ولعله الغرم

الله ويحل من ذلك كله الدني المطالب وهو تنزيل الشريعة منازلها
وتوفيتها مقاديرها وعصمها بمواضع من مطالبها وانذائها حتى قام
عمود الدين على اسسه ، واطرد نظره على رسه . وتسقى بنيانه برصه .
ورأى الطالب الاعظم ان بداخل الاحاد لا تجد فعددا لها بعد
ذلك سبلا من الباطل سلك فيها امما ونزل اليها عسما ، وجرى اليها
خلفا كثيرا واصلاها بعد ان استثر الله بنبيه صلى الله عليه وسلم
وقد اكمل له ولنا دينه واتم عليه وعائنا نعمته كما قال تعالى اليوم
اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام
دينا وما من شيء في الدنيا يكمل الا وجاءه النقصان ليكون
الكمال الذي يراد به وجه الله خاصة وذلك العمل الصالح والدار
الآخرة فهي دار الله الكمال . قال انس ما نفضنا ايدينا من تراب
قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انكرنا نفوسنا واضطربت الحال
ثم تدارك الله الاسلام بببيعة ابي بكر . فكان مرت النبي صلى الله
وسلم قاصمة الظهر ، ومصيبة العمر فاما علي فاستخفى في بيته مع فاطمة
واما عثمان فسكت واما عمر فاهجز وقال ما مات رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانما وعدة كما وعد موسى وليرجعن رسول فليقطعن ايدي ناس

وارجلهم وتعلق بالعباس وعلي بامر انفسهما في مرض النبي صلى الله عليه وسلم فقال العباس لعلي اني ارى الموت في وجوه بني عبد المطلب فتعال حتى نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان هذا الامر فينا علمناه وتعلق بالعباس وعلي بميراثهما فيما تركه النبي من فداك وبني النضير وخيبر واضطرب امر الانصار يطلبون الامر لانفسهم او الشراكة فيه مع المهاجرين وانقطعت قلوب الجيش الذي كان قد برز مع اسامة ابن زيد بالجرف عاصمة فتدارك الله الاسلام والانام وانجابت انجياب الغمام ونفذ وعد الله باستيثار رسول الله واقامة دينه على التمام وان كان قد اصاب ما اصاب من الرزية الاسلام — (١) بابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان اذا مات النبي غائبا في ماله بالسنيخ فجاء إلى منزل ابنته عائشة رضي الله عنها وفيه مات النبي صلى الله عليه وسلم فكشف عن وجهه واكب عليه يقبله وقال بابي زامي يا رسول الله طبت حيا وميتا والله لا يجمع الله عليك الموتين اما الموتة التي كتب الله عليك قدمتها ثم خرج الى المسجد والناس فيه وعمر ياتي بهجر

من القول كما قدمنا فرقي المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ثم قرأ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفأين مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين . فخرج الناس يتلونّها في سكك المدينة كأنها لم تنزل إلا ذلك اليوم واجتمعت الانصار في سقيفة بني ساعدة يتشاورون ولا يدرون ما يفعلون ، فقالوا (١) رسل اليهم ياتوننا فقال أبو بكر بل نمشي اليهم فساد اليهم المهاجرون منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة فتراجعوا الكلام فقال بعض الانصار منا امير ومنكم امير فقال أبو بكر كلاما كثيرا مصيبا يكثر ويصيب . منه نحن الامراء وانتم الوزراء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الائمة من قريش وقال اوصيكم بالانصار خيرا ان تقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن سيئهم ان الله سمانا الصادقين وسماكم المفاحين وقد امركم ان تكونوا معنا حيث ما كنا فقال يا ايها الذين ءامنوا

اتقوا الله وكونوا مع الصادقين الى غير ذلك من الاقوال المصيبة
والا دلة القوية فتذكرت الانصار ذلك وانقادت اليه وبايعوا ابا
بكر الصديق رضي الله عنه وقال ابو بكر لا سامة انفذت الامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر كيف ترسل هذا
الجيش والعرب قد اضطربت عليك فقال لو لعبت الكلاب
ببخلا خيل نساء اهل المدينة ما رددت جيشا انفذه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال له عمر وغيره اذا منعك العرب الزكاة فاصبر
عليهم فقال والله لو منعوني عقالا كانوا يودونه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم لتلتهم عليه والله لا قاتلن من فرق بين
الزكاة والطاقة قيل ومع من تقتاتهم قال وحدي حتى تنفرد
سالتني وقدم الامراء على الاجناد والعمال في انبلاذ مختارا لهم
مرتثيا (١) فيهم فكان ذلك من اشد عمل وافضل مقدمة للاسلام
وقال لفاطمة وعلي والعباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا نورث من تركنا صدقة فذكر الصحابة ذلك وقال سمعته
يقول لا يدفن نبي الا حيث يموت وهو في ذلك كله رابط

الجأش ثابت العلم والقدم في الدين ثم استخلف عمر فظهرت بركة الاسلام ونفذ الوعد الصادق في الخليفتين ثم جعلها عمر شورى فاخرج عبد الرحمن بن عوف نفسه من الامر حتى ينظر ويتحرى فيمن يقدم فقدم عثمان فكان عند الظن به ما خالف له عهدا ، ولا نكث عقدا ، ولا اقتحم مكروها ، ولا خالف سنة ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر بان عمر شهيد وبان عثمان شهيد وبان له الجنة على بلوى تنسب به وهو وزوجه رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اول مهاجر بعد ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم . دخل به في باب اول من . وهو علم كبير جمعه الناس . ولما صحت امامته قتل مظلوما ، ليقضي الله امرا كان مفعولا ، ما نصب حربا ، ولا جيش عسكرا ، ولا سعى الى فتنة ، ولا دعا الى بيعة ، ولا حاربه ولا نازعه من هو من اضرا به ، ولا اشكراله ، ولا يرجوها لنفسه . ولا خلاف انه ليس لاحد ان يفعل ذلك في غير عثمان فكيف في عثمان رضي الله عنه وقد سموا من قام عليه فوجدناهم اهل اغراض سوء حيل بينهم وبينها . فوعظوا وزجروا واقاموا عند عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وتوعدهم حتى تابوا وارسل

بهم الى عثمان فتأبوا وخيرهم فاختاروا التفرق في البلاد فارسلهم فلما سار كل الى ما اختار انشؤوا الفتنة ، والقوا الجماعة ، وجاءوا اليه في جملةهم (١) فاطلع عليهم من حائط داره ووعظهم وذكرهم وورعهم عن دمه وخرج طلحة يبكي ويورع الناس وارسل علي ولديه ، قال الناس لهم انكم ارسلتم الينا اقبلوا الى من غير سنة الله فلما جئنا قعد هذا في بيته يعنون عليا وخرجت انت تفيض عينيك والله لا برحنا حتى نريق دمه وهذا قهر عظيم ، وافتيات على الصحابة وكذب في وجوههم بهت لهم ولو اراد عثمان لكان مستنصرا بالصحابة ولنصروا في لحظة وانما جاء القوم مستجيرين متظلمين فوعظهم فاستشاطوا فاراد الصحابة اليهم فاعز اليهم عثمان الا يقاتل احد بسببه ابدا فاستسلم واسلموا برضاه . وهي مسألة من الفقه كبرى هل يجوز للرجل ان يستسلم ام يجب عليه ان يدافع عن نفسه . واذا استسلم وحرم على احد ان يدافع عنه بالقتل هل يجوز لغيره ان يدافع عنه ولا يلتفت الى رضاه . اختلف العلماء فيها . فلم يأت عثمان منكرا لا في اول الامر ولا في آخره

ولا جاء الصحابة بذكر . وكلما سمعت من خبر باطل اياك ان
تلتفت اليه ❀ قاصمة ❀ قالوا مبعدين متعلقين برواية كذابين جاء
عثمان في ولايته بمظالم ومناكير منها ضربه لعمار حتى فتق
امعاءه ، ولا بن مسعود حتى كسر اضلاعه ، ومنعه عطاءه وابتدع
في جمع القراءات وتأليفه وفي حرق المصاحف وحمى الحمى
واجلى اباذر الى الربذة ، واخرج الى الشام ابا الدرداء ، ورد الحكم
بعد ان نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وابطل سنة القصر في
الصلوات في السفر ، وولي معاوية ومروان ممن لم يكن من
اهل الولاية ، واعطا مروان خمس افریقیة ، وكان عمر يضرب
بالدرة وضرب هو بالعصا ، وكتب مع عبدة على جهله كتابا الى
ابن ابي سرح في قتل من ذكر فيه ، وعلا على درجة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد انحط عنها ابوبكر وعمر ، ولم يحضر بدرا ،
وانهزم يوم حنين ، وفر يوم احد ، وغاب عن بيعة الرضوان ، وولي
الوليد بن عقبة وهو فاسق ليس من اهل الولاية ، ولم يقتل عبید
الله بن عمر باهر من ان الذي اعطا السكينة لابي لؤلؤة وحرضه على
عمر حتى قتله ❀ قاصمة ❀ هذا ضلال باطل سندا ومثلا اما قريتهم

جاء عثمان بمظالم ومناكير فباطل . واما ضربه لعمار وابن مسعود ومنعه عطائه فزور وضربه لعمار افك مثله ولو فتق امعاء ما عاش ابدا وقد اعذر عن ذلك العلماء بوجوده لا ينبغي ان يشتغل بها لانها مبنية على باطل ولا يبنى حق على باطل ولا يذهب الزمان في مماشاة الجهال فان ذلك لا اخر له . واما جمع القراءان فتلك حسنة العظمى وخصلته الكبرى وان كان وجدها كاملة ولكنه اظهرها ورد الناس اليها وحسم مادة الخلاف فيها وكان نفوذ وعد الله بحفظ القراءان على يديه حسبا بينا لا في كتب القراءان وغيرها . روى الأئمة باجمعهم ان زيد بن ثابت قال ارسل الي ابوبكر بقتل اهل اليمامة فاذا عمر بن الخطاب عنده فقال ابوبكر ان عمر اتاني فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القراءان واني اخشى ان يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القراءان واني ارى ان تامر بجمع القراءان قلت لعمر كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر هذا والله خير فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر قال زيد قال ابوبكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب

الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو
كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمروني به
من جمع القرآن قلت كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال عمر هذا والله خير فلم يزل يراحمني حتى شرح
الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر فتتبع القرآن
اجمعه من العصب والخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة
التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره لقد جاءكم
رسول من أنفسكم حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي
بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر حتى
قدم حذيفة بن اليمان على عثمان وكان ينازي أهل الشام في فتح
أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فحدثه حذيفة اختلافهم
في القراءة فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل
أن يختلجوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان
إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها
إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فامر زيد بن ثابت وعبد الله بن
الزبير وسعيد بن العاصي وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام

فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة
 اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه
 بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسخوا المصحف
 في المصاحف رد عثمان المصحف الى حفصة وارسل الى كل
 ائمة بمصحف مما نسخوا واعر بما سواه من القرآن في كل صحيفة
 ومصحف ان يحرق قال ابن شهاب واخبرني خارجة بن زيد بن ثابت
 سمع زيد بن ثابت قال فقدت آية من الاحزاب حين نسخنا المصحف
 قد كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فالتسناها
 فوجدناها مع خزيمة ابن ثابت الانصاري من المؤمنين رجال صدقوا
 ما عاهدوا الله عليه فالحقناها في سورتها في المصحف واما ما روي
 انه حرقها او خرقتها بالحاء المهملة او الحاء المعجمة وكلاهما جائز
 اذا كانت في بقائها فساد او كان فيها ما ليس من القرآن او ما
 نسخ منه او على غير نظمه وقد سلم في ذلك الصحابة كلهم الا انه
 روي عن ابن مسعود انه خطب بالكوفة فقال اما بعد فان الله
 قال ومن يغال يات بما غل يوم القيامة واني غال مصحفي فمن استطاع
 منكم ان يغال مصحفه فليغالي واراد ابن مسعود ان يغال

بمصحفه وان ثبت ما يعلم فيه فلما لم يفعل ذلك له قال ما قال
فاكرهه عثمان على رفع مصحفه ومحا رسومه فلم يثبت له قراءة ابدا
ونصر الله عثمان والحق بمحوها من الارض . واما ذقيه ابادر الى الربذة
فلم يفعل . كان ابوذر زاهدا وكان يقرع عمال عثمان ويتلو عليهم
والذين يكتزون الذهب والفضة ويراهم يتسعون في المراكب
والملابس حين وجدوا فيذكر ذلك عليهم ويريد تفريق جميع ذلك من
بين ايديهم وهو غير لازم قال ابن عمر وغيره من الصحابة ان ما
اديت زكاته فليس بكنز فوقع بين ابي ذر ومعاوية كلام بالشام
فخرج الى المدينة فاجتمع اليه الناس فحمل يسلك تلك الطريق
فقال له عثمان لو اعتزلت معناه انك على مذهب لا يصلح لمخالطة
الناس فان لمخالطة شروطا وللعزلة مثلها ومن كان على طريق ابي
ذر فحاله يقتضي ان ينفرد بنفسه او يخالط ويسلم لكل احد حاله مما
ليس بمحرام في الشريعة فخرج الى الربذة زاهدا فاضلا وترك جملة
فضلاء . وكل على خير وبركة وفضل . وحال ابي ذر افضل ولا
يمكن لجميع الخلق فلو كانوا عليها لهلكوا فسبحان مرتب المنازل .
ومن العجب ان يوخذ عليه في امر فعله عمر . قد روى ان عمر بن

الخطاب رضي الله عنه سجن ابن مسعود في نفر من الصحابة سنة
 بالمدينة حتى استشهد فاطلقهم عثمان وكان سجنهم لان القوم
 اكثروا الحديث عن رسول الله صلى الله وسلم ووقع بين ابي ذر
 ومعاوية كلام وكان ابو ذر يطلق من الكلام بما لم يكن يقوله في
 زمان عمر فاعلم معاوية بذلك عثمان وخشى من العامة ان تثور
 منهم فتنة فان ابا ذر كان يحملهم على التزهّد وامور لا يحتملها
 الناس كلهم وانما هي مخصوصة ببعضهم فكتب اليه عثمان كما قدمنا
 ان تقدم المدينة فلما قدم اجتمع اليه الناس فقال لعثمان اريد
 الرخصة فقال له اني فاعتزل ولم يكن يصلح له الا ذلك لطريقته .
 ووقع بين ابي الدرداء ومعاوية كلام وكان ابو الدرداء زاهدا فاضلا
 قاضيا لهم فلما اشتد في الحق واخرج طريقة عمر في قوم لم يحتملوها
 عزلوه فخرج الى المدينة وهذه كلها مصالح لا تقدر في الدين
 ولا تؤثر في منزلة احد من المسلمين بحال . وابو الدرداء وابو ذر
 برءاء من عاب وعثمان بريء اعظم براءة واكثر نزاهة ، فمن روى
 انه نفي وروى سببا فهو كله باطل . واما رد الحكم فلم يصح
 وقال علماءنا في جوابه قد كان اذن له فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال لابي بكر وعمر فقلالا له ان كان معك شهيد رددناه فلها
 ولي قضا بعلمه في رده وما كان عثمان ليصل مهجور رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ولو كان اباه ولا لينقض حكمه ، واما ترك
 القصر فاجتهاد اذ سمع ان الناس افقتنوا (١) بالقصر وفعلوا ذلك
 في منازلهم فرأى ان السنة ربما ادت الى اسقاط الفريضة فتركها
 خوف الذريعة مع ان جماعة من العلماء قالوا ان المسافر مخير بين
 القصر والاقام واختلف في ذلك الصحابة واما معاوية فعمر ولا
 وجمع له الشامات كلها واقرا عثمان بل انما ولاه ابو بكر الصديق
 رضي الله عنه لانه ولي اخاه يزيد واستثنائه يزيد فاقره عمر لتعلقه
 بولاية ابي بكر لاجل استخلاف واليه له فتعلق عثمان بعمر واقره
 فانظروا الى هذه السلسلة ما اوثق عراها واقدر (٢) ولن ياتي احد
 مثلها ابدا بعدها . واما عبد الله بن ابي كرز فولاها كما قال لانه
 كريم العمت والخالات واما تولية الوليد بن عقبة فان الناس على
 فساد النيات اسرعوا الى السيئات قبل الحسنات فذكر الاسفرائيون
 انه انما ولاه للمعنى الذي تكلم به قال عثمان ماوليت الوليد لانه

(١) هذا اقرب ما يظهر (٢) قدر هذا البياض بالاصل

أخي وأنا وليته لأنه ابن أم حكيم البيضاء عمته رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوأمته أبيه وسيأتي بيانه إن شاء الله والولاية اجتهدا قد عزل عمر سعيد بن أبي وقاص وقدم أقل منه درجة . وأما إعطاؤه خمس أفرقية لواحد فلم يصح على أنه قد ذهب مالك وجماعة إلى أن الإمام يرى رأيه في الخمس وينفذ فيه ما أراه إليه اجتهدا وأما إعطاؤه لواحد جائز وقد بينا ذلك في مواضعه وأما قولهم أنه ضرب بالعصا فما سمعته ممن أطاع ولا عصا وإنما هو باطل يحكى وزور يشنى في الله وللهي . وأما علاؤه على درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فما سمعته ممن فيه تقية وإنما هي إشاعة منكر ، ليروي ويذكر ، فيتغير قلب من يتغير . قال علماءنا ولو صح ذلك فما في هذا ما يحل دمه ولا يخلو أن يكون ذلك حقا فلم ينكره الصحابة عليه إذ رأت جوازه ابتداء أو لسبب اقتضى ذلك وإن كان لم يكن فقد انقطع الكلام . وأما الهزامة يوم حنين وفرار يوم أحد ومغيبه عن بدر وبيعة الرضوان فقد بين عبد الله بن عمر وجه الحكم في شأن البيعة وبدر وأحد وأما يوم حنين فلم يبق إلا نفر يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لم يجز في

الامر تفسير من بقي ممن مضى في الصحيح وانما هي اقوال منها
انه ما بقي معه الا العباس وابناء عبد الله وقسم فناهيك بهذا الاختلاف
وهو امر قد اشترك فيه الصحابة وقد عفا الله عنه ورسوله فلا يحل
ذكر ما اسقطه الله ورسوله والمؤمنون خرج البخاري جاء
رجل الى ابن عمر فسأله عن عثمان فذكر محاسن عمله فقال لعل
ذلك يسوؤك قال نعم قال فارغم الله انفك ثم سأله عن علي فذكر محاسن
عمله قال هو ذلك بيته اوسط بيوت النبي ثم قال لعل ذلك يسوؤك
قال اجل قال فارغم الله انفك فانطلق فاجهد على جهدي . وقد
تقدم في حديث بني الاسلام على خمس زيادة فيه للبخاري في
على وعثمان وقد اخرج البخاري ايضا من حديث عثمان بن عبد
الله بن موهب قال جاء رجل من اهل مصر يريد حج البيت فرأى
قوما جلوسا فقال من هؤلاء القوم فقالوا هؤلاء قریش قال فمن
الشيخ فيهم قالو عبد الله بن عمر قال يا بن عمر اني سائلك عن
شيء فحدثني هل تعلم ان عثمان فر يوم احد قال نعم قال تعلم انه
تغيب عن بدر ولم يشهد قال نعم قال تعلم انه تغيب عن بيعة الرضوان
فلم يشهد بها قال نعم قال الله اكبر . قال ابن عمر تعال ابين لك اما

فراره يوم احد فاشهد ان الله قد عفا عنه ، واما تغيبه عن بدر فانه كانت تحتة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مريضة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لك اجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه واما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان احد اعز ببطن مكة من عثمان لبعثه فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان الى مكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب بها على يده وقال هذه لعثمان ثم قال ابن عمر اذهب بها الآن معك . واما امر الحمى فكان قديما فيقال ان عثمان زاد فيه لما زادت الرعاية . واذا جاز اصله للحاجة اليه جازت الزيادة فيه ازيادة الحاجة . واما امتناعه من قتل عبيد الله بن عمر ابن الخطاب بالهرمز ان فان ذلك باطل فان كان لم يفعل فالصحابة متوافرون والامر في اوله وقد قيل ان الهرمزان سعى في قتل عمر وحمل الخنجر وظهر تحت ثيابه وكان قتل عبيد الله له وعثمان لم يل بعد . ولعل عثمان كان لا يرى على عبيد الله حقا لما ثبت عندنا من حال الهرمزان وقمائه وايضا فان احدا لم يقيم بطلبه . وكيف يصح مع هذه الاحتمالات كلها ان ينظر سفي في امر لم يصح . واما قول

القائل في مروان والوليد فشد يد عليهم وحكمهم عليهم بالفسق فسق منهم . مروان رجل عدل من كبار الامة عند الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين اما الصحابة فان سهل ابن سعد الساعدي روى عنه واما التابعون فاصحابه في السن وان حارهم (١) باسم الصحبة في احد القولين . واما فقهاء الامصار فكلمهم على تعظيمه واعتبار خلافته والتلفت الى فتواه والانقياد الى روايته . واما السفهاء من المؤرخين والادبا فيقولون على اقدارهم . واما الوليد فقد روى بعض المفسرين ان الله سماه فاسقا في قوله ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فانها في قولهم نزلت فيه ارسله النبي صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق فاخبر عنهم انهم ارتدوا فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم خالد بن الوليد فتثبت في أمرهم فبين بطلان قوله وقد اختلف فيها نقيض نزلت في ذلك وقيل في علي والوليد في قصة اخرى وقيل ان الوليد سبق يوم الفتح في جملة الصبيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح رءوسهم وبرك عليهم الا هو فيقال انه كان علي رأسي خلوق فامتنع من مسه

فمن يكون في هذا السن يرسل مصدقا. وبهذا الاختلاف يسقط العلماء الاحاديث القوية وكيف يفسق رجل بمثل هذا الكلام فكيف رجل من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واما حدة في الحمر فقد حد عمر قدامة بن مضعون على الحمر وهو امير وعزله ثم قيل له صالحه وليست الذنوب مسقطه للعدالة اذا وقعت منها التوبة وقد قيل لعثمان انك وليت الوليد لانه اخوك لامك اروي بنت كرين بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس فقال بل لانه ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حكيم البيضاء جدة عثمان وجدة الوليد لامهما اروي المذكورة ام حكيم توأمة عبد الله ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأي حرج على المرء ان يولي اخاه او قريبه . واما تعلقهم بان الكتاب وجد مع ركب او مع غلامه ولم يقل احد قط انه كان غلامه الى عبد الله بن سعد ابن ابي سرح يامره بقتل حامله فقد قال لهم عثمان اما ان تقيموا شاهدين على ذلك والا فيميني اني ما كتبت ولا امرت وقد يكتب على لسان الرجل ويضرب على خطه وينقش على خاتمه فقالوا تسلم لنا مروان فقال لا افعل ولو ساء لك ان ظالمنا

وانما عليهم ان يطلبوا حقهم عنده على مروان وسواه فما ثبت كان هو منفذاً وآخذ والممكن ان ياخذ بالحق . ومع سابقته وفضيلته ومكانته لم يثبت عليه ما يوجب خلعه فضلاً عن قتله . وامثل ما روى في قصته انه بالقضاء السابق تألب عليه قوم لاحقاد اعتقدوها ممن طلب امرا فلم يصل اليه وحسد حسادة اظهروها (١) وحمله على ذلك قلة دين وضعف يقين واثير العاجلة على الآجلة واذا نظرت اليه ذلك صريح ذكرهم على دناءة قلبهم وبطولات امرهم .

كان الغافقي المصري امير القوم وكنانة ابن بشر التجيبي وسودان ابن حمران وعبد الله بن يزيد ابن ورقا الخزاعي وحكم ابن جبالة من اهل البصرة وملك بن الحرث الاشتر في طائفة هؤلاء رءوسهم فناهيك بغيرهم وقد كانوا اثاروا فتنة فاخرجهم عثمان بالاجتهاد وداروا في جماعتهم عند معاوية فذكرهم بالله وبالتقوى لفساد الحال وهتك حرمة الامة حتى قال له زيد ابن صوحان فيما يروي كم تكثر علينا بالامرة وبقريش فما زالت العرب تاكل من قوايم سيوفها وقريش تجار فقال له معاوية لا ام

لك اذكرك بالاسلام وتذكرني بالجاهلية قبس الله من كثر على
امير المؤمنين بكم فما انتم ممن ينفع ولا يضر اخرجوا عني واخبروا
ابن الكوا باهل الفتنة في كل بلد ومؤامرتهم فكتب الى
عثمان يخبره بذلك فارسل اليه باشخاصهم عليه فاخرجهم معاوية
فمروا بعبد الرحمان بن خالد بن الوليد فحبسهم ووبخهم وقال لهم
اذكروا ما كنتم تذكرون لمعاوية وحصرهم وامشاهم بين يديه اذلاء
حتى تابوا بعد حول وكتب الى عثمان يخبرهم وكتب اليه ان سرحهم
الي فاما مثلوا بين يديه جددوا التوبة وحلفوا على صدقهم وتبرؤوا
مما نسب اليهم فسيرهم حيث يسرون فاختر كل واحد ما اراد من
البلاد ككوفة وبصرة ومصر فاخرجهم فما استقروا في جنب (١)
ما ساروا حتى ثاروا والربوا حتى انضاف اليهم جمع وساروا اليه على
اهل مصر عبد الرحمان بن عديس البلوي وعلى اهل البصرة حكيم
ابن جبالة وعلى اهل الكوفة الاشتر ملك بن الحارث النخعي
فدخلوا المدينة هلال ذي القعدة سنة خمس وثلاثين فاستقبلهم عثمان
فقالوا ادع بالمصحف ندعا به فقالوا افتح التاسعة يعني يونس فقالوا

(١) هذا اقرب ما يظهر وفي خ حيث

اقرأ فقرأ حتى انتهى الى قوله آ الله اذن لكم ام على الله تفترون
 قالوا له قف قالوا له رأيت ما حيت من الحمى اذن الله لك ام على
 الله افتريت قال امضه (١) انا نزلت في كذا وقد حمى عمر
 وزادت الابل فزدت فجعلوا يتبعونه هكذا وهو ظاهر عليهم حتى
 قال لهم ما ذا تريدون فاخذوا ميثاقه وكتبوا عليه ستا او خمسا
 ان المنفي يعاب (٢) والمحروم يعطى ويوفر الفاء ويعدل في
 القسم ويستعمل ذوو الامانة والقوة فكتبوا ذلك في كتاب واخذ
 عليهم الا يشقوا عصا ولا يفرقوا جماعة ثم رجعوا راضين وقيل ارسل
 اليهم عليا فاتفقوا على الخمس المذكورة ورجعوا راضين فبينما هم
 كذلك اذا راكب يتعرض لهم ثم يفارقهم مرارا قالوا مالك قال انا
 رسول امير المؤمنين الى عامله بمصر ففتشوه فاذا هم بالكتاب على
 لسان عثمان عليه خاتمه الى عامل مصر ان يصلبهم ويقطع ايديهم
 وارجلهم فاقبلوا حتى قدموا المدينة فاتوا عليا فقالوا له الم تر الى
 عدو الله كتب فينا بكذا وقد احل الله دمه قالوا له فقم معنا اليه

(١) كذا بالاصل ولعله يريد امض حكم الكتاب (٢) كذا بالاصل ولعله يقرب
 اي يرجع الى اهله

قال والله لا اقوم معكم قالوا فلم كتبت اليها قال والله ما كتبت اليكم فنظر بعضهم الى بعض وخرج علي من المدينة فانطلقوا الى عثمان فقالوا له كتبت فينا كذا قال لهم اما ان تقيموا اثنين من المسلمين او يميني كما تقدم ذكره فلم يقبلوا ذلك منه ونقضوا عهده وحصلوه وقد روى ابن عثمان جيء اليه بالاشتر فقال له يريد القوم منك اما انت تخلع نفسك او تنقص منها او يقتلوك فقال اما خلعي فلا اترك امته محمد بعضها على بعض واما القصاص فصاحباي قبلي لم يقصا من انفسهما ولا يحتمل ذلك بدني وروى ابن رجلا قال له نذرت دمك قال خذ جبتي بشرط فيها شرطة بالسيف اراق منه دمه ثم خرج الرجل وركب راحلته وانصرف في الحين وتقد دخل عليه ابن عمر فقال انظر ما يقول هؤلاء يقولون اخلع نفسك او نقتلك قال له اخذ انت في الدنيا قال لا قال هل يزيدون على ان يقتلوك قال لا قال هل يملكون لك جنة او نارا قال لا قال فلا تخلع قميص الله عنك فتكون سنة كما كره قوم خليفتهم خلعه او قتلوه وقد اشرف عليهم عثمان واحتج عليهم بالحديث الصحيح في بنيان المسجد وحفر بئر ومة وقول النبي

حين رجف بهم احد واقروا له به في اشياء ذكرها . وقد ثبت ان
 عثمان اشرف عليهم وقال افيكم ابنا محدوج انشدكم الله الستما
 تعالى ان عمر قال اب ربيعة فاجر او غادر واني والله لا اجعل
 فرائضهم وفرائض قوم جاءوا من مسيرة شهر وانما مهر احدهم عند
 طبيبه (١) واني زدتهم (٢) في غزاه واحدة خمس مائة حتى
 احقتهم بهم قالوا بلى قال اذكر كما الله الستما تعالى انكما اتيتاني
 فقلتما ان كندة اكلة رأس واب ربيعة هي الرأس وان الاشعث
 ابن قيس قد اكلهم فنزعته واستعملتكما قالوا بلى قال اللهم انهما
 كفروا معروفى وبدلوا نعمتي فلا ترضهم عن امامهم . ولا ترض اماما
 عنهم . وقد روى عبد الله ابن عامر ابن ربيعة قال كنت مع عثمان
 في الدار فقال اعزم على كل من رأى ان عليه سمعا وطاعة الا كف
 يده وسلاحه ثم قال قم يا ابن عمر وعلي ابن عمر سيفه متقلدا فاجر (٣)
 بين الناس فخرج ابن عمر وعلي ودخلوا فقتلوا . وجاء زيد ابن
 ثابت فقال له ان هؤلاء الانصار بالباب يقولون ان شئت كنا
 انصار الله قال لا حاجة لي في ذلك كفروا . وقال له ابو هريرة

(١) و (٢) هذا اقرب ما يظهر في الموضعين (٣) هذا اقرب ما ظهر

اليوم طاب الضرب معك قال عزمت عليك لتخرجن وكان الحسن
ابن علي آخر من خرج من عنده فانه جاء الحسن والحسين وابن عمر
وابن الزبير ومروان فعزم عليهم في وضع سلاحهم وخروجهم
ولزوم بيوتهم فقال له ابن الزبير ومروان نحن نعزم على انفسنا
لا نبرح ففتح عثمان الباب ودخلوا عليه في اصح الاقوال فقتله
المرء الاسود وقيل اخذ ابن ابي بكر باحيتة وذبحه رومان وقيل
رجل من اهل مصر يقال له حمار فسقطت قطرة من دمه على المصحف
على قوله فسيكنيكنهم فانها فيه ما حكى الى الآن . وروى
ابن عائشة رضي الله عنها قالت غضبت لكم من السوط ولا اغضب
لعثمان من السيف استعتموه حتى اذا تركتموه كالعبد المصفي
ومعتموه موص الا ناء وتركتموه كالثوب المنقى من الدس ثم
قتلتموه قال مسروق فقلت لها هذا عملك كتبت الى الناس تامرهم
بالخروج عليه فقالت عائشة رضي الله عنها والذي امن به المؤمنون
وكفر به الكافرون ما كتبت اليهم سوادا في بياض قال الاعمش
فكانوا يرون انه كتب على لسانها وقد روى انه ما قتله احد الا
اعلاج من اهل مصر . قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه فهذا اشبه

ما روى في الباب . وبه يتبين - واصل المسئلة سلوك سبيل الحق - ان احدا من الصحابة لم يسمع عليه ولا قعد عنه ولو استنصر ما غلب الف او اربعة آلاف غرباء عشرون (١) الفا بلديين او اكثر من ذلك ولكنه الذي بيدلا الى المصيبة . وقد اختلف العلما فيمن نزل به مثلها هل يلقي بيده او يستنصر . واجاز بعضهم ان يستسلم ويلقي بيده اقتداء بفعل عثمان وبوصية النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في الفتنة قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه ولقد حكمت بين الناس فالزمتهم الصلاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لم يك يرى في الارض منكرا واشتد الخطب على اهل الغضب (٢) وعظم على الفسقة الكرب فتألبوا وألبوا وثاروا الي فاستساروا لامر الله وامرت كل من حولي الا يدفعوا عن داري وخرجت على السطوح بنفسني فعائوا على وأمست سطيح الدار ولولا ما سبق من حسن المقدار ، لكنت قتيل الدار وكان الذي حماني على ذلك ثلاثة امور احدها وصاية النبي صلى الله عليه وسلم المهدي (٣) . والثاني الاقتداء بعثمان . الثالث سوء الاحدوثة

(١) الصواب عشرين (٢) او الغضب (٣) خ المتقدمة

التي فر منها رسول الله صلى الله عليه المؤيد بالوحي . فان من
 غاب غني بل من حضر من الحسدة معي خفت ان يقول ان الناس
 مشوا اليه مستغيثين له فارق دماهم . وامر عثمان كاه سنة ماضية ،
 وسيرة راضية ، فانه تحقق انه مقتول بخبر الصادق له بذلك وانه
 بشره بالجنة على بلوى تصيبه ، وانه شهيد وروى انه قال له في المنام
 ان شئت نصرتك او تفطر عندنا الالية وقد انتدبت المردة
 والجهالة الى ان يقولوا ان كل فاضل من الصحابة كان عليه مشاغب
 مؤلما ، وبما جرى عليه راضيا واخترعوا كتابا (١) فيها فصاحة
 وامثال كتب عثمان به مستصرخا الى على وذلك كاه مصنوع ليوغر
 قلوب المسلمين على السلف الماضين والخلفاء الراشدين . قال القاضي
 ابوبكر فالذي يخل من ذلك ان عثمان مظلوم محجوج بغير حجة ،
 وان الصحابة برءاء عن دمه باجمعهم لانهم اتوا ارادته ، وسلوا له رأيه
 في اسلام نفسه . ولقد ثبت زايدها الى ما تقدم عنهم ان عبد الله ابن
 الزبير قال لعثمان انا معك في الدار عصاة مستبصرة ينصر الله
 باقل منهم فاذن لنا فقال اذكر الله رجلا اراق لي دمه او قال دما

(١) كتاب فيه وهي الظاهرة

قال سليط بن ابي سليط نهبنا عثمان عن قتالهم فلو اذنت لنا
لضربناهم حتى نخرجهم من اقطارنا . وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة
كنت مع عثمان في الدار فقال اعزم على كل من رأى ان لي
عليه سمعا وطاعة الا كف يده وسلاحه فان افضلكم غناء من
كف يده وسلاحه . وثبت ان الحسن والحسين وابن الزبير وابن
عمر ومروان كلهم شاك في السلاح حتى دخلوا الدار فقال
عثمان اعزم عليكم لما رجعت فوضعتم اسلحتكم ولزمت بيوتكم
فلما قضى الله من امره ما قضا ، ومضى في قدره ما مضى ، علم ان
الحق لا يترك الناس سدا ، وان الخلق بعدا مفتقرون الى خليفة
مفروض عليهم النظر فيه . ولم يكن بعد الثلاث كالرابع قدرا
وعاميا وتقيا ودينا فانعقدت له البيعة ولولا الاسراع بعقد البيعة لعل
لجري على من بها من الا و باش مالا يرقع خرقه ولكن عزم عليه
المهاجرون والانصار ورأى ذلك فرضا عليه فانقاد اليه . وعقد له
البيعة طاعة قتال الناس بجمع غنيا يد شاك . والله لا يتم هذا الامر .
فان قيل بايعا (١) مكرهين قلنا حاشى الله ان يكرها لهما وابن بايعهما

(١) الضمير عائد على طلحة والزبير وان لم يتقدم للزبير ذكر

ولو كانا مكرهين ما اثر ذلك لان واحدا او اثنين تنعقد البيعة
بهما وتم ومن بايع بعد ذلك فهو لازم له وهو مكره على ذلك
شرعا ولو لم يبايعا ما اثر ذلك فيهما ولا في بيعة الامام . واما
من قال يد شلاء وامر لا يتم فذلك ظن من القائل ان طلحة اول من
بايع ولم يكن كذلك فان قيل فقد قال طلحة بايعت والصح على
قفي . قلنا اخترع هذا الحديث من اراد ان يجعل في القفالفة
قفي كما يجعل في الهوى هوى وتلك لغة هذيل لا قریش فكانت
كذبة لم تدبر . واما قوهم يد شلاء لو صح فلا متعلق لهم فيه
فان يدا شلت في وقاية رسول الله صلى الله عليه وسلم يتم لها كل
امر ، ويتوقى بها من كل مكروه . وقد تم الامر على وجهه ،
وانفذ القدر بعد ذلك على حكمه . وجهل المبتدع ذلك فاخترع
ما هو حجة عليه فان قيل بايعوه على ان يقتل قتلة عثمان . قلنا هذا
لا يصح في شرط البيعة وانما يبايعونه دلى الحكم بالحق وهو ان
يحضر الطالب للدم ويحضر المطلوب وتقع الدعوى ويكون الجواب
وتقوم البيعة ويقع الحكم فاما على الهجم عليه بما كان من قول مطلق او
فعل غير محقق ، او سماع كلام ، فليس ذلك في دين الاسلام .

قالت العثمانية تخاف عنه من الصحابة جماعة منهم سعد بن ابي وقاص
ومحمد بن مسلمة وابن عمر واسامة بن زيد وسواهم من نظرائهم .
قلنا اما بيعته فلم يخاف عنها واما نصرته فتخلف عنها قوم منهم من
ذكرتم لانها كانت مسألة اجتهادية . فـاـ بـتـرـد كل واحد واعمل
نظرا واصاب قدره . ❀ قاصمة ❀ روى قوم ان البيعة لما تمت لـعلي
استأذن طلحة والزبير عليا في الخروج الى مكة فقال لهما على
لعلكما تريدان البصرة والشام فاقسا الا يفعلا وكانت عائشة
بمكة وهرب عبد الله بن عامر عامل عثمان على البصرة الى مكة .
ويـعلي ابن امية عامل عثمان على اليمن فاجتمعوا بمكة كلهم
ومعهم مروان بن الحكم واجتمعت بنو امية وحرصوا على دم عثمان
واعطا يعلى لطلحة والزبير وعائشة اربع مائة الف درهم واعطا
لعائشة عسكرا جملا اشتراه باليمن بمائتي دينار فارادوا الشام فصدمهم
ابن عامر وقال لا ميعاد لكم بمعاوية ولي بالبصرة عنائع ولكن اليها
فجاءوا الى ماء الحوئب ونجت كلابه فسالت عائشة فقيلا لها هذا
الحوئب فردت خطامها عنه وذلك لما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول ايـتـكـن صاحبة الجمل الازب ، التي تنبجها كلاب

الحوءب . فشهد طلحة والزبير انه ليس هذا ماء الحوءب وخمسون رجلا اليهم . وكانت اول شهادة زور دارت في الاسلام . وخرج على الى الكوفة وتعمى الفريقات والتقوا . وقال عمار وقد دنا من هودج عائشة ما تطلبون قالوا نطلب دم عثمان قال قتل الله في هذا اليوم الباغي والطالب بغير الحق . والتقى على والزبير فقال له على اذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لي انك تقتلني فتركه ورجع وراجعته ولدا فلم يقبل واتبعه الاحنف من قتله . ونادى على طلحة من بعد ، ما تطلب قال دم عثمان قال قاتل الله اولانا بدم عثمان الم تسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وانت اول من بايعني ونكث عاصمة ❀ اما خروجهم الى البصرة فصحيح لا اشكال فيه . ولكن لاي شيء خرجوا ، ولم يصح فيه نقل ، ولا يوثق فيه باحد لان الثقة لم ينقله وكلام المتعصب (١) لا يسمع . وقد دخل مع المتعصب من يريد الطعن في الاسلام واستنقاص الصحابة فيحتمل انهم خرجوا خلعا على الامر ظهر لهم

(١) في خ زيادة غير مقبول

وهو انهم بايعوا لتسكين الثائرة وقاموا يطلبون الحق ، ويحتمل
انهم خرجوا ليتمكنوا من قتلة عثمان ، ويمكن انهم خرجوا في
جمع (١) طوائف المسلمين وضم نشرهم وردهم الى قانون واحد
حتى لا يضطربوا فيقتتلوا وهذا هو الصحيح لاشيء سواه .
وبذلك وردت صحاح الاخبار . فاما الاقسام الاول فكلها باطلة
وضعيفة . اما بيعتهم كرها فباطل قد بينها . واما خلعهم فباطل
لان الخلع لا يكون الا بنظر من الجميع فيمكن ان يولي
واحد او اثنان . ولا يكون الخلع الا بعد الاثبات والبيان . واما
خروجهم في امر قتلة عثمان فيضعف لان الاصل قبله تأليف
الكلمة ويمكن ان يجتمع الامران . ويروى ان في تغيبهم قطع (٢)
الشنب بين الناس فخرج طاعة والزبير وعائشة ام المؤمنين رضي
الله عنهم رجاء ان يرجع الناس الى امهم فيرعوا حرمة نبيهم .
واحتجوا عليها بقول الله تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من
امر بتدقية او معروف او اصلاح بين الناس . وقد خرج النبي
صلى الله عليه وسلم في الصلح وارسل فيه . فرجت المشوبة ، واغتنمت

القصة ، وخرجت حتى بلغت الاقضية مقاديرها . واحس بهم اهل
البصرة فخرض من كان بها من المتألبين على عثمان للناس وقال
اخرجوا اليهم حتى تروا ما جاءوا اليه فبعث عثمان بن حنيف
حكيم بن جبلة فلتى طلحة والزبير بالرابوقة فقتل حكيم ولو
خرج مساهما مستساليا لا مدافعا لما اصابه شيء . واي خير كان له
في المدافعة ، وعن اي شي كان يدافع ، وهم ما جاءوا مقاتلين
ولا ولاثة وانا جاءوا ساعين في الصالح راغبين في تأليف الكفاية
فمن خرج اليهم ودافعهم وقتلهم دافعوا عن مقصدهم كما يفعل في سائر
الاسفار والمقاصد . فلما وصلوا الى البصرة تلقاهم الناس باعلى المربد
مجتمعين حتى او رمى حجر ما وقع الا على رأس انسان . فتكلم
طاحه وتكلمت عائشة رضي الله عنهما . وكثر اللفظ وطاحه يقول
انصتوا فجعلوا يركبونه ولا يتصننوا (١) فقال اف اف فراش نار
وذباب طمع ، والنقابوا عن غير بيان وانحدروا الى بني نهد فرماهم
الناس بالحجارة حتى نزلوا الجبل ، والتقى طاحه والزبير وعثمان
ابن حنيف عامل علي على البصرة وكتبوا بينهم ان يكفوا عن

القتال ولعثمان دار الأمانة والمسجد وبيت المال وان ينزل
طاحية والزبير من البصرة حيث شاءا ولا يعرض بعضهم لبعض حتي
يقدم علي . وروى ابن حكيم بن جبلة عارضهم حينئذ فقتل بعد
الصلح . وقدم علي البصرة وتدانوا ليرأوا فلم يتركبهم اصحاب
الاهواء ، وبادروا بارقة الدماء ، واشتجر الحرب وكثرت الغوغاء
علي البوعاء ، كل ذلك حتي لا يقع برهان ، ولا يقف الحال علي
بيان ، ويخفي قتلة عثمان . وان واحدا في جيش يفسد تدبيره
فكيف بالف ، وقد روى ان مروان لما وقعت عيذه في الاصطفاة
علي طاحية قال لا نطلب اثرا بعد عين ورماء بسهم فقتله ، ومن يعلم
هذا الاعلام الغيوب ، ولم ينقله ثبت . وقد روي اصابة سهم بأمر
مروان لا انه رماه . وقد خرج كعب بن سور بمصحف منشور
بيده ينادي الناس ان يريقوا دماءهم فاصابه سهم غرب فقتله ،
ولعل طاحية مثله ، ومعلوم ان عند الفتنة وفي ملحة القتال
يتمكن اولوا الاحن والحقود ، من حل العرى ونقض العهود ،
وكانت آجالا حضرت ، ومواعيد اتجزت ، فان قيل فلم خرجت
عائشة رضي الله عنها وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن في حجة الوداع

هذه ، ثم ظهور الحصر ، قلنا حدث حديثين امرآة ، فان ابت
 فاربعة ، يا عقول النسوان ، الم اعهد اليكم الاترووا احاديث
 البهتان ، وقد منا لكم على صحة خروج عائشة البرهان ، فلم تقولون
 ما لا تعلمون ، وتكررون ما وقع الا تفصال عنه كانكم لا
 تفهمون ، ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ،
 واما الذي ذكرتم من الشهادة على ماء الحوئب ، فقد يؤتم في
 ذكرها باعظم حوب ، ما كان قط شيء مما ذكرتم . ولا قال النبي
 صلى الله عليه وسلم ذلك الحديث ، ولا جرى ذلك الكلام ولا
 شهد أحد بشهادتهم ، وقد كتبت شهاداتكم بهذا الباطل وسوف
 تعلمون (١) قاصمة ودارت الحرب بين أهل الشام وأهل
 العراق ، هؤلاء يدعون الى علي (٢) بالبيعة وتاليف الكلية على
 الامام وهؤلاء يدعون الى التمكن في (٣) قتلة عثمان ويقولون
 لا نبايع من ياوى القتلة وعالي يقول لا امكن طالبا من مطارب
 ينفذ فيه مراده بغير حكم ولا حاكم ، ومعاوية يقول لا نبايع
 متبها بقتله او قاتله له وهو أحد من يطلب فكيف نركمه

(١) يخ تسلمون (٢) يخ في (٣) اهل الاولى من

أو نبايعه وهو خليفة عدا وتسور وذكروا في تفاصيل ذلك
كلمات آلت الى استفعال رسائل واستخراج اقوال وانشاء اشعار
وضرب امثال تخرج عن سيرة السلف يقرأها الخلف (١) وينبذها
الخلف (٢) ، عاصمة ❀ اما وجود الحرب بينهم فمعلوم قطعا . واما كونه
بهذا السبب فمعلوم كذلك قطعا ، واما الصواب فيه فمع شلي لان
الطالب للدم لا يصح ان يحكم ، وتهمة الطالب للقاضي لا يوجب
عليه ان يخرج عليه بل يطلب عندا فان ظهر له قضاء والا سكت
وصبر فكم من حق يحكم الله فيه . وان لم يكن له دين فحينئذ
يخرج عليه فيقوم له عذر في الدنيا . ولئن اتهم علي بقتل عثمان
فليس في المدينة أحد من اصحاب النبي الا وهو متهم به او قل معلوم
قطعا انه قتله لان الف رجل لا يغلبون اربعين الفا جاء والقتل
عثمان ، وهبك ان عليا وطاحا والزبير تظاهروا على قتل عثمان
فباقي الصحابة من المهاجرين والانصار ومن اعتد فيهم وضوى اليهم
ما ذا صنعوا بالعمود عن نصرته . ولا يخلو ان يكون لانهم رأوا
اولئك طلبوا حقا وفعلا حقا فلهذه شهادة قائمة على عثمان فلا كلام

لاهل الشام . وان كانوا قعدوا عنه استهزاء بالدين وانهم لم يكن لهم رأس في الحال ولا مبالاة عندهم بالاسلام ولا فيما يجري فيه من اختلال فهي ردة ليست معصية ، لان التهاون بمحدود الدين واسلام حرمان الشريعة للتضييع ككفر . وان كانوا قعدوا لانهم لم يروا ان يتعدوا حد عثمان واسارته فاي ذنب لهم فيه ، واي حجة لمروان و(١) عبدالله بن الزبير والحسن والحسين وابن عمر واعيان العشرة معه في داره يدخاؤون اليه ويخرجون عنه في الشك والاسلح ، والطالبون ينظرون ولو كان لهم (٢) بهم قوة او اووا الى ركن شديد لما مكنوا احدا ان يراه منهم (٣) ولا يداخله ، وانما كانوا نصارة ، فاقام في وجوههم الحسن والحسين وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ما جسروا ، ولو قتلوه ما بقي على الارض منهم حي ، ولكن عثمان سلم نفسه فترك ورايه ، وهي مسألة اجتهد كما قدمنا واي كلام كان يكون لعل لو كتبت (٤) عنده البيعة وحضر عنده ولي عثمان وقال له يا ايها الخليفة ، وما تعالى عليه الف نسمة حتى قتلوه وهم معلومون ، ما ذا كان يقول الا اثبت وخذ . وفي يوم كان يثبت

(١) الواو للحال والخبر قوله معه (٢) الضمير للطالبين (٣) الضمير للصحابة (٤) اقرب ما يظهر

الأن يثبتوا هم أن عثمان كان مستحقاً للقتل . وبالله لتعلمن يا معشر المسلمين أنه ما كانت تثبت على عثمان ظلم أبداً وكان يكون الوقت أمكن للطلب وارفق في الحال وأيسر وصولاً إلى المطلوب . والذي يكشف الغطاء في ذلك أن معاوية لما صار إليه الأمر لم يمكنه أن يقتل من قتلة عثمان أحداً إلا بحكم الأمر من قتل في حرب بتأويل أودس عليه فيما يقال حتى انتهى الأمر إلى زمان الحجاج . وهم يقتلون بالتهمة لا بالحقيقة . فتبين لكم أنهم ما كانوا في ملكهم يفعلون ما أصبحوا له يطلبون . والذي تحتاج به صدوركم أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر في الفتن وأشار وبين وأندرج بالخوارج وقال تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق . فبين أن كل طائفة تتعلق بالحق . ولكن طائفة علي أدنى إليه . وقال تعالى وأن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بنت أحدهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين . فلم يخرجهم عن الإيمان بالبغى بالتأويل، ولا سلبهم اسم الأخوة بقوله بعداً إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا

بين اخويكم . وقال في عمار تقتله الفئة الباغية . وقال في الحسن
ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من
المسلمين . فحسن له خلع نفسه واصلاحه . وكذلك يروى انه
اذن في الرؤيا لعثمان في ان يستسلم ويفطر عنده . الليلة . فهذه
كأها امور جرت على رسم النزاع ، ولم تخرج عن طريق من
طريق الفقه ، (١) ولا عدت سبيل الاجتهاد الذي يوجر فيه
المصيب بشرة والمخطئ اجرا واحدا . وما وقع من روايات في
كتب التاريخ عدا ما ذكرنا فلا تلتفتوا إلى حرف منها فانها
كلها باطله ❀ قاصمة التحكيم ❀ وقد تحكم الناس في
التحكيم فقالوا فيه مالا يرضاه الله . واذا لحظتموه بعين المروءة
دون الديانة رايتم انها سخافة حمل على سطرها في الكتب في
الاكثر عدم الدين ، وفي الاقل جهل متين . والذي يصح من
ذلك ما روى الاثمة كخليفة بن خياط والدارقطني انه لما خرج
الطائفة العراقية مائة الف والشامية في سبعين أو تسعين الفا ونزلوا
على الفرات بصفين اقتتلوا في اول يوم وهو الثلاثاء على الماء فغلب

اهل العراق عليه ثم اتفقوا يوم الاربعاء لسبع خلون من صفر سنة ١
ويوم الخميس ويوم الجمعة وليلة السبت ورفعت المصاحف من اهل
الشام ودعوا الى الصلح وتفرقوا على ان تجعل كل طائفة امرها الى
رجل حتى يكون الرجلان يحكمان بين الدعوتين بالحق فكان
من جهة علي ابو موسى ومن جهة معاوية عمرو بن العاصي
وكان ابو موسى رجلا تقيا ثقفا فقيها عالما حسب ما بينا
في كتاب سراج المريدين ارسله النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن
مع معاذ وقدمه عمر واثى عليه بالفهم . وزعمت الطائفة التاريخية
الركيكة انه كان ابله ضعيف الراي مخدوعا في القول وان ابن
العاصي كان ذا دهاء وارب حتى ضربت الامثال بدهائه تأكيدا لما
ارادت من الفساد . (٢) اتبع في ذلك بعض الجهال بعضا وصنفوا
فيها حكايات . وغيره (٣) من الصحابة كان احذق منه وادهى
وانما بنوا ذلك على ان عمر لما غدر ابا موسى في قصة التحكيم
صار له بذلك الذكر في الدهاء والمكر . وقالوا انهما لما اجتمعا
باذرح من دومة الجندل وتفاوضا اتفقا على ان يخلعا الرجلين فقال

(١) بياض قدم كلمة (٢) لعل الواو سقطت من الاصل (٣) الضمير لعمرو

عمر ولا بن موسى اسبق بالقول فتقدم فقال اني نظرت فخالت عليا
عن الامر وينظر المساهون لانفسهم كما خلعت سيفي هذا من
عنتي او من عاتقي واخرجه من عنقه فوضعه في الارض وقام عمرو
فوضع سيفه بالارض وقال اني نظرت فاثبت معاوية في الامر كما
اثبت سيفي هذا في عاتقي وتقلده فانكر ابو موسى فقال عمرو
كذلك اتفقنا وتفرق الجمع على ذلك من الاختلاف ❀ عاصمة ❀
قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه هذا كله كذب صراح ما جرى
منه قط حرف ، وانما هو شيء اخبر عنه المبتدعة ووضعت التاريخة
للملوك فتوارثته اهل المجازة والجهارة بمعاصي الله والبدع . وانما الذي
روى الائمة الثقات الاثبات انها لما اجتمعا للنظر في الامر في
عصبة كريمة من الناس منهم ابن عمر ونحوه عزل عمرو ومعاوية (١)
ذكر الدارقطني سنده عن حصين بن المنذر قال لما عزل عمرو ومعاوية
جاء فضرب فسطاطه قريبا من فسطاط معاوية فبلغ ثناه معاوية

(١) زاد في خ اخبرنا ابو الحسين الازدي عن العشاري عن الدارقطني ثنا ابراهيم بن
همام ثنا ابو يوسف الفلوسي يعقوب بن عبد الرحمن بن جرير ثنا الاسود بن شيبان
عن عبد الله بن مصارف (كذا) عن حصين بن المنذر قال لما عزل الج

فارسل اليه (١) فقال انه بلغني عن هذا (٢) كذا وكذا فاذهب
فاظر ما هذا الذي بلغني عنه فاتيتته فقلت اخبرني عن الامر الذي
وليت انت وابو موسى كيف صنعتما فيه قال قد قال الناس في
ذلك ما قالوا والله ما كان الامر على ما قالوا ولكن قلت لابي
موسى ما ترى في هذا الامر قال ارى انه في النفر الذين توفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض قلت فاین تجعلني انا
ومعاوية فقال انت يستعين بكما ففيكما معونة ، وان يستغن عنكما
فطالما استغنى امر الله عنكما قال فكانت هي التي قتل (٣) معاوية
منها نفسه فاتيتته فاخبرته ان الذي بلغه عنه كما بلغه فارسل الى ابي
الاعور الذكواني فبعثه في خيله فخرج يركض فرسه ويقول اين
عدو الله أين هذا الفاسق (٤) — قال ابوسف اظنه قال انما يريد
حوباء نفسه — فخرج (٥) الى فرس تحت فسطاطه فجال في ظهره
عريانا (٦) فخرج يركضه نحو فسطاط معاوية وهو يقول ان الضجور

(١) لعل الضمير الى حصين (٢) الاشارة الى عمرو (٣) كذا بالاصل ومعنى قتل
نفسه صرف نفسه ولعل المراد انه من هذه الكلمة فهم عزل عمرو اياه (٤) يريد
عمرا (٥) اي عمرو كانه لما سمع النداء (٦) في مخ عريا

قد تحتاب العلبة يا معاوية ان الضجور قد تحتلب العلبة فقال معاوية احسبه وتريد
الحالب فتدق انفه وتكفأ اناه . قال الدارقطني وذكر سنداً عدلاً (١)
ربيعي عن ابي موسى عن عمرو بن العاصي قال قال الله لئن كان ابوبكر وعمر تركا
هذا المال وهو يحل لهما منه شيء لقد غبنا ونقص رايهما وايم
الله ما كانا مغبونين ولا ناقصي الرأي . ولئن كانا امرأين يحرم
عليهما من هذا المال الذي اصبنا به بعدهما لقد هلكتا وايم الله ما
جاء الوهم الا من قبلنا . فهذا كان بدا الحديث ومنتهى . فاعرضوا
عن الفاوين ، وازجروا العاوين ، وعرجوا عن سبيل الناكثين ،
الى سنن المهتدين ، وامسكوا الالسنه عن السابقين الى الدين ،
واياكم ان تكونوا يوم القيامة من الهالكين ، بخصوصة اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد هلك من كان اصحاب
البنى خصمه . ودعوا ما مضى ، فقد قضى الله فيه ما قضى .
وخذوا لانفسكم الجد فيما يازمكم اعتقاداً وعملاً ، ولا تسترسلوا

[٤] وساق الحديث قال ثنا محمد بن عبد الله بن ابراهيم ودعلج بن احمد قالا حدثنا
محمد بن احمد بن النضر ثنا معاوية بن عمرو ثنا زائدة عن عبد الله بن عمر عن ربيع
البح هذا مخرج بالهامش على انه من الاصل وعليه لفظة صحيح

بالسنتكم فيما لا يعينكم مع كل ما جن (١) اتخذ الدين هملا ،
 فان الله لا يضيع اجر من احسن عملا ، ورحم الله الربيع بن
 خيثم . فانه لما قيل له قتل الحسين قال أقتلوه قالوا نعم فقال اللهم
 فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين
 عبادك الاية ولم يزد على هذا ابدا . فهذا (٢) العقل والدين والكف
 عن احوال المسلمين ، والتسليم لرب العالمين . قاصمة فان قيل
 انما يكون ذلك في المعاني التي تشكل ، واما هذه الامور
 كلها فلا اشكال فيها ، لان النبي صلى الله عليه وسلم نص على
 استخلاف علي بعده ، فقال انت مني بمنزلة هرون من موسى الا انه
 لا نبي بعدي اللهم وال من والاه واولاه وعاد من عاداه وانصر من نصره
 واخذل من خذله . فلم يبق بعد هذا خلاف لمعاند . فتعدى عليه
 ابو بكر واقتعد في غير موضعه ، ثم خلفه في التعدي عمر ، ثم رجا
 ان يوفق عمر للرجوع الى الحق فابهم الحال وجعلها شورى
 قصدا (٣) للخلاف الذي سمع من النبي صلى الله عليه وسلم ثم تحيل

[١] خ ناعق [٢] من فهذا الى العالمين مخرج بالهامش على انه من الاصل وعليه
 علامة الصحة [٣] الظاهر قصد الخلاف .

ابن عوف حتى ردها عنه الى عثمان ثم قتل عثمان لتسوره على الخلافة
وعلى احكام الشريعة وصار الامر الى علي بالحق الا لاهى النبوى
فنازعه من عاقده ، وخالف عليه من بايعه ، ونقض عهده من شده ،
وانتدب اهل الشام مع معوية الى الفسوق في الدين بل الكفر .
وهذه حقيقة مذهبهم ان الكل منهم كفرة ، لان من مذهبهم
التكفير بالذنوب . وكيف تقول هذه الطائفة التي تسمى
بالامامية ان كل عاص بكبيرة كانر على رسم القدرية ولا اعصا
من الخلفاء المذكورين ومن ساعدهم على امرهم واصحاب محمد احرص
الناس على دنياهم وحمايتهم على دين واهدمهم لقاعدة شريعة
عاصمة ❀ قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه يكفيك من شر
سماعه ، فكيف التمايل به . خمس مائة عام كلا الى يوم مقالي هذا لا
ينقص منها يوما ولا تزيد يوما وهو مهل شعبان سنة ست (١)
وخمسمائة ماذا يرجع بعد التمام الا النقص . ما رضيت النصارى واليهود
في اصحاب موسى وعيسى ما رضيت الروافض في اصحاب محمد صلى
الله عليه وسلم حين حجبوا عليهم بانهم قد اتفقوا على الكفر

[١] بالاصل بعد ست [ويلزم] ولم يظن لها معنى

والباطل . فما يرجي من هؤلاء وما يستبقى منهم . وقد قال الله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم . وهذا قول صدق ووعد حق وقد انقض عصرهم ولا خليفة فيهم ولا تمكين ولا أمن ولا سكون الا في ظلم وبعدي وعصب (١) وهرج وتشيت واثارة ثائرة . وقد اجمعت الامة على ان النبي صلى الله عليه وسلم ما نص على احد **يكون** من بعده . وقال (٢) قال العباس لعلي فيما روى عنه عبد الله ابنه قال عبد الله بن عباس خرج علي بن ابي صالب رضي الله عنه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجعه الذي توفي فيه فقال الناس يا ابا حسن كيف اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اصبح بمحمد الله بارئاً فاخذ بيد العباس بن عبد المطلب فقال له انت والله بعد ثلاث عبد العصا ولا في (٣) لا رى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف يتوفي من وجعه هذا انى لا عرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت . اذهب بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلنسئله فيمن يكون هذا الامر بعدا فان كان فينا علمنا ذلك وان كان في غيرنا علمناه فاوصى بنا فقال علي انا والله لئن سالناها

(١) او عصب (٢) كذا بالاصل والظاهر وقد قال (٣) الظاهر واني

رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده واني
 والله لا اسئلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال القاضي ابوبكر
 رضى الله عنه راي العباس عندي اصح واقرب الى الاخرة والتصريح
 بالتحقيق . وهذا يبطل قول مدعى الاشارة باستخلاف علي فكيف
 ان يدعى فيه نص فاما ابوبكر فقد جاءت امراة الى النبي فسألته
 شيئا فامرها ان ترجع اليه قالت له فان لم اجدك كانها تعنى
 الموت قال تجدني ابا بكر . وقال النبي لعمر وقد وقع بينه وبين
 ابي بكر كلام فتمعروجه النبي صلى الله عليه وسلم حتى اشفق من
 ذلك ابوبكر وقال النبي صلى الله عليه وسلم هل انتم تاركوني صاحبني
 مرتين اني بعثت اليكم فقامت كذبت وقال ابوبكر صدقت الا اني
 ابرا الى كل خليل من خاتمه وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو
 كنت متخذنا في الاسلام خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن
 اخي وصاحبني وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا لا يبقين في المسجد
 خوخة الا خوخة ابي بكر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم بينا انا
 نائم رايتني على قليب عليها دلو فرغت منها ما شاء الله ثم اخذها ابن
 ابي قحافة فرغ منها ذنوبا او ذنوبين وفي نزعها ضعف والله يغفر

له ثم استحوالت غربا فاخذها ابن الخطاب فلم ار عبقر يا من الناس
 ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن . وقد ثبت ان النبي
 صلى الله عليه وسلم صعد احدا و ابو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم
 فرجف بهم فقال اثبت احدنا عليك نبي وصديق وشهيدان .
 وقال صلى الله عليه وسلم انه كان فيمن كان قبلكم من بني
 اسرائيل رجال يكرهون من غير ان يكونوا انبياء فان يكن في
 احدى منهم احد فعمر . وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله
 عنها في مرضه ادع لي (١) ابا بكر واخاك حتى اكتب كتابا فاني
 اخاف ان يتمنى متمن ويقول انا اولى ويابي الله والمؤمنون الا
 ابا بكر . وقال ابن عباس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
 فقال يا رسول الله اني ارى اليلة في المنام ظاة تنطف السمن والعسل
 فارى الناس يتكففون بايديهم فالمستكشر والمستقل وارى سببا
 واصلا من السماء الى الارض فاراك اخذت به فملوت ثم اخذ به
 رجل اخر فانه قطع ثم وصل له فعلا . وذكر الحديث ثم عبرها ابو بكر
 فقال واما السبب الواصل من السماء الى الارض (٢) فالحق الذي

(١) الصواب في الرسم ادعى (٢) في الاصل شبه ضرب علي لفظ الارض

انت عليه فاخذته فيعليك الله ثم ياخذ به رجل اخر بعدك فيعلوبه
ثم ياخذ رجل اخر فيعلوبه ثم ياخذ رجل اخر فينقطع به (١)
ثم يوصل له فيعلوبه . وصح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ذات يوم من رأى منكم رؤيا فقال رجل انا رايت كان ميزانا
نزل من السماء فوزنت انت وابوبكر فرجحت ووزن ابوبكر وعمر
فرجح ابوبكر ووزن عمر وعثمان فرجح عمر ثم رفع الميزان
فراينا الكراهية في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذه
الاحاديث جبال في البيان ، وجبال في السبب الى الحق لمن وفقه
الله ولو لم يكن معكم ايها السنية الا قوله الا تنصروا فقد نصره
الله اذ اخرجهم الذين كفروا ثانيا اثنين فجعلها (٢) في نصيف وجعل
ابابكر في نصيف اخر وقام معه (٣) جميع الصحابة . واذا تبصرتم
هذه الحقائق فليس يخفى منها حال الخلفاء في خلاهم ولا يتهم
وترتيبهم خصوصا وعموما . وقد قال الله تعالى وعد الله الذين آمنوا
منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين
من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدانهم من بعد

(١) في الاصل لفظة من وهي زائدة (٢) اهل الضمير للامة (٣) في نسخ به

خوفهم انما يعبدونني لا يشركون بي شيئا . واذا لم ينفذ هذا الوعد في الخلفاء فلن ينفذ ، واذا لم يكن فيهم فيمن يكون . والدليل عليه انعقاد الاجماع انه لم يتقدمهم في الغضاية احد الى يومنا هذا وما بعدهم مختلف فيه فاولئك مقطوع بهم متيقن (١) امامتهم ثابت نفوذ وعد الله لهم فانهم ذبوا عن حوزة المسلمين وقامرا بسياسة الدين . قال علماءنا ومن بعدهم تبع لهم من الائمة الذين هم اركان الملة وديانهم الشريعة الناصحون لعباد الله ، الهادون من استرشد الى الله فاما من كان من الولاة الظلمة فضرورة مقصور (٢) على الدنيا واحكامها . واما حفاظ الدين فهم الائمة العلماء الناصحون لدين الله وهم اربعة اصناف . الصنف الاول . حفظوا اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بمنزلة الخزان لاقوات المعاش . الصنف الثاني . علماء الاصول ذبوا عن دين الله اهل العناد واصحاب البدع فهم شجعان الاسلام وابطاله المداعسون عنه في ازق الضلال . الصنف الثالث . قوم ضبطوا اصول العبادات ، وقانون المعاملات ، وميزوا المحللات من المحرمات ، واحكموا الخراج والديات ، ودينوا

معاني الايمان والندورات ، وفصلوا الاحكام في الدعاوي فهم
 في الدين بمنزلة الوكلاء المتطرفون (١) في الاموال . الصنف الرابع ،
 تجردوا للخدمة ، ودأبوا على العبادة ، واعتزلوا الخلق ، وهم في
 الآخرة كخواص المالك في الدنيا ، وقد اوضحنا في كتاب سراج
 المريدين في التسم الرابع من علوم القراءان اي المنازل افضل من
 هؤلاء الاصناف وترتيب درجاتهم ، قال القاضي ابوبكر رضي الله
 عنه وهذه كلها اشارات او تصريحات او دلالات او تنبيهات ،
 مجموع ذلك يدل على صحة ما جرى وتحقيق ما كان من العملاء ،
 ونقول بعد هذا البيان على مقام آخر لو كان هنالك نص على ابي
 بكر (٢) او على علي لم يكن بد من احتجاج علي به ، او يحتج له
 به على غيره من المهاجرين والانصار ، فاما حديث غدير خم فلا
 حجة فيه لانه انما استخلفه في حياته على المدينة كما استخلف موسى
 هرون في حياته عند سفره للنجاة على بني اسرائيل ، وقد
 اتفق الكل من اخوانهم اليهود على ان موسى مات بعد هارون
 فان الخلافة ، واما قوله اللهم وال من والاه فكلام صحيح ،

(١) الظاهر المتصرفين (٢) في خ يذكر او يذكر .

ودعوة مجابة . وما يعلم (١) احد عاداه الا الرافضة فانهم انزلوا في غير منزلته ، ونسبوا اليه ما لا يليق بدرجةه . والزيادة في الحق نقصان من المحدود . واو تعدى عليها (٢) ابوبكر ما كان المتعدى وحده بل جميع الصحابة كما قلنا لانهم ساعدوا على الباطل . ولا تستغربوا هذا من قولهم فانهم يقولون ان النبي كان مداريهم ومنحنيا (٣) بهم على نفاق وتقية . واين انت من قول النبي صلى الله عليه وسلم حين سمع قول عائشة رضي الله عنها مروا عمر فليصل بالناس . انك لا تتن صواحب يوسف مروا ابابكر . وقوله حين سمع صلاة عمر يا بني الله ذلك والمسلمون مروا ابابكر فليصل بالناس . وما قدمنا من ثلاث الاحاديث . لقد اقتمحوها عظيما ، ولقد افتروا كبيرا . وما جعلها عمر شورى الا قتداء بالنبي (٤) اذ قال ان استخلفت فقد استخلف من هو خير مني وان لم استخلف فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف . فما رد هذه الكلمات احد . وقال اجعلها شورى في النفر الذين توفي

(١) او نعلم احدا (٢) اي المنزلة او الدرجة وفيه عليه اي علي (٣) هذا اقرب ما ظهر [٤] كذا بالاصل وكتب بالهامش هكذا : صح باي بكر صح

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض . وقد رضي عن
 اكثر منهم ، ولكنهم كانوا خيار الرضا وشهد لهم بالا هلية
 للخلافة . واما قولهم تحيل ابن عوف حتى ردها لعثمان . فليكن
 كانت حيلة ولم يكن سواها فلأن الحول ليس اليه واذا كان
 عمل العباد (١) حيلة ولو كان القضاء بالحول (٢) فالحول والقوة لله ،
 وقد علم كل احد انه لا يليها الا واحد فاستبد عبد الرحمن بن عوف
 بالامر بعد ان اخرج نفسه على ان يجتهد للمسلمين في الاسد
 والاشد فكان كما فعل وولاهما من استحقها ولم يكن غيره
 اولى منه بها حسب ما بينا في مراتب الخلافة من انوار الفجر وفي
 غيره من الحديث ، وقتل عثمان فلم على الارض احق منها [٣]
 بعلي فجاءته على قدر في وقتها ومحلها ، وبين الله على يديه من
 الاحكام والعلوم ما شاء ان يبين ، قد قال عمر لولا علي هلك
 عمر ، وظهر من فقهه وعلمه في قتال اهل القبلة من استدعائهم
 ومناظرتهم وترك مبادرتهم [٤] والتقدم اليهم قبل نصب الحرب معهم

[١] هذا اقرب ما ظهر [٢] في خ بالحق وهي الظاهرة [٣] هذا مقلوب والاصل من علي
 بها [٤] خ مباداتهم

وندائه لا نبدا بالحرب ولا يتبع مول ولا يجهز على جريح ولا تهاج
امرأة ولم يغنم لهم مالا ، وامرأه بقبول شهادتهم والصلاة خلفهم
حتى قال اهل العلم لولا ما جرى ما عرفنا حكم قتال اهل البغي .
واما خروج طلحة والزبير فقد تقدم بيانه . واما تكفيرهم
للخلق فهم الكفار . وقد بينا احوال اهل الذنوب الذين ليس منها
سبر (١) في غير ما كتاب وشرحناها في كل باب . فان
قليل فقد قال العباس في علي ما رواه الأئمة ان العباس وعليا
اختصما عند عمر في شأن اوقاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
العباس لعمر يا امير المؤمنين اقض بيني وبين هذا الظالم الكاذب الغادر
الاثم الجائر (٢) . فقال الرهط لعمر يا امير المؤمنين اقض بينهما وارح
احدهما من الآخر فقال عمر انشد كما الله الذي باذنه تقوم السماء
والارض هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث
ما تركنا صدقة يريد بذلك نفسه قالوا قد قال ذلك فاقبل على
العباس وعلي فقال انشد كما الله هل تعلمان ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ذلك قالوا نعم . قال عمر ان الله خص رسول الله

(١) كذا بالاصل وهو غير مفهوم (٢) خ الخائن

صلى الله عليه وسلم في هذا الفيه بشيء لم يعطه احدا غيره فعمل
فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته ثم توفي فقال ابو بكر
انا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضها سنتين من امارته
فعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما تزعمان
ان ابا بكر كاذب غادر خائن والله يعلم انه لصادق بار راشد
تابع للحق وذكر الحديث . قلنا اما قول العباس لعلي فقول الاب
للابن وذلك على الرأس محمول ، وفي سبيل المغفرة مبذول ، وبين
الكبار والصغار فكيف الآباء والابناء مغفور موصول . واما قول
عمر انهما اعتقدا ان ابا بكر ظالم خائن غادر وكذلك اعتقدا
فيه فانما ذلك خبر عن الاختلاف في نازلة وقعت من الاحكام
رأى فيها هذان رأيا ، ورأى فيها اولئك رأيا . فيكم ابو بكر
وعمر بما رأيا . ولم ير العباس وعلي ذلك . ولكن لما حكما سلما
لحكمهما كما يسلم لحكم القاضي في المختلف فيه ، والمحكوم عليه
فرأى انه قد وهم ، ولكن سكوت وسلم ، فان قيل انما يكون ذلك
في اول الحال والامر لم يظهر اذا كان الحكم بانجتهاد وانما اذا (١)

هذا الحكم على منع فاطمة والعباس الميراث بقول النبي لا نورث ما تركنا صدقة . وعليه ازواج النبي واصحابه العشرة وشهدوا به فبطل ما قاتموه . قلنا يحتمل ان يكون ذلك في اول الحال والامر لم يظهر بعد رأيا ان خبر الواحد في معارضة القرآن والاصول والحكم المشهور في الزمن الذي لا يعمل به حتى يتقرر الامر (١) . فلما تقرر سلبا وانقادا بدليل ما قدمنا من الحديث الصحيح الى آخره فليُنظر فيه . وهذا ايضا ليس بنص في المسئلة لان قوله لا نورث ما تركنا صدقة يحتمل ان يكون لا يصح ميراثنا ولا انا اهل له لانه ليس لي ملك ولا تلبست بشيء من الدني ينتقل الى غيري غنى . ويحتمل لا نورث حكم ، وقوله ما تركنا صدقة حكم ، اخر معين اخبر به انه قد انفذ الصدقة فيما كان بيده من سهمه المتصير اليه بتسويغ الله له . وكانت من ذلك مخصوصا مما لم يرجف المساهون عليه بخيل ولا ركاب . وكان له سهمه مع المساهين فيما غنموا بما اخذوا غنوة ، ويحتمل ان يكون

(١) الظاهر ان لا يعمل به هر خبر ان فيبقى الموصول بدون صلة فعل لفظية الذي زائدة

صدقة منصوبا على ان يكون حالا من المتروك ، الى هذا اشار اصحاب
ابي حنيفة وهو ضعيف وقد بيناه في موضعه بيد انه ياتيك في
هذا ان المسئلة مجرى الخلاف ومحل الاجتهاد وانها ليست بنص
من النبي ، فتحمل التصويب والتخطئة من المجتهدين ، والله اعلم
❦ قاصمة ❦ ثم قتل علي ، قالت الرافضة فعهد الى الحسن فسلمها الحسن
الى معاوية فقبل له مسود وجوه المؤمنين ، وفسدته جماعة من
الرافضة ، وكفرته طائفة لاجل ذلك ، ❦ عاصمة ❦ قال القاضي
ابوبكر رضي الله عنه اما قول الرافضة انه عهد الى الحسن فباطل ما
عهد الى احد ولكن البيعة للحسن منعقدة ، وهو احق من معاوية
ومن كثير من غيره ، وكانت خروجه لمثل ما خرج اليه ابولا
من دعاء الفئة الباغية الى الانقياد الى الحق والدخول في الطاعة
فآلت الوساطة الى ان تخلي عن الامر صيانة لحقن دماء الامة ،
وتصديقا لوعد بني الملحمة ، حيث قال علي المنبر ابني هذا سيد ولعل
الله ان يصالح به بين فشتين خطيئتين من المسلمين . فنفذ الميعاد ،
ومحنت البيعة لمعاوية وذلك لتحقيق رجاء النبي صلى الله عليه وسلم ،
فمعاوية خليفة وليس بملك ، فان قيل فقد روى عن سفينة ان النبي

صلى الله عليه وسلم قال الخلافة ثلاثون سنة ثم يعود ملكا . فاذا
عددنا من ولاية ابي بكر الى تسليم الحسن كانت ثلاثين لا تزيد
ولا تنقص يوما . قلنا

خذ ما تراه ودع شيئا سمت به في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل
هذا الحديث في ذكر الحسن بالبشارة والثناء عليه لجريبات
الصلح على يديه . وتسليمه الامر لمعاوية عقد منه له . وهذا حديث
لا يصح ، ولو صح فهو معارض لهذا الصالح المتفق عليه فوجب
الرجوع اليه ، فان قيل الم تكن في الصحابة اقعد بالامر
من معاوية قلنا كثير ولكن معاوية اجتمعت فيه خصال وهي
ان عمر جمع له الشامات كلها وافرده بها لما رأى من حسن سيرته
وقيامه بحماية البيضة وسد الشغور واصلاح الجند والظهور على العدو
وسياسة الخلق ، وقد شهدته النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح الحديث
بالفقه وشهد بخلافته في حديث ام حرام ان ناسا من امته
يركبون ثبج هذا البحر الا خضر ملوكا على الاسرة او مثل
الملوك على الاسرة وكان ذلك في ولايته ، ويحتمل ان يكون
مراتب في الولاية خلافة ثم ملك فيكون ولاية الخلافة

لأربعة ، وتكون ولاية الملك لا ابتداء معاوية وقد قال الله في داود وهو خير من كل معاوية فاتاه الله الملك والحكمة فجعل النبوة ملكا . فلا تلتفتوا الى احاديث ضعف سندها ومعناها . ولو اقتضت الحال النظر في الامور لكأن والله اعلم رأي آخر للجمهور ، ولكن انعقدت البيعة لمعاوية بالصفة التي شاءها الله على الوجه الذي وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم مادحا له راضيا عنه راجيا هذنت الحال فيه لقول النبي صلى الله عليه وسلم ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح بين فئتين عظيمتين من المسلمين . وقد تكلم العلماء في امامة الفضول مع وجود من هو افضل منه . فليست المسئلة في الحد الذي يجعلها فيه العامة . وقد بينها في موضعها . فان قيل فقد قتل حجر بن عدي وهو من الصحابة مشهور بالخير صبرا اسيرا بقول زياد ، وبعثت اليه عائشة في امر لا فوجدته قد قات بقتله ، قلنا قلنا قتل حجر كانا واختلفنا فقائل يقول قتلته ظالما ، وقائل يقول قتلته حقا ، فان قيل الا صل قتلته ظالما الا ان ثبت عليه ما يوجب قتله ، قلنا الا صل ان قتل الامام بالحق فمن ادعى انه بالظلم فعليه الدليل ، ولو كان ظالما محضا لما بقي بيت الا لعن فيه

معاوية . وهذا مدينة السلام دار خلافة بني العباس ، وبينهم وبين بني أمية ما لم يخفف على الناس . مكتوب على ابواب مساجدها . خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم معاوية خال المؤمنين رضي الله عنهم . ولكن حاجر فيما يقال رأى من زياد امورا منكرا فخصبه وخلعه واراد ان يقيم الخلق للفتنة ، فجعله معاوية ممن سعى في الارض فسادا ، وقد كلمته عائشة في امره حين حج فقال لها دعيني وحجرا حتى نلتقي عند الله ، وانتم معشر المسلمين اولى ان تدعوها حتى يقفابين يدي الله مع صاحبهما العدل الامين ، المصطفى المكين ، وانتم (١) ودخولكم حيث لا تشعرون ، فما لكم لا تسمعون فان قيل قد دس على الحسن من سمه ، قلنا هذا محال من وجهين احدهما انه ما كان ليتقي من الحسن بأسا وقد سلم الامر ، الثاني انه امر مغيب لا يعايه الا الله ، فكيف تحملونه بغير بينة على احد من خلقه في زمان متباعد لم يثق فيه بنقل ناقل بين يدي قوم ذي اهواء ، وفي حال فتنة وعصبية ينسب كل واحد الى صاحبه ما لا ينبغي ، فلا يقبل

منها الا الصافي ، ولا يسمع فيها الا من العدل المصمم ، فان قيل فقد
عهد الى يزيد وليس بأهل ، وجرى بينه وبين عبد الله بن عمر
وابن الزبير والحسين ما قصه عن (١) وهب ابن جرير بن حازم
عن ابيه وعن غيره . لما جمع معاوية ان يبايع لابنه يزيد حج
فقدم مكة في نحو الف رجل فلما دنا من المدينة خرج ابن
عمر وابن الزبير وعبد الرحمن بن ابي بكر . فلما قدم معاوية المدينة
صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم ذكر ابنه يزيد فقال من احق
بهذا الامر منه ثم ارتحل فقدم مكة فقصى طوافه ودخل منزله
فبعث الى ابن عمر نتشهد وقال اما بعد يا ابن عمر فقد كنت
تحدثني انك لا تحب ان تبیت ليلة سوداء ليس عليك امير . واني
احذرك ان تشق عصا المسلمين وان تسعى في فساد ذات بينهم .
فلما سكنت تكلم ابن عمر فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فانه
قد كانت قبلك خلفاء لهم ابناء ليس ابنك بخير منهم ، فلم يروا في
ابنائهم ما رأيت في ابنك ، ولكنهم اختاروا للمسلمين حيث علموا
الخير . وانك تحذرنى ان اشق عصا المسلمين ولم اكن لا فعل . اما

(١) بياض قدر كلمة يظهر انها محيت قصدا

انا رجل من المسلمين ، فاذا اجتمعوا على امر (١) فأتنا انا واحد منهم
فخرج ابن عمر وارسل الى عبد الرحمن بن ابي بكر فتشهد ثم
اخذ في الكلام ، فقطع عليه كلامه . فقال انك والله لوددت
انا وكلناك في امر ابنك الى الله . وانا رايته لا نفعل ، والله
لتردنا هذا الامر شوري في المسلمين او لتفررنها عليك جدعة
ثم وثب فقام . فقال معاوية اللهم اكفه بما شئت . ثم قال على
رسلك ايها الرجل لا تشرفن لاهل الشام فاني اخاف ان يسبقوني
بفسك حتى اخبر العشية انك قد بايعت ، ثم كن بعد ذلك (٢) ما
بدا لك من امرك . ثم ارسل الى ابن الزبير فقال يا ابن الزبير انما
انت ثعلب رواج كلما خرج من جحر دخل في آخر ، وانك
عمدت الى هذين الرجلين فنفيخت في مناخرهما . فقال ابن الزبير
ان كنت قد مللت الامارة فاعتزلها وهلم ابنك فلنبايعه .
اريت اذا بايعنا ابنك معك لا يكما نسمع لا يكما نطيع لا تجتمع
البيعة لكما ابدا . ثم قام فخرج معاوية فصعد المنبر فقال انا وجدنا
احاديث الناس ذوات عوار ، وزعموا ان ابن عمر وابن الزبير

وابن ابي بكر لم يبايعوا يزيد . قد سمعوا واطاعوا وبايعوا له ، فقال
 اهل الشام لا والله لا نرضى حتى يبايعوا على رؤس الاشهاد
 والا ضربنا اعناقهم . فقال مه سبحانه الله ما اسرع الناس الى قریش
 بالشر . لا اسمع هذه المقالة من احد بعد اليوم . ثم نزل فقال الناس
 بايعوا ويقولون هم لم يبايع ويقول الناس قد بايعتم . وروى
 وهب من طريق آخر قال خطب معاوية فذكر ابن عمر فقال
 والله ليس بايعن اولا قتانه فخرج عبد الله بن عبد الله بن عمر الى ابيه
 وسار الى مكة ثلاثا واخبره فبكى ابن عمر فبلغ الخبر الى عبد
 الله بن صفوان فدخل على ابن عمر فقال اخطب هذا بكذا قال
 نعم قال فما تريد اتريد قتاله . قال يا بن صفوان الصبر خير من
 ذلك . فقال ابن صفوان والله لئن اراد ذلك لا قاتله . فقدم معاوية
 مكة فنزل (١) ذات طوى وخرج اليه عبد الله بن صفوان فقال
 انت الذي تزعم انك تقتل ابن عمر ان لم يبايع لا بك . قال
 انا اقتل ابن عمر ، انى والله لا اقتله ، وروى وهب من طريق ثالث
 قال ان معاوية لما راح عن بطن مر قاصدا الى مكة قال

لصاحب حرسه لا تدع احدا يسير معي الا من حملته . فخرج يسير وحده حتى اذا كان وسط الاراك لقيه الحسين بن علي فوقف وقال مرحبا واهلا بابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد شباب المسلمين . دابة لابي عبد الله يركبها . فاتي ببرذون فتحول عليه ، ثم طلع عبد الرحمن ابن ابي بكر ، فقال مرحبا واهلا بابن شيخ قريش وسيدهم وابن صديق هذه الامة . دابة لابي محمد يركبها فاتي ببرذون فركبه ، ثم طلع ابن عمر فقال مرحبا واهلا بصاحب رسول الله وابن الفاروق وسيد المسلمين ودعاه بدابة فركبها ، ثم طلع ابن الزبير فقال مرحبا واهلا بابن حواري رسول الله وابن الصديق وابن عمه رسول الله ودعاه بدابة فركبها ، ثم اقبل يسير بينهم لا يساير لا غيرهم حتى دخل مكة ثم كانوا اول داخل واخر خارج ليس في الارض صباح الا لهم فيه حياء وكرامة لا يعرض لهم بذكر شيء مما هو فيه حتى قضى نسكه وترحلت اثقاله وقرب مسيره الى الشام وانىخت رواحله فاقبل بعض القوم على بعض فقالوا ايها القوم لا تتخذوا انه والله ما صنع هذا بكم لحبكم ولا لكرامتكم ولا صنعه الا لما يريد فاعدوا له جوابا واقبلوا

على الحسين فقالوا انت يا ابا عبد الله قال وفيكم شيخ قریش
وسيدها وهذا الحق بالكلام فقالوا انت يا ابا محمد لعبد الرحمن بن ابي
بكر فقال لست هناك وفيكم صاحب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وابن سيد المسلمين يعني ابن عمر فقالوا لا بن عمر انت
فقال لست بصاحبكم ولكن ولوا الكلام ابن الزبير يكفكم
قالوا انت يا ابن الزبير قال نعم ان اعطيتموني عهدكم ومواثيقكم
ان لا تخالفوني كفتيكم الرجل فقالوا فاك ذلك فيخرج
الاذن فاذن لهم فدخلوا فتكلم معاوية فحمد الله واثنى عليه ثم قال
لقد علمتم سيرتي فيكم وصلاتي لا رحاءكم وصفحي عنكم وحملی لما
يكون منكم ويزيد ابن امير المؤمنين اخوكم وابن عمكم واحسن
الناس لكم رأيا وانما اردت ان تقدموا باسم الخلافة وتكونوا
انتم الذين تبرعون (١) وتأمرون وتحبون وتقسمون لا يدخل
عليكم في شيء من ذلك . فسكت القوم فقال لا تحيبوني
فسكت القوم فقال لا تحيبوني فسكتوا فاقبل على ابن الزبير
فقال هات يا ابن الزبير فانك لعمرى صاحب خطبة القوم فقال نعم

يأمر المؤمنين أخيرك بين ثلاث خصال أيها اخذت فهي لك رغبة
 قال لله أبوك اعرضهم قال انت شئت صنعت ما صنع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وان شئت صنعت ما صنع ابوبكر فهو خير هذه
 الامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وان شئت صنعت ما صنع
 عمر فهو خير هذا الامة بعد ابي بكر قال لله أبوك ما صنعوا قال
 قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستخلف احدا فارتضى
 المسلمون ابا بكر فان شئت ان تدع امر هذا الامة حتى يتخلى الله
 فيها (١) قضاءه فيختار المسلمون لانفسهم فقال ايه ليس فيكم اليوم
 مثل ابي بكر واني لا آمن دايكم الاختلاف . قال فاصنع كما صنع
 ابوبكر عهد الى رجل من قاصية قریش ليس من بني ابيه فاستخلفه
 قال لله أبوك ، الثالثة قال تصنع ما صنع عمر جعل الامر شورى في ستة نفر
 من قریش ليس احد منهم من ولد ابيه . قال عندك غير هذا . قال
 لا قال فانتم . قالوا ونحن ايضا قال اما لا فاني احببت ان اتقدم اليكم ،
 انه قد اعذر من انذر ، وانه كان يقوم القائم منكم الي فيكذبني
 على رؤوس الناس فاحتمل له ذلك . واني قائم بمقالة فان صدقت فلي

صدق وان كذبت فعلى كذبي . واني اقسم بالله لكم لئن رد علي انسان
منكم لا ترجع اليه كلمته حتى يسبقني الي رأسه ، ثم دعا بصاحب
حرسه فقال اقم على كل رجل من هؤلاء رجلين من حرسك فان
ذهب رجل يرد على كلمة بصدق او كذب فليضرباه بسيفيهما . ثم
خرج وخرجوا معه حتى رقى المنبر فحمد الله واشنى عليه ثم قال
ان هؤلاء الرهط سادة المسلمين وخيارهم لا يستبد بامر دونهم ولا
ينقضى امر الا عن مشورتهم وانهم ارتضوا وبايعوا اليزيد ابن امير
المؤمنين من بعده فبايعوا باسم الله فضربوا على يدا ثم جلس على راحلته
وانصرف فلقبهم الناس فقالوا زعمتم وزعمتم فلما ارضيتهم وحببتهم فعلمتم
قالوا انا والله ما فعلنا قال فما منعكم ان تردوا على الرجل اذ كذب
ثم بايع اهل المدينة والناس ثم خرج الى الشام . قال القاضي ابو
بكر رضي الله عنه لسنا يتظم (١) ولا تبلىغ (٢) بنا الجاهالة ولا لنا
في الحق حمية جاهلية ولا ننطوي على غل لا احد من اصحاب محمد صلى
الله عليه وسلم . بل نقول ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان

(١) في خ نكرو وهي ظاهرة بخلاف ما في الاصل (٢) خ بلغت

ولا تجمل في قلوبنا غلا للذين ءامنوا ربنا انك رؤوف رحيم الى (١)
ان نقول ان معاوية ترك الا فضل في ان يجعلها شورى ولا
يخص بها احدا من قرابته فكيف ولدا وان يقتدى بما اشار به عبد
الله بن الزبير في الترك او الفعل فعدل الى ولاية ابنه وعقد له البيعة
وبايعه الناس وتخلف عنها من تخلف فانعقدت البيعة شرعا لانها
تنعقد بواحد وقيل باثنين . فان قيل ان فيه شرط الامامة .
قلنا ليس السن من شروطها ولم يثبت انه يقصر يزيد عنها . قيل كان
منها العدالة والعلم ولم يكن يزيد عدلا ولا علما . قلنا وبأي شيء
تعلم عدم علمه او عدم عدالته ولو كان مساويا لهما لذكر ذلك
الثلاثة الفضلاء الذين اشاروا عليه بان لا يفعل وانما رموا الامر بعيب
التحكم وارادوا ان تكون شورى . فان قيل كان هالك من
هو احق منه عدالة وعلم منهم مائة وربما الف . قلنا امامة المفضول
كما قدمنا مسألة خلاف بين العلماء كما ذكر العلاء في موضعه . وقد

(١) اذا كانت الى متعلقة بتبليغ يصير المعنى لا تبليغ بنا الجمالة الى القول بان معاوية
ترك الا فضل . مع ان الظاهر من مساق كلامه ان يعترف بان معاوية عقد البيعة
للمفضول . فلعل لا سقطت والاصل الى ان لا نقول . فتأمل

حسم البخاري الباب ، ونهج جادة الصواب . فروى في صحيحه ما يبطل جميع هذا المتقدم . وهو ان معاوية خطب وابن عمر حاضر في خطبته فيما رواه البخاري عن ذكرومة بن خالد عن ابن عمر قال دخلت على حفصة ونؤساتها تنظف قات قد كان من امر الناس ما ترين فلم يجعل لي من الامر شيئا فالت الحق فانهم ينتظرونك واخشى ان يكون في احتباسك عنهم فرقة ، فلم تدعه حتى ذهب فلما تفرق الناس خطب معاوية فقال من كان يريد ان يتكلم في هذا الامر فليطلع لنا قرانه فلنحن احق به منه ومن ابيه قال حبيب بن ... فها لا اجبته . قال عبد الله فالت حبوتي وسممت ان اقول احق بهذا الامر منك من قاتاك واباك على الاسلام فخشيت ان اقول كلمة تفرق الجمع . وتسفك الدماء ، وتحمل عني غير ذلك فذكرت ما امد الله في الجنان فقال حفظت وعصمت . وروى البخاري ان اهل المدينة لما خلعوا يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده وقال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة . وانا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله ، واني لا اعلم غدرا اعظم من ان نبايع رجلا

على بيع الله ورسوله ثم ننصب له القتال وأنى لا أعلم احدا منكم
خلعه ولا بايع في هذا الامر الا كانت الفيل بينى وبينه . فانظروا
معشر المسلمين الى ما روى البخارى فى الصحيح والى ما سبق ذكرنا له من
رواية بعضهم ان عبد الله بن عمر لم يبايع وان معاوية كذب
وقال قد بايع (١) وتقدم الى حرسه يامر لا بضرب عنقه ان كذبه .
وهو قد قال فى رواية البخارى قد بايعنا على بيع الله ورسوله ،
وما بينهما من التعارض ، وخذوا لانفسكم بالارجح فى طلب
السلامة والخلاص من بين الصحابة والتابعين . فلا تكونوا ولم
تشاهدوهم وقد عصمكم الله من فتنتهم ممن دخل بلسانه في
دمائهم فبايع فيوما واوغ الكلاب بقية الدم على الارض بعد رفع
الفريسة باجمها لم يالحق الكلاب منها الا بقية دم سقط على الارض .
وروى الثبت المذل عن عبد الرحمن بن مهادى عن سفيان عن
محمد بن المنكدر قال قال ابن عمر حين بويع يزيد ان كان خيرا
رضينا وان كان شرا (٢) صبرنا . وثبت عن حميد بن عبد الرحمن قال
دخلنا على رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين

(١) زاد هنا في خ ووكل به من امره (٢) خ بلاء

استخاف يزيد بن معاوية فقال تتقوان ان يزيد بن معاوية ليس
 بخير امة محمد ، لا افقهها فيها فقهها ، ولا اعظمها فيها شرفا . وانا
 اقول ذلك ، ولكن والله لا تلتحمع امة محمد احب الى من ان
 تفترق . اريتم بابا دخل فيه امة محمد ووسعهم اكان يعجز عن رجل
 واحد لو كان دخل فيه . قلنا لا . قال اريتم لو ان امة محمد
 قال كل رجل (١) منهم لا اريق دم اخي ولا آخذ ماله اكان هذا
 يسعهم . قلنا نعم . قال نذاك ما اتول لكم ثم قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم لا ياتيكم من الحياء الاخير ، فهذه الاخبار الصراح
 كلها تعطيك ان ابن عمر كان مسلما في امر يزيد وانه بايع
 وعقد له والتزم ما التزم الناس ودخل فيها دخل المساهون وحرم على
 نفسه ومن اليه بعد ذلك ان يخرج على هذا او ينقضه . وظهر لك
 ان قول من قال ان معاوية كذب في قوله بايع ابن عمر ولم
 يبايع ، وان ابن عمر واصحابه سئلوا فقالوا لم يبايع . فقد كذب ، فقد
 صدق البخاري في روايته قول معاوية على المنبر ان ابن عمر قد
 بايع باقرار ابن عمر بذلك وتسليمه له وتماديته عليه . فأي الفريقين

أحق بالصدق أن كنتم تعلمون . الفريق الذي فيه البخاري ، أو الذي فيه غيره . فخذوا لأنفسكم بالأحزم والأصح ، أو اسكتوا من الكل . والله يتولى توفيقكم وحفظكم . والصاحب الذي كنى عنه حميد بن عبد الرحمن هو ابن عمر والله أعلم وإن كان غيره لا فقد أجمع رجالان عظيمان على هذا المقالة . وهي تعضد ما أصاناه لكم من أن ولاية المفضول نأخذها وإن كان هنالك من هو أفضل منه إذا عقدت له . ولما في حلها أو طلب الأفضل من استباحة مالا يباح وتشتيت الكفاية وتفريق أمر الأمة . فإن قيل كان يزيد خماراً ، قلنا لا يحل إلا بشاهدين فمن شهد بذلك عليه ، بل شهد العدل بعد الله ، فروى يحيى بن بكير عن الليث بن سعد قال الليث توفي أمير المؤمنين يزيد في تاريخ كذا فسلأ الليث أمير المؤمنين (١) بعد ذهاب ملكهم وانقراض دولتهم ، ولولا كونه عنده كذلك ما قال ألا توفي يزيد

(١) بهامش الأصل ما نصه : قال ابن أبي الفرات في تاريخه كنت عند عمر بن عبد العزيز فذكر رجل يزيد فقل قال أمير المؤمنين يزيد بن معاوية فقال قال أمير المؤمنين . وأمر بضربه عشرين سوطاً . انتهى نقله عنه الشيخ البناي في شرحه للسيرة الكونية فأعرفه اه الطائفة

فان قيل ، ولو لم يكن ليزيد الا قتله للحسين بن علي ، (١) قلنا يا اسفا
على المصائب مرة ، ويا اسفا على مصيبة الحسين الف مرة ، وان بولهم يجري
على صدر النبي صلى الله عليه وسلم ودمه يراق على البوغاء ولا يحقن
يا لله ويا للمساكين ، وان امثل ماروى فيه ان يزيد كتب الى الوليد
ابن عقبة ينعي له معاوية ويامر ان ياخذ له البيعة على اهل المدينة ،
وقد كانت تقدمت ، فدعا مروان فاخبره وقال له ارسل الى الحسين
ابن علي وابن الزبير فان بايعوا والا فاضرب اعناقهم ، قال سبحانه الله
تقتل الحسين بن علي وابن الزبير ، قال هو ما قول لك ، فارسل
اليهما فاتالا ابن الزبير فنعي له معاوية وساله البيعة ، فقال ومثلي
يبايع هاهنا ، ارق المنبر ابايعك وانا مع الناس علانية ، فوثب مروان
وقال اضرب عنقه فانه صاحب فتنة وشر فقال فانك هنالك يا ابن
(١) للامام ابن العربي في هذا الفصل من كلامه رأي قد انكره عليه الناس وكانوا
عليه قسمين : علماء ردوا عليه بعلم ولم يقولوه بما لم يقل ، واخرين زادوا على ذلك
بالتهويل والتشنيع حتى زعموا ان ابن العربي يبغض الحسين ويستحل دمه . اما
رأيه فقد وضحه توضيحا لا يحتاج الى زيادة بيان وهو متحمل تبعته . واما
بغضه للحسين فحاشاه ، انه وعباراته صريحة في شدة تعظيمه للحسين وشدة حزنه عليه
وقد وضعنا تحتها سطورا بارزة لنتبين لها .

الزرقاء واستبأ ، فقال الوليد اخرجاهما عني ، وارسل الى الحسين ولم يكلمه بكلمة في شيء وخرجا من عنده وجعل الوليد عليهما الرصد فاما دنا الصبح خرجا مسرعين الى مكة فالتقيا بها فقال له ابن الزبير ما يمنعك من شيعتك وشيعة ابيك فوالله لو ان لي مثاهم لذهبت اليهم . فهذا ماصح . وذكر المؤرخون ان كتب اهل الكوفة وردت على الحسين وانه ارسل مسلم بن عقيل ابن عمه اليهم لياخذ عليهم البيعة وينظر هو في اتباعه فنهاه ابن عباس واعليه انهم خذلوا اباہ واخاه واثار عليه ابن الزبير بالخروج فخرج فلم يبلغ الكوفة الا ومسلم بن عقيل قد قتل واسلمه من كان استدعاه ويكفيك بهذا عظمت لمن اتعظ فتمادي واستمر غضبا للدين وقياما بالحق . ولكنه رضي

الله عنه لم يقبل نصيحة اعلم اهل زمانه ابن عباس ، وعادل عن رأي شيخ الصحابة ابن عمر ، وطلب الابتداء في الانتهاء ، بالاستقامت في الاعوجاج ، ونضارة الشبيبة في هشيم الشيخة . ليس حواره مثاه ، ولا له من الانصار من يرعى حقه ، ولا من يبذل نفسه دونه . فاردنا ان نطهر الارض من خمر يزيد ، فارتنا دم الحسين . فجاءتنا

مصيبته لا يجبرها سرور الدهر، (١) وما خرج اليه احد الا بتأويل.

(١) للامام عبد الرحمن بن خلدون في فصل ولاية العهد من مقدمة تاريخه كلمة جليلة جامعة في هذا الموضوع الذي اخطأ فيه الامام بن العربي ننقلها هنا قال: «واما الحسين فانه لما ظهر فسق يزيد عند الكفاية من اهل عصره بعثت شيعة اهل البيت بالكوفة للحسين ان يأتيهم فيتموا بامرهم فرأى الحسين ان الخروج على يزيد متعين من اجل فسقه لا سيما من له القدرة على ذلك وظنها من نفسه بأهليته وشوكته فاما الاهلية فكانت كما ظن وزيادة واما الشريعة فغلط يرحمه الله فيها لان عصبية مضر كانت في قريش وعصبية قريش في عبد مناف وعصبية عبد مناف انما كانت في بني امية تعرف ذلك لهم قريش وسائر الناس ولا ينكرونه وانما نسي ذلك اول الاسلام لما شغل الناس من الزهول بالخوارق وامر الوحي وتردد الملائكة لنصرة المسلمين فاغفلوا امور عوائدهم وذهبت عصبية الجاهلية ومنزعتها ونسيت ولم يبق الا العصبية الطبيعية في الحماية والدفاع ينتفع بها في اقامة الدين وجهاد المشركين والدين فيها محكم والعادة معزولة حتى اذا انقطع امر النبوة والخوارق المهولة تراجع الحكم بعض الشيء للعوائد فعادت العصبية كما كانت ولما كانت واصبحت مضر اطوع لبني امية من سواهم بما كان لهم من ذلك قبل فتبين لك غلط الحسين الا انه في امر دنيوي لا يضره الغلط فيه واما الحكم الشرعي فلم يغلط فيه لانه منوط بظنه وكان ظنه القدرة على ذلك واقد عدله ابن العباس وابن الزبير وابن عمر وابن الحنفية اخوه وغيره في مسيرة الى الكوفة وعلما غلطه في ذلك ولم يرجع عما هو بسبيله لما اراده الله واما غير الحسين من الصحابة الذين كانوا في الحجاز ومع يزيد بالشام والعراق ومن التابعين لهم فرأوا ان الخروج على

ولا قاتله الا بما سمعوا من جدل المهين على الرسل ، انخبز بفساد الحال ، المحذر عن الدخول في الفتن ، واقواله في ذلك كثيرة ، منها قوله صلى الله عليه وسلم ، انها ستكون هناة وهناة ، فمن اراد ان يفرق امر هذه الامة وهو جميع فاضربوه بالسيف كأئنا من كان ،

يزيد وان كان فاسقا لا يجوز لما ينشأ عنه من الهرج والدماء فاتصروا عن ذلك ولم يتابعوا الحسين ولا انكروا عليه ولا أثموا لانه مجتهد وهو أسيرة المجتهدين ولا يذهب بك الغلط ان تقول بتأيم هؤلاء بمخالفة الحسين وقعودهم عن نصره فانهم اكثر الصحابة وكانوا مع يزيد ولم يروا الخروج عليه وكان الحسين يستشهد بهم وهو يقاتل بكر بلاء على فضله وحقه ويقول سلوا جابر بن عبد الله وابا سعيد الخدري وانس بن مالك وسهل بن سعيد وزيد بن أرقم وامثالهم ولم ينكروا عليهم قعودهم عن نصره ولا تعرض لذلك لعلمه انه عن اجتهاد منهم كما كان فعله عن اجتهاد منه وكذلك لا يذهب بك الغلط ان تقول بتصويب قتله لما كان عن اجتهاد وان كان هو على اجتهاد ويكون ذلك كما يحمد الشافعي ، والمالك ، الحنفي ، على شرب النبيذ واعلم ان الامر ليس كذلك وقتاله لم يكن عن اجتهاد هؤلاء وان كان خلافة عن اجتهادهم وانما انفرد بقتاله يزيد واصحابه ولا تقول ان يزيد وان كان فاسقا ولم يجوز هؤلاء الخروج عليه فافعاله عندهم صحيحة واعلم انه انما ينفذ من اعمال الفاسق ما كان مشروعا وقتال البغاة عندهم من شرطه ان يكون مع الامام العادل وهو مضمود في مسئلتنا فلا يجوز قتال الحسين مع يزيد ولا ليزيد بل هي من فعالاته المؤكدة لفسقه والحسن فيها شهيد مثاب وهو على حق واجتهاد والصحابة

فما خرج الناس الا بهذا وامثاله ولو ان عظيمها وابن عظيمها
وشريفها وابن شريفها الحسين يسعه بيته او ضيعته او ابله ، ولو
جاء الخلق يطلبونه ليقوم بالحق وفي جماعتهم ابن عباس وابن عمر -
لم ياتفت اليهم وحضره ما اندر به النبي صلى الله عليه وسلم وما قال
في اخيه ورأى انها قد خرجت عن اخيه ومعه جيوش الارض
وكبار الخلق يطلبونه ، فكيف ترجع اليه باوباش الكوفة وكبار
الصحابة ينهونه وينأون عنه . ما ادرى ما هذا الا التسليم لقضاء الله
والحزن على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية الدهر . واولا
معرفة اشياخ وانساب الامة بانه امر صرفه الله عن اهل البيت ،

الذين كانوا مع يزيد على حق ايضا واجتهاد وقد غلط القاضي ابو بكر بن العربي
المالكى في هذا فنقل في كتابه الذي سماه بالعواصم والقواصم ما معناه ان الحسين قتل
بشرع جده وهو غلط حمله عليه الغلاة عن اشتراط الامام العادل ومن اعدل من
الحسين في زمانه في امامته وعدالته في قتال اهل الآراء واما ابن الزبير فانه رأى في
مقامه ما رآه الحسين وظن كما ظن وغلطه في امر الشوكة اعظم لان بني أسد لا
يقاومون بني أمية في جاهلية ولا اسلام والقول بتعين الخطأ في جهة مخالفة كما كان
في جهة معاوية مع علي لا سبيل اليه لان الاجماع هنالك تضى لنا به ولم نجده
هاهنا»

وحال من الفتنة لا ينبغي لاحد ان يدخلها ما اسلموه ابدا . وهذا احمد بن حنبل على تقشفه وعظيم منزلته في الدين وورعه قد ادخل عن يزيد بن معاوية في كتاب الزهد انه كان يقول في خطبته . اذا مرض احدكم مرضا فاشفى ثم تماثل فلينظر الى افضل عمل عنده فليلزمه ، ولينظر الى اسوأ عمل عنده فليدعه . وهذا يدل على عظيم منزلته عنده حتى يدخله في جملة الزهاد من الصحابة والتابعين الذين يقتدى بقولهم ويرعوى من وعظهم . ونعم . وما ادخله الا في جملة ذكر الصحابة قبل ان يخرج الى ذكر التابعين . فان هذا من ذكر المؤرخين له في الحمر وانواع الفجور . الا تستحيون .

« بقية التعليق » وقال ابن العربي نفسه في كتاب الاحكام : « (المسألة العاشرة) لا نقاتل الا مع امام عادل يقدمه اهل الحق لا أنفسهم ولا يكون الا قرشيا وغيره لاحكم له الا ان يدعو الى الامام القرشي قاله مالك لان الامامة لا تكون الا لقرشي . وقد روى ابن القاسم عن مالك اذا خرج على الامام العدل خارج وجب الدفع عنه مثل عمر بن عبد العزيز فاما غيره فدعه ينتقم الله من ظالم بمثله ثم ينتقم من كليهما قال الله تعالى بعثنا عليهم عبادا لنا اولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا » وما كان يزيد مثل عمر بن عبد العزيز يقينا فمن كان من عذر لمن خرج معه لقتال الحسين . وهذا الذي نقلناه عن ابن العربي في كتاب الاحكام يرد قوله هنا في كتاب العواصم ويعضد رد الامام ابن خلدون عليه .

فاذا سلبهم الله المروءة والحياء الا ترعواون انتم وتزدجرون
وتقتدون بالاحبار والرهبان من فضلاء الامة ، وترفضون الملاحدة
والجنان من المنتمين الى الملة . هذا بيان للناس وهدى وموعظة
للمتقين والحمد لله رب العالمين . وانظروا الى ابن الزبير بعد ذلك
وما دخل فيه من البيعة له بمكة والارض كلها عليه . وانظروا
الى ابن عباس وعقله واقباله على امر نفسه . وانظروا الى ابن عمر
وسنه وتسليمه للدنيا ونبذها لها . ولو كانت للقيام وجه لكان اولى
بذلك عبد الله بن عباس . فان ولدى اخيه عبيد الله قد ذكرا (١)
انهما قتلا ظلما . ولكن رأى بعقله ان دم عثمان لم يخاص اليه فكيف
بدم ولدى عبيد الله ، وان الامر راهق قد خرجا
عنه حفظا للاصل وهو اجتماع امر الامة وحقن دماؤها وائتلاف
كلماتها ، ودع الامر يتولاها اسود مجدع حسب ما امر به صاحب
الشرع صلوات الله عليه وسلامه وكل منهم عظيم القدر مجتهد
فيما دخل فيه مصيب ما جور . والله فيهم حكم قد انفضه ، وحكم
في الآخرة قد احكمه وفرغ منه . فاقدروا هذه الامور مقاديرها .

وانظروا بما قابلها ابن عباس وابن عمر فقابلوها . ولا تكونوا من السفهاء الذين يرسلون السننهم واقلامهم بما لا فائدة لهم فيه ، ولا يغني من الله ولا من دنياهم شيئا عنهم . وانظروا الى الائمة الاخيار ، وفقهاء الامصار ، هل اقبلوا على هذه الخرافات ، وتكلموا في مثل هذه الحماقات . بل علموا انها عصبية جاهلية ، وحمية باطلة ، لا تفيد الا قطع الجبل بين الخلق ، وتشيت الشمل ، واختلاف الاهواء . وقد كان ما كان ، وقال الاخباريون ما قالوا فاما سكوت ، واما اقتداء باهل العلم وطرح لسخافات المؤرخين والادباء . والله يكمل علينا وعليكم النعماء برحمته ❀ نكتة ❀ وعجبا لاستكبار الناس ولاية بنى امية واول من عقد لهم الولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ولي يوم الفتح عثمان بن اسيد ابن ابى العيص بن امية مكة حرم الله وخير بلاده . وهو فتى السن قد اقبل اولم يقبل واستكتب معاوية بن ابى سفيان امينا على وحيه . ثم ولي ابوبكر يزيد بن ابى سفيان اخا الشام وما زالوا بعد ذلك يتوكلون فى سبيل المجد ، ويترقون فى درج العز ، حتى انتهتهم الايام الى منازل الكرام . وقد روى الناس احاديث فيهم لا اصل لها . منها حديث روية النبي بنى امية ينزون على منبره كالقردة

ففر عليه فاعطى ليلة القدر خير من الف شهر يملكها بنو امية . ولو
كان هذا صحيحا ما استفتح الحال بولايتهم ، ولا مكن لهم في الارض
بافضل بقاعها وهي مكة . وهذا اصل يجب ان تشد عليه اليد فان
قيل احدث معاوية في الاسلام الحكم بالباطل والقضاء بما لا يحل من
استلحاق زياد قلنا قد بينا في غير موضع ان استلحاق زياد انما كان
لاشياء صحيحة وعمل مستقيم نبينه بعد ذكر ما دعى فيه المدعون
من الانحراف عن الاستقامة اذ لا سبيل الى تحصيل باطلهم الا ب
خرق الباطل لا يرقع ، ولسانه اعظم منه فكيف (١) لا يقطع ، قالوا
كان زياد ينتسب الى عبيد الشقفي من سمية جارية الحرث بن كادة
واشترى (٢) عبيدا اياه بالف درهم فاعتقه . قال ابو عثمان النهدي
فكنا نغبطه . واستعمله عمر على بعض صدقات البصرة . وقيل بل
كتب لابي موسى فلما لم يقطع الشهادة مع الشهود على المغيرة
نجلدهم وعزله . وقال له ما عزلتك لخزية (٣) ولكني كرهت ان
احمل على الناس فضل عفاك . ورووا ان عمر ارسله الى اليمن في
اصلاح فساد فرجع وخطب الناس خطبة لم يسمع مثلها . فقال عمرو

(١) زاد في خ به (٢) يعني زيادا (٣) او خربة

ابن العاصي اما والله لو كان هذا الغلام قرشيا لساق الناس بعصا. فقال ابو سفيان والله اني لا عرف الذي وضعه في رحم امه فقال له علي ومن . قال انا . قال مهلا يابا سفيان . فقال ابو سفيان ابنياتا من الشعر .

اما والله لو لا خوف شخص (١) يراني ياعلي من الاعادي

لا ظهر امره صخر بن حرب ولم تكن (٢) المقالة عن زياد

وقد طالت محاتاتي ثقيفا وتركي فيهم ثمر الفؤاد

فذلك الذي حمل معاوية . واستعمله علي على فارس ، وحمي ، وحبا ، وفتح ، واصلاح ، وكاتبه معاوية يروم افساد فوجه بكتابه الى علي بشعر فكتب اليه علي اني وليتك ما وليتك وانت اهل لذلك عندي ، ولن يدرك ما تريد بما انت فيه الا بالصبر واليقين . وانما كانت من ابى سفيان فلة ، ومن عمر لا يستحق بها نسبا ولا ميراثا . وان معاوية ياتي المؤمن من بين يديه ومن خلفه ، فلما قرأ زياد الكتاب قال شهد لي ابو حسن ورب الكعبة ، فذلك الذي جراً زيادا ومعاوية عما صنعا ، ثم ادعاه معاوية سنة اربع واربعين وزوج معاوية ابنته من ابنه محمد وبلغ الخبر ابا بكر اخاه لأمه فآلى يمينه الا

(١) يعني عمر (٢) اقرب مظهر

يكلمه ابدا ، وقال هذا زني امه وانت في من ابنيه ، والله مارات سمية
 ابا سفيان قط ، وكيف يفعل بام حببية ، اراها فيهلك حرمة رسول
 الله ، (١) ان حجبته فضحته ، فقال زياد جزى الله ابا بكر خيرا
 فانه لم يدع النصيحة في حال ، وتكلم فيه الشعراء . ورووا عن سعيد
 بن المسيب انه قال اول قضاء كان في الاسلام بالباطل استلحاق زياد ،
 قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه قد بينا في غير موضع هذا الخبر
 وتكلمنا عليه بما يغني عن اعادته ولكن لا يد في هذه الحالة من بيان
 المتسود منه ، فنقول كل ما ذكرتم لانفسه ولا نشبهه لانه لا يحتاج
 اليه . والذي ندرجه حقا . ونقطع عليه علما ان زيادا من الصحابة
 بالمولد والرؤية لا بالتفقه والمعرفة . واما ابولا فما علمنا له ابا قبل
 دعوى معاوية على التحقيق ، وانما هي اقوال غائرة من المؤرخين ،
 واما شراؤا له فمراعاة (٢) الحضانة فانه حضنه عنه اذ دخل عليه فله
 نسب بالحضانة اليه ان كان ذلك ، واما قولهم ان ابا عثمان غبطة
 بذلك فهو بعيد على ابي عثمان ، فانه ليس في ان يبتاع احد حاضنته
 او ابا فيعتقه من المزية بحيث يغبطه عليه ابو عثمان وامثاله لان هذه

(١) لعل الواو سقطت (٢) يخ للحضانة

مرتبة يدركها الغني والفقير والشريف والوضيع ، ولا بذل من المال
ما يعظم قدره ، فيدري به قدر مرؤته في اهانتة الكثير العظيم ، في
صلة الولي الحميم ، وانما ساقوا هذه الحكاية ليجعلوا له ابا ويكون
بمنزلة من انتفى من ابيه ، واما استعمال عمر له فصحيح ، وناهيك
بذلك تزكية وشرفا ودينا ، واما قولهم ان عمر عزله لانه لم يشهد
بباطل ، بل روى انه لما شهد اصحابه الثلاثة وعمر يقول للمغيرة ذهب
ربعمك ذهب نصفك ذهب ثلاثة ارباعك ، فلما جاء زياد وقال (١) له
انى اراك صبيح الوجه وانى لا رجوا ان لا يفضح الله على يديك
رجلا من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، واما خطبته التي ذكرها
انه عجب منها عمر فما كان عنده فضل علم ولا نصيحة يفوق بها عمر
فمن فوقه او دونه ، وقد ادخل له الشيخ (٢) المفتري خطبا ليست
في الحد المذكور ، واما قولهم ان ابا سفيان اعترف به وقال شعرا فيه
فلا يرتاب ذو تحصيل في ان ابا سفيان لو اعترف به في حياة عمر لم يخف
شيئا ، لان الحال لم يكن يخلو من احد قسمين ، اما ان يرى عمر
الاطمته (٣) به كما روي عنه في غيره فيمضي ذلك او يرد ذلك فلا

(١) يعني عمر (٢) يعني به الجاحظ (٣) اي الحاقة

يلزم ابا سفيان شيء باقتراف ما كان في الجاهلية . فذكرهم هذه
الحكاية المختصرة الباردة المتهاففة الخارجة عن حد الدين والتحصيل ،
لا معنى لها . واما تولية علي له فتزكية . واما بعث معاوية اليه ليكون
معه فصحيح في الجملة واما تفصيل ما كتب معاوية او كتب زياد به الى
علي او جابوب به علي زيادا فهذا كله مصدوع . واما
قول علي انما كانت من ابي سفيان فلتة لا يستحق بها نسبا ؛ فلو صح
لكان ذلك شهادة كما روى عن زياد ؛ ولم يكن ذلك بمبطل لما
فعل معاوية ؛ لانها مسألة اجتهاد بين العلماء فرأي علي شيئا ورأي
معاوية وغيره غير . واما نكتة الكلام ❦ وهو القول في استلحاق
معاوية زيادا واخذ الناس عليه في ذلك . واي اخذ عليه فيه ان
كان سمع ذلك من ابيه . واي عار علي ابي سفيان في ان يليط
بنفسه ولد زنا كان في الجاهلية ؛ فمعلوم ان سمية لم تكن لابي
سفين ؛ كما لم تكن وليدة زمعة لعتبة . لكن كان لعتبة منازع تعين
القضاء له ولم يكن لمعاوية منازع في زياد . اللهم ان هاهنا نكتة تختلف
العلماء فيها . وهي ان الاخ اذا استلحق اخا يقول هو ابن ابي ولم يكن
له منازع . بل كان وحده فقال ملك يرث ولا يثبت النسب في

وقال الشافعي في احدى القولين يثبت النسب وياخذ المال . هذا اذا كان المقر به غير معروف النسب . واحتج الشافعي بقول النبي صلى الله عليه وسلم هو لك يا عبد بن زمة ، الولد للفراش والاباء للحجر فقضى بكونه للفراش واثبات نسبة (١) . قلنا هذا جهل عظيم . (٢) وذلك ان قوله ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى بكونه للفراش صحيح . واما قوله بثبوت النسب فباطل . لان عبدا ادعى سببين احدهما الاخوة والثاني ولادة الفراش . فلو قال النبي صلى الله عليه وسلم هو اخوك الولد للفراش . لكان اثباتا للحكم وذكرنا للعادة . بيد ان النبي صلى الله عليه وسلم عدل عن الاخوة ولم يتعرض لها . واعرض عن النسب ولم يصرح به . وانما في الصحيح في لفظ هو اخوك . وفي آخر هو لك . معناه فانت اعلم به . وقد مهدنا ذلك في مسائل الخلاف . فالحرث بن كادة لم يدع زيادا ، ولا كان اليه منسوباً وانما كان ابن امته ولد على فراشه اي في داره فكل من ادعاه فهو له الا ان يعارضه من هو اولى به منه . فلم يكن على معاوية في ذلك مغرر ، بل فعل فيه الحق على مذهب ملك . فان قيل فلم انكر عليه الصحابة .

(١) خ النسب (٢) غفر الله لك لا ينبغي ان يواجه مثل الشافعي بمثل هذه الشدة من الكلام

قلنا لا نها مسئلة اجتهاد . فمن رأى ان النسب لا يلحق بالوارث الواحد انكر ذلك وعظمه . فان قيل ولم لغنوه وكانوا يحتجون بقول النبي صلى الله عليه وسلم . ملعون من انتسب لغير ابيه او انتمى الى غير مواليه . قلنا انما لغنه من لغنه لوجهين احدهما لانه اثبت نسبه من هذا الطريق . ومن لم ير لغنه لهذا لغنه لغيره . وكان زياد اهلا ان يلعن عندهم لما احدث بعد استلحاق معاوية . فان قيل جعل النبي صلى الله عليه وسلم للزنا حرمة ، ورتب عليها حكما حين قال احتجبي منه يا سودة . وهذا يدل على ان الزنا يتعلق به من حرمة الوطئي ما يتعلق بالنكاح الصحيح . هكذا قال الكوفيون . ومالك في رواية ابن القسم يساعدهم على المسئلة ولا يساعدهم على دليلها . من هذا الوجه . وقد بينها في كتاب النكاح . وقال الشافعي العذر في امر النبي صلى الله عليه وسلم لسودة بالاحتجاب مع ثبوت نسبه من زمعه وصحة اخوته لها بدعوى عبد ان ذلك تعظيم لحرمة ازواج النبي صلى الله عليه وسلم لانهن لم يكن كاحد من النساء في شرفهن وفضلهن . قلنا لو كان اخاها بنسب ثابت صحيح كما قلتم ، ويكون قول النبي صلى الله عليه وسلم الولد للفرش تحقيقا للنسب ، لما منع صلى الله عليه

وسلم سودة منه كما لم يمنع عائشة رضي الله عنها من الرجل الذي قالت هو اخي من الرضاعة - وانما قال انظرن من اخوانكن . واما (١) روى عن سعيد بن المسيب فاخبر عن مذهبه في ان هذا الاستلحاق ليس بصحيح - وكذلك راي غيره من الصحابة والتابعين . وقد صارت المسئلة الى الخلاف بين الامة وفقهاء الامصار ، فخرجت من حد الانتقاد الى حد الاعتقاد - وقد صرح ملك في كتاب الاسلام وهو الموطا بنسبه فقال في دولة (٢) بني العباس (٣) زياد بن ابى سفيان ولم يقل كما يقول المخاذل زياد ابن ابيه - هذا على انه لا يرى النسب يثبت بقول واحد - ولكن في ذلك فقه بديع لم يفتن له احد - وهو انها لما كانت مسئلة خلاف ونفذ الحكم فيها باحد الوجهين لم يكن لها رجوع - فان حكم القاضي في مسائل الخلاف باحد القولين يرضيها ويرفع الخلاف فيها - والله اعلم - واما روايتهم ان عمر قال كرهت ان احمل فضل عقاك على الناس - فهذه زيادة ليس لها اصل ، من ناقص عقل - واي عقل كان لزياد يزيد على الناس في ايام عمر وكل (٤) واحد من الصحابة كان اعقل من زياد

(١) لعل الاصل ما روى وبسقطت ما . (١) اي وهو في ايامهم (٣) خ ان (٤) وعلام كل واحد

واعلم منه . ولهذا كل من كمال عقله اكثر من الاخر فهو اولى ان يختلط
مع الناس . ويقولون انه كان داهية . وهي كلمة داهية . الدهاء
والارب هو المعرفة بالمعاني ، والاستدلال على العواقب بالمبادي . وكل
احد من الصحابة والتابعين فوق زياد . وتلك البرودات التي يروي
المؤرخون من كذبهم في حيل الحرب والفتك بالناس كل احد اليوم
يقدر على مثلها واكثر منها . والحيلة انما تكون بديمة وتشنا وتروى
اذا وافقت الدين ، واما كل حكاية تخالف الدين فليس في روايتها
خير ولا عتل ، وكل الناس كما قدمنا — وخذ من ولا لا بنى امية
خاصة — اعقل من زياد وافصح منه ، فلا تلتفتوا الى ما روى من
الباطيل ، ❀ نكته ❀ الولايات والعزلات لها معاني وحقائق
لا يعاها كثير من الناس ، لقد علمتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مات عن زهى اثني عشر الفا من الصحابة معلومين منهم الفان
اونحوها مشاهير في الجلالة ، ولى منهم ابو بكر سدا و ابا عبدة
ويزيد و خالد بن الوليد وعكرمة بن ابي جهل ونفرا غيرهم فوقهم ،
وولى انس بن مالك ابن عشرين سنة على البحرين اقتداء بالنبي صلى
الله عليه وسلم في عتاب ، ومتي كان استوفى المشيخة حتي ياخذ الشبان

وولى عمر ايضا كذلك وبادر بعزل خلد ، وذلك كله لفقه عظيم
ومعارف بديعة بيانها فى موضعها من كتب الامامة والسياسة من
الاصول فخذوا فى غير هذا فليس هذا الباب مما تلوكه اشداق اهل
الاداب واما ما روى عن معوية انه استدعى شهودا فشهد السلولى وسواه ،
فسل من الحق ما روى عن السلولى فانه لم يكن قط . واسعد باسقاط ما روى فى
القصة سعيدا وسعدا واما كلام ابى بكر (١) لانه فيه فخير ضائر له لان ذلك
راى ابى بكر لا واجتهاد . واما قولهم فيها عن ابى بكر انه زنى امه ، فلو
كان ذلك صحيحا لم يضر امه ما جرى فى الجاهلية فى الدين . فان الله
عنا عن اهل الجاهلية كلها بالاسلام ، واسقط الاثم والعار منه فلا
يذكره الا جاهل به . قال القاضي ابو بكر رضى الله عنه والناس
اذا لم يجدوا عيبا لاحد وغلبهم حسدهم عليه وعداوتهم له احدثوا
له عيوباً ، فاقبلوا الوصية ، ولا تلتفتوا الا الى ما صح من الاخبار .
واجتنبوا كما ذكرت لكم اهل التواريخ . فانهم ذكروا عن السلف
اخبارا صحيحة يسيرة ليتوسلوا بذلك الى رواية الا باطيل . فيقتدوا
كما قدمنا فى قلوب الناس مالا يرضاه الله تعالى ، وليحتقر السلف

ويهوّنوا الدين . وهو اعز من ذلك . وهم اكرم منا . فرضى الله عن جميعهم . ومن نظر الى افعال الصحابة تبين منها بطلان هذا الهتوك التي يخلق اهل التواريخ فيدسونها في قلوب الضعفاء ، وهذا زياد لما احس المنية استخلف سمرة بن جندب من كبار الصحابة فقبل خلافته . وكيف يظن به على منزلته انه يقبل ولاية ظالم لغير رشدة ، وهو على ما هو عليه من الصحبة ، وذلك من غير اكراه ولا تقية ، ان هذا هو الدليل المبين ، فمع من تحبون ان تكونوا ، مع سمرة بن جندب ، او مع المسعودي والمبرد وابن قتيبة ونظرائهم ، وهذا غاية في البيان ، قاصمة كانت الجاهلية مبنية على العصبية ، متعاملة بينها بالحمية ، فلما جاء الاسلام بالحق ، وظهر الله منته على الخلق ، قال سبحانه ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وقال لنبيه « لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم ، فكانت ببركة النبي صلى الله عليه وسلم يجمعهم ويجمع شملهم ويصلح قلوبهم ويمحو صفائهم ، واستأثر الله برسوله صلى الله عليه وسلم ونفرت النفوس وتماسكت الظواهر منجرة (١) مادام الميزان قائما ، فلما رفع الميزان

كما تقدم ذكره في الحديث اخذ الله القلوب عن الالفه ، ونشر
 جناحا من التقاطع حتى سوى جناحين بقتل عثمان فطار في الافاق ،
 واتصل الهرج الى يوم المساق ، وصارت الخلائق عزيزين في كل واد
 من العصبية يهيمون ، فمنهم بكريه ، وعمرية ، وعثمانية ، وعلوية ،
 وعباسية ، كل يزعم ان الحق معها وفي صاحبها والباقي ظلوم غشوم ،
 مقتتر من الخير عديم وليس ذلك بمذهب ، ولا فيه مقالة ، وانما هي
 حماقات وجهالات او دسائس للضلالات . حتى تضحل الشريعة
 وتهزأ الماحدة من الملة ، ويلهو بهم الشيطان ويلعب ، وقد سار بهم
 في غير مسير ولا مذهب قالت البكرية ابو بكر نص عليه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في الصلاة ورضيته الامة للدنيا ، وكان عند النبي
 صلى الله عليه وسلم بتلك المنزلة العليا والمحبة الخالصة ، وولي فعدل ،
 واختار فاجاد . الا انه او هم في عمر فان امره غليظ وفضاضته غلبت .
 وذكروا معاييب . واما عثمان فلم يخف ماعمل ، وكذلك علي . واما
 العباس فغير مذكور . وقالت العمرية اما ابو بكر ففاضل ضعيف ،
 وعمر امام عدل قوي بمدح النبي صلى الله عليه وسلم في حديث
 الرؤيا والدلو والعقري كما تقدم . واما عثمان فخارج عن الطريق

ما اختار واليا ، ولا وفى احدا حقا ؛ ولا كف اقاربه ؛ ولا اتبع سنن من كان قبله . واما علي فخرشي علي الدماء ؛ لقد سمعت في مجالس ان ابن جريج كان يقدم عمر علي ابي بكر ؛ وسمعت الطرطوشي يقول لو قال احد بتقديم عمر لتبعته ؛ قالت العثمانية عثمان له السوابق المتقدمة ؛ والفضائل والفواضل في الذات والمال ؛ وقتل مظلوما ؛ وقالت العلووية علي ابن عمه وصهره وابو سبطى النبي صلي الله عليه وسلم وولد النبي حضنة ؛ وقالت العباسية هو ابو النبي صلي الله عليه وسلم واولاهم بالتقديم بعدا ؛ وطولوا في ذلك من الكلام مالا معنى لذكر دنائته ؛ ورووا احاديث لا يحل لنا ان نذكرها لعظيم الافتراء فيها ودناءة رواتها ؛ واكثر الملاحدة علي التعلق باهل البيت وتقدمة علي علي جميع الخلق ؛ حتى ان الرافضة انقسمت الى عشرين فرقة اعظمهم بأسا من يقول ان عليا هو الله ؛ والغرابية يقولون انه رسول الله ؛ لكن جبريل عدل بالرسالة عنه الى محمد حمية منه معه في كفر بارد لا يسخنه الاحرارة السيف ؛ فاما دفء المنظرة فلا يوثر فيه عاصمة ؛ انما ذكرت لكم هذا لتحترزوا من الخلق ؛ وخاصة من المفسرين والمؤرخين واهل الآداب ؛ فانهم اهل

جهالة مجرمات الدين ، او على بدعة مصرين . فلا تبالوا عما رووا ولا تقبلوا رواية الا عن ائمة الحديث . ولا تسمعوا لمورخ كلاما الا للطبرى وغير ذلك هو الموت الاحمر ، والداء الاكبر ، فانهم ينسئون احاديث فيها استحقار الصحابة والسلف والاستخفاف بهم ، واختراع الاسترسال فى الاقوال والافعال عنهم ، وخروج مقاصدهم عن الدين الى الدنيا ، وعن الحق الى الهوى . فاذا قطعتم اهل الباطل واقتصرتم على رواية العدول سلمتم من هذه الحبائل ، ولم تطووا كشحا على هذه الغوائل . ومن اشد شيء على الناس جاهل عاقل ، او مبتدع محتال ، اما الجاهل فهو ابن قتيبة فلم يبق ولم يذر للصحابة رسما فى كتاب الامامة والسياسة ان صح عنه جميع ما فيه . وكالمبرد فى كتابه الادبي . وابن عقلة من عقل ثعلب الامام المتقدم فى اماليه . فانه ساقها بطريقة ادبية سالمة من الطعن على افاضل الامة . واما المبتدع المحتال فالمسعودي . فانه ياتي منه متاخذه (١) الاحاد فيها رواه من ذلك ، واما البدعة فلا شك فيه . فاذا صنعتكم واسماعكم وابصاركم عن مطالعة الباطل ، ولم تسمعوا فى خليفة ممن نسبت اليه مالا يليق

ويذكر مالا يجوز فعلاه ، كنتم على منهج السلف سائرين ، وعن
سبيل الباطل ناكبين . فهذا ملك رضي الله عنه قد احتج بقضاء
عبد الملك بن مروان في موطاه وبرزه في جملة قواعد الشريعة ، وقال
في رواية عن زياد بن أبي سفيان فنبهه اليه وقد علم قصته . ولو كان
عندنا ما يقول العوام حقا لما رضي ان ينسبه ولا يذكره في كتابه الذي
اسسه للاسلام . وقد جمع ذلك كله في ايام بني العباس والدولة لهم
والحكم بايديهم فما غيروا عليه ولا انكروا ذلك منه لفضل علومهم
ومعرفتهم بان مسألة زياد مسألة قد اختلف الناس فيها فمنهم من جوزها
ومنهم من منعها . فلم يكن لا اعتراضهم اليها سبيل وكذلك اعجبهم
حين قرا الخليفة على ملك الموطا ذكر عبد الملك بن مروان فيه وان كان
بقضائه . لانه اذا احتج العلماء بقضائه (١) فسيحتج لقضائه (٢) ايضا
مثله . واذا طعن فيه طعن فيه بمثله . وخرج البخاري عن عبد الله
ابن دينار قال شهدت ابن عمر حيث اجتمع الناس على عبد الملك بن
مروان كتب اني اقر بالسمع والطاعة لعبد الملك امير المؤمنين على
منة الله وسنة رسوله ما استطعت ، وان بندي قد اقروا بمثل ذلك .

(١) اي عبد الملك (٢) اي الخليفة العباسي

وهذا المأمون كان يقول بخلق القرآن وكذلك الواثق واطهروا بدعتهم وصارت مسألة معلومة . اذا ابتدع القاضي والامام هل تصح ولايته (١) وتنفذ احكامه ام هي مردودة . وهي مسألة معروفة . وهذا اشد من برودات اصحاب التواريخ من ان فلانا الخليفة شرب الخمر او غنى او فسق وزنا ، فان هذا القول في القرآن بدعة او كفر على اختلاف العلماء فيه قد اشتهروا به وهذه المعاصي لم يتظاهروا بها ان كانوا فعلوها فكيف يثبت ذلك عليهم باقوال المغنين (٢) والبراد من المورخين قصدوا بذكر ذلك عنهم تسهيل المعاصي على الناس ؛ وليقولوا اذا كان خلفاؤنا يفعلون هذا فما يستبعد ذلك منا . وساعدتهم الرؤساء على اشاعة هذه الكتب وقراءتها لرغبتهم في مثل افعالهم حتى صار المعروف منكرا والمنكر معروفا ؛ وحتى سامحوا للجاحظ ان تقرأ كتابه في المساجد . وفيها من الباطل والكذب والمنكر (٣) ونسبة الانبياء الى انهم ولدوا لغير رشدة كما قال في اسحق صلى الله عليه وسلم في كتاب الضلال والتضلال (٤) وكما مكنوا من قراءة كتب الفلاسفة في انكار الصانع ؛ وابطال الشرائع . لما لوزرائهم وخواصهم

(١) في الاصل او (٢) هذا اقرب ما ظهر (٣) اقرب ما ظهر (٤) يريد كتاب البيان للجاحظ

في ذلك من الاغراض الفاسدة ؛ والمقاصد الباطلة . فان زل فقيهه ؛
او اساء العبارة عالم يكن ما اساء النار في راس ككبها . وبالوقوف على
هذه الفصول تحسن نياتكم (١) ؛ وتسلم عن التغير قلوبكم على من
سبق . وقد بينت لكم انكم لا تقبلون على انفسكم في دينار بل في
درهم الا عدلا برياً من التهم سليماً من الشهوة . فكيف تقبلون في
احوال الساف وما جرى بين الاوائل من ليس له مرتبة في الدين
فكيف في العدالة . فرجم الله عمر بن عبد العزيز حيث قال وقد
تكلموا في الذي جرى بين الصحابة تلك امة قد خلت لها ما كسبت
ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون . ❀ قاصمة وعاصمتها ❀
قال النبي صلى الله عليه وسلم انزل القرآن علي سبعة احرف فافقروا
ما تيسر منه . عظم الناس هذا الحديث وتكلموا علي معناه واختلفوا فيه .
وقد بينت اقوالهم وحررت مقاطع الكلام في جزء مفرد وقع منشورا
حيث ماجاء الكلام عليه من الامالي . ومعنى الكلام ان الله وسع
علي هذه الامة واذن للصحابة في ان يقرأ كل احد بما استطاع من
لغته ولذلك اذن لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وهشام بن حكيم

في قراءتهما وكانا قرشين واذن لابي بن كعب الانصاري في القراءة بان يقرأ كل واحد منهما بما كان قرأ . قال ابي فدخل قلبي ما لم يدخله قط مذ اسمت فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقراءوا ما تيسر منه واستمرت الحال هكذا حياة النبي رخصة من الله وتوسعة على الخلق . اذ لو كلفوا ان يقرأوا اللغة (١) التي نزل القرآن بها وهي لغة قريش لنفر قوم وشق على آخرين . والشرعية سمحة ولم يزل جبريل يتعاهد النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان ويدارسه ، حتى كان العام الذي توفي فيه دارسه مرتين . فيقال النبي صلى الله عليه وسلم ارى اجلى قد حضر . والنبي يضبط كل الذي يدارسه به ويمليه على كتابه وبتبديله في الصحف ثم استأثر الله برسوله صلى الله عليه وسلم واشتعلت الفتنة واشتعلت الصحابة بتمهيد الاسلام ، وتوطيد الدين ، وتاليف القلوب على شعائر الاسلام . فلما كان يوم اليمامة في عهد ابي بكر واستبحر القتل بالقراء قال زيد بن ثابت فارسل الي ابوبكر فجئته فاذا عمر عندا فقال لي ابوبكر ان عمر جاءني فقال ان القتل قد استبحر بقراء القرآن ، واني

أخشى أن يستحر القتل بهم في المواطن كلها فيذهب قرءان كثير .
 وذكر الحديث المتقدم في ذكر عثمان رضي الله عنه إلى قوله ووجدت
 آخر سورة التوبة عند خزيمة بن ثابت . فنفذ وعد الله في ذلك بالحفظ
 على يدي شرفي الإسلام ، وكريمي الدنيا والآخرة ، وسيدي كهول
 أهل الجنة من الأولين والآخرين . وكان هذا أصلاً في استعمال
 الرأي في الدين ، والحكم من المصالح والمعاني بما لم يكن ذكره
 النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما كان زمان عثمان تمم هذا البقية على
 يديه . فجاءه حذيفة وكان يغازي فتح أرمينية وأذر بيجان فقال يا أمير
 المؤمنين أدرك الناس قبل أن يخذلوا في القرءان كما اختلفت اليهود
 والنصارى . وكانت الصحف الأولى قد استقرت عند أبي بكر
 ثم عند عمر ثم عند حفصة فإرسل عثمان إلى حفصة أن أرسل (١) إلى
 بالمصحف لنسخها في المصاحف ثم ردها إليك . فأرسلت حفصة إلى
 عثمان بها . فأرسل عثمان إلى زيد بن ثابت وسعيد بن العاصي وعبد
 الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الله بن الزبير أن انسخوا الصحف
 في المصاحف فبعث عثمان إلى كل أفتى بمصحف . وقال زيد فقدت آية من

سورة الاحزاب كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فوجدتها مع خزيمة ابن ثابت ، قال الزهري فاختلفوا يومئذ في التابوت او التابوه فبقا عثمن اكتبوه بالتاء فان القراءان نزل بلغة قریش - وكتبت المصحف ووجه بها عثمان الى الآفاق - انتهى الحديث الصحيح - ثم روى بعد ذلك انه كتب سبع مصاحف مصحف مكة والبصرة والمكوفة والشام واليمن والبحرين وحبس عنده واحدا - فاما مصحف اليمن والبحرين فلم يسمع لهما خبر • ويروى انه ارسل ثلاثة مصاحف الى الشام والعراق واليمن • وروى انه ارسل اربعة الى الشام والحجاز والمكوفة والبصرة وحبس واحدا عنده • وهو الاصح • وكانت هذه المصاحف تذكرة لئلا يضيع القراءان وتبصرة لئلا يضل الخلق بالاختلاف • فانهم لو قرءوا آخر كما كانت قراءتهم اولاً لم ينضبط الامر وكان الخرق يتسع والاختلاف يقع فنسخ الاجماع السرفق المتيسر في اول الاسلام بالمصلحة المتحققة آخر في ضبط الامر وردة الى القانون الذي نزل القراءان عليه فكانت المصاحف اصلاً ، وكانت القراءة رواية اقراء الصحابة التابعين • وكان نقل المصحف الى نسخه

علي النخعي الذي كانوا يكتبونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كتابة
 عثمان وزيد وابن وسواهم من غير نقط ولا ضبط . واعتمدوا هذا
 النقل ليبقى بعد جمع الناس علي ما في المصحف نوع من الرفق في
 القراءة باختلاف الضبط ، وفي أثناء النقل اختلفت المصاحف في احرف
 يسيره اربعة او خمسة ثم زاد الامر الى ان اختلفت القراءة (١) في
 زيادة اربعين حرفا منها واو والف وياء . واما كلمة فلم يكن الا في
 حرفين احدهما في التوبة والاخر في الحديد . فان الله هو الغني الحميد
 بزيادة هو قرأت الجماعة الا نافعا وابن عامر . وهذا امر يسير لا يؤثر
 في الدين ولا في حفظ القرآن . وقد رويت احرف كثيرة زيدت
 من غير هذه الروايات المعروفة . فان قيل فهذه الروايات المعروفة
 ما شانها ، هل عندك بيانها . قلنا نعم قد تكلم عليها العلماء ، وتعاطاها
 من اهلها من ليس من اهلها كما جرى في كل علم . فذكر ابو حاتم
 القراءة وقراءاتهم واسقط حمزة والكسائي وابن عامر وزاد عشرين
 . جلا . وجمع ابو عبيد قراءات ، وجمع اسماعيل القاضي ، وجمع ابن
 مجاهد وعد يعقوب من السبعة ثم اسقطه بعد (٢) ان تكلم فيه

وذكر الكسائي والكسائي من حمزة كيعقوب من ابني عمرو .
وقد قرأ ابو عمر على ابن كثير ، وقد ذكر الطبري في (١) كتاب
القراءات وذكر نحواً من عشرين قارياً . ذلك كله لتعلموا ان ضبط
الامر على سبع قراء ليس له اصل في الشريعة . وقد جمع قوم ثمانى
قراءات ، وقد جمع آخرون عشر قراءات . — والا صل في ذلك
كله عندي — ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قال انزل القراءات على
سبعة احرف انقسم الحال بقوم ، فظن جاهلون انها سبع قراءات ،
وهذا مالا يصح في علم عالم . وتبين آخرون بهذا اللفظ فقالوا
تعال فلنجمع سبع قراءات . وكانت الامصار حجة وقد جمع قراؤها
وقراءتها حتى خطر هذا الخاطر لمن خطر فجمع السبع وهو ابن مجاهد
وذكر يعقوب فاسقط بالسلطان ، وذكر الكسائي ، والزمت
المملكة ذلك للناس فجرى القول فيه كذلك ، وجرت القراءة على
حرف ابني عمرو بالعراق الى اليوم . ولما ظهرت الاموية على المغرب
وارادت الانفراد عن العباسية وحدثت (٢) المغرب على مذهب
الاوزاعي فاقامت في قولها رسم السنة ، واخذت بمذهب اهل

(١) اقرب ما ظهر (٢) الظاهر وجدت

المدينة في (١) فقههم وقرأتهم ، وكانت اقرب من اليهم قراءة ورش ، فحملت روايته (والزم الناس بالمغرب حرف نافع ومذهب ملك فجروا عليه وصاروا لا يتعدونه وحمل حرف قالون الى العراق فهو فيه اشهر من ورش . وكذلك هو فان اسماعيل القاضي نولا بذكر قالون . فاما ورش فلم يحمل عنه من له ظهور في العلم . ودخلت بعد ذلك الكتب وتوطدت الدولة فاذا في سائر العلوم وترامت الحال الى ان كثرت الروايات في هذه القراءات . وعظم الاختلاف حتى انتهت في السبع الى (٢) الف وخمسمائة رواية ، وفي شاذ السبع الى) نحو الخمس مائة . واكتب الخلق على الحروف ليضبطوها فاهملوها ، وليحصروها فارسلوها الى غير غاية . واراد بعضهم ان يردها الى الاصل فقرأ بكل لغة وقال هذه لغة بني فلان وهذه لغة بني فلان . قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه ، وبعد ان ضبط الله الحروف والسور لا تبالون بهذه التكيلفات ، فانها زيادات في التشغيب وخالية من الاجر ، بل ربما دخلت في الوزر . ولقد انتهى التكليف بقوم الى ان رووا في بعض سور

القرءان التهليل والتكبير . وما ثبت ذلك قط عن عدل ولا نقل
 في صحيح . وانتهت الحال ببعضهم الى ان يرون البسمة عند كل
 ابتداء كان في اول السورة اولم يكن ، حين راى بعضهم قد قال لا
 نبسمل الا في سورة مخصوصة ، يتصل اول سورة بآخر اخرى على
 التضاد في فصل بالبسمة . وغفل عن نوع كثير من القرءان من
 ذلك كان ينبغي ان يبسمل فيه او يستعيز لئلا يتصل الشيء بنقيضه
 في المعنى . فلئن قال ان قوله في آخر الفجر وادخل جنتي لا بد ان
 يقول بسم الله الرحمن الرحيم ، وحينئذ لا اقسام لئلا يتصل قولك لا
 بقولك ادخل جنتي . يقال له فكيف يتصل قوله وكذلك حقت
 كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار الذين يحملون العرش
 ومن حوله ، وهذا لازم . حتى انتهت الجاهالة الى البدعة بقوم فكان
 المقرئ منهم بمكة في عشر الخمس مائة يبسمل في سورة براءة ويتلوا
 ويرويه . وهذه بدعة خرقت اجماع الصحابة والامة ، وهو ككله
 كذب موضوع . يلزم روايتها الادب ، وقائلها الاستتابة . كيفية
 القراءة اليوم قال بعضهم نقرا بما اجتمعت فيه ثلاثة شروط ما
 صح نقله ، وضح في العربية لفظه ، ووافق خط المصحف . وقال

اسماعيل القاضي ما وافق خط المصحف يقرأ به . وهذا كله انما
اوجبه ان جمع السبع لم يكن باجماع ، وانما كان باختيار من
واحد أو أحد . والمختار ان يقرأ المسلمون على خط المصحف بكل
ما صح في النقل ولا يخرجوا عنه ولا يلتفتوا الى قول من يقول
نقرأ السورة الواحدة او القراء بحرف قارئ واحد . بل يقرأ بأبني
حرف اراد . ولا يلزمه ان يجعل حرفا واحدا ديدانه ولا اصله .
والكل قراء صحيح . وضم حرف الي حرف وقارئ الي قارئ ، ليس
له في الشريعة اصل . وما من القراء واحد الا وقد قرأ بما قرأ به
الآخر . وانما هذه اختياراتهم . وليس يلزم اختياراتهم احدا فانهم
ليسوا بمعصومين ولا دل دليل على لزوم قول واحد من الصحابة
فكيف بهؤلاء القراء . ولكن لما صارت هذه القراءة صناعة رفرقوا
عليها وناضلوا عنها وافنوا اعمارهم من غير حاجة اليهم فيها ، فموت
احدهم وقد اقام القراء كما يقام القدح لفظا ، وكسر معانيه كسر
الاناء فلم يلتئم عليه منها معنى . ولا فرق بين ان يقرأ كتاب ابي
عبيد او الطبري . وهي خير من كتاب ابن مجاهد واصح . فعلي
احدهما عولوا ان اردتم النظر في شيء من ضبط الحروف ، فان

قيل فما صح سنده من القراءان وخالف خط المصحف ، ماذا ترون .
 قلنا لا يقرأ به بحال فان الاجماع قد انعقد على تركه ، الا ترى الى
 ابن مسعود ، كره نسخ زيد بن ثابت للمصحف وقال يامعشر المسلمين
 اعزل عن نسخ كتابة المصحف ويتولاها رجل والله لقد اسلمت وانه
 لفي صلب رجل كافر . يريد زيد بن ثابت . وقال ابن مسعود ياهل
 العراق ان الله يقول ومن يغفل يات بما غل يوم القيامة . وانا غال
 مصحفى فمن استطاع منكم ان يغفل مصحفه فليفعل . فكره ذلك
 من مقالة ابن مسعود رجال من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وفي رواية اتامرونى ان اقرأ على قراءة زيد ولقد حفظت من فى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا سورة وانه لفي صلب كافر . قلنا هذا
 كاه صحيح وقد بينا انه كان يقرأ هو وابي وزيد وعمر وهشام وكل
 احد والنبي يقرئى الكل . ثم حدث من الامر كما قدمنا ، واستقرت
 الحال كما بينا . فكان الواجب على ابن مسعود وسواه ان يرجع
 الى المتفق عليه . ولا حجة لابن مسعود على عثمان فى اختياره
 لزيد ، فان ابا بكر وعمر قد اختاراه وعبد الله بن مسعود حي
 حاضراً وسواه ، واعلموا بهذا وغيره ان عثمان مظلوم فى كل ما يؤخذ

عليه فيه فان (١) اقتدى بمن سبقه من الخلفاء ثم يخص باللامة دونهم .
وهذا من فساد الناس وقلة انصافهم . ❀ سبب الاختلاف ❀ وقد
قال بعض الناس ان سبب اختلاف القراء بعد خط المصحف ان
الناس كانت لهم قبل ارسال عثمان المصاحف قراءات فلما ردوا الى
خط المصحف التزموا ذلك فيما كان محفوظا وقرأ كل واحد بما كان
عنده ملفوظا مما لم يعارض الخط وهذا ممكن ظاهر . والذي (٢)
قلناه هو الاصل الذي يعول عليه . والله الموفق للصواب برحمته .
والذي اختاراه لنفسى اذا قرأت ، اكثر الحروف المنسوبة الى قالون
الا اهتمز فاني اتركه اصلا الا فيما يحيل المعنى او يلبسه مع غيره او
يسقط المعنى باسقاطه . ولا اكسر باء بيوت ، ولا عين عيون فان
الخروج من كسر الى ياء مضمومة لم اقدر عليه . ولا اكسر ميم مت .
وما كنت لامد مد حمزة ، ولا اقف على الساكن وقفته . ولا اقرأ
بالادغام الكبير لابي عمرو ولو رواه في تسمين الفا قراءة .
فكيف في رواية بحرف من سبعة احرف ولا امد ميم ابن كثير .
ولا اضم هاء عايهم واليههم وذلك اخف . وهذه كلها او اكثرها عندي

(١) كذا بالاصل والظاهر فانه (٢) هو قوله سابقا والمختار الخ

لغات لا قراءات لانها لم يثبت منها عن النبي صلى الله عليه وسلم شي .
 واذا تأملتها رأيتها اختيارات مبنية على معان ولغات (١) واقوى
 القراءات سندا قراءة عاصم عن ابن عبد الرحمن عن علي ، وعبد الله
 بن عامر . فما اجتمع رواة هؤلاء عليه فهو ثابت وقراءة ابي جعفر
 ثابتة صحيحة لا كلام فيها . وطلبت اسانيد الباقيين فلم اجد فيها
 مشهورا ، ورأيت امرها على اللغات وخط المصحف مبني . والله
 اعلم . ❀ قاصمت ❀ ولما نزلت هذه العواصم منازلها ، واصابت من
 القواصم شواكلها ، وخلصت العقائد من شبهاتها في قواعدها ،
 وحملت سائر حملها (٢) على معاقدها التي ربطناها لها ، واستمين عليها
 بما قرره العلماء في كتبهم ، وبما اوماننا نحن اليه في تعالقنا —
 عطفنا عنان القول على مصائب نزلت بالعلماء في طريق الفتوى .

(١) بهامش الاصل ما نصه : قال العلامة المجيد سيدي محمد بن غازي (بياض) على
 البخاري ما نصه لعل تقف على كلام القاضي ابي بكر بن العربي في كتاب العواصم
 والقواصم حيث طعن في بعض المقارئي السبعة فاعطه الاذن الصماء فانيد الله مع الجماعة .
 وقد حدثنا الاستاذ ابو عبد الله الصغير عن شيخه الاستاذ ابي العباس بن ابي موسى
 الفيلاي انه كان يحذر من ذلك كثيرا انتهى فاعرفه لكاتبه احمد بن عبد الله السوسي
 غفر الله له بفضلته ورحمته امين انتهى ما بهامش (٢) الظاهر جعلها

وقد كانت على مرتبتها (١) في الصدر الاول ثم انزلت حتى كثرت البدع ، وذهب العلماء ، وتستررت المبتدعة بالشريعة فتعاطت منصب الفقهاء ، وتعلقت اطماع الجهال بها فنالوها بفساد الزمان وبنفوذ وعد الصادق في قوله اتخذ الناس رؤسا جهالا ففسلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا . ونحن نعقد في ذلك عواصم يكون رشدا من الضلال ، وساما من الخبال ، ويقينا من الخيال . وذلك يبين في تعداد القواصم واتباعها في عواصمها . ❀ قاصمت ❀ في حكاية سبب هذا الخبال . فان من عرف السبب امكنه دفع المسبب بقطع سببه . واما تنج السبب مع ابقاء سببه كما كان قبل قطعه . (٢) وكان سبب ذلك ان الفتن ضربت رواقها ، وتقاتلت العباسية والاموية ، وبعدت اقطار الاسلام ، وتعذر ضبطها بالنظام ، وانتشرت الرعية ، ونفذ الى هذه البلاد بعض الاموية ، فالتى هاهنا عصبية . فثاروا به واظهر الحق وقال احي السنة فلا فقه الا فقه اهل المدينة ولا قراءة الا قراءتهم . فالزموا الناس العمل بمذهب ملوك والقراءة على قراءة نافع ولم يمكنهم من النظر والتخيير

(١) الضمير يعود الى الفتوى (٢) جواب اما ساقط من الاصل فيقدر بلا يفيد ونحوه

في (١) مقتضى الادلة متى خرج ذلك عن رأي اهل المدينة .
 وذلك لما رأوه من تعظيم ملك لسلفهم ، ولما ارادوه من صرف
 القلوب اليهم في تعلقهم بسيرة حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ودار نبوته ومقر سنته . فصار التقليد دينهم ، والاقتداء يقينهم .
 فكما جاء احد من المشرق بعلم دفعوا في صدره ، وحقروا من
 امره الا ان يستتر عندهم بالمالكية ، ويجعل ما عنده من علوم على رسم
 التبعية ، منهم بقي بن مخلد ، رحل فلقبي علماء الامة وسادة العلم
 ورفعاء الملة كاحمد بن حنبل . واکرم فارتبط ، وظفر فاغبط .
 وحل (٢) بعلم عظيم ودين قوي ، ولم يكن له ان يرتبط بمذهب احد
 وقد كان رقى في العلم يفاغه مع تفتن في العلوم ومنة في نفسه .
 وجاء ابن وضاح بمثله . فاما بقي بن مخلد فكان مهجورا حتى
 مات واما ابن وضاح فلقبي سخنوت وتشرف باصحاب ملك وتتلذذ
 ليحيى بن يحيى واعمان المطالب ليفي (٣) شهادة فكانه رقى المنازل وطار
 في الدولة بجناح . وبقيت الحال هكذا فماتت العلوم الا عنه آحاد في
 (٤) جرى من الحديث . واستمرت القرون على موت العلم وظهور

(١) خ على (٢) او صدرا و واحد (٣) هذا اقرب ما ظهر (٤) او خبي

الجهل فكل من تخصص لم يقدر على اكثر من ان يتعلق ببسطة
الظاهر فيقول اتبع الرسول فكان هذا عوناً على الباطل وذلك بقدر
الله وقضائه . ثم حدثت حوادث لم يلقوها في منصوصات المالكية
فنظروا فيها بغير علم فتأهوا وجعل الخلف منهم يتبع في ذلك السلف
حتى آلت الحال ان لا ينظر الى قول ملك وكبراء اصحابه ويقال
قد قال في هذه المسئلة اهل قرطبة واهل طلمنكة واهل طلبيرة
واهل طليطلة فانتقلوا من المدينة وفقهائها الى طلبيرة وطريقها .
(١) وحديث ❀ قاصمة ❀ اخرى في تعلم العلم فصار الصبي عندهم
اذا عقل فان سلكوا به امثل طريقة لهم علموا كتاب الله فاذا
حذقه نقلوه الى الادب فاذا نهض منه حفظوا الموطا فاذا لقنه نقلوه
الى المدونة ثم ينقلوه الى وثائق ابن العطار ثم يختصون له باحكام
ابن سهل فقال قال فلان الطليطلي وفلان المجريطي وابن مغيث
لا اغاث الله ندالا ، ولا انا له رجاء ، فيرجع القهقري ابدا الى (٢)
ورأي (٣) الى امة الهاوية . ولولا ان طائفة نفرت الى دار العلم

(١) كذا بالاصل والظاهر وحدثت وقاصمة فاعل (٢) اقرب ما ظهر من المحو (٣)
كذا بالاصل ولعل الظاهر وراء

وجاءت بلباب منه كالاصيلي والباجي فرشت من ماء العلم على هذه
القلوب الميتة ، وعطرت انفاس الامة الزفرية ، لكان الدين قد ذهب .
هذا مع انه قد رحل قوم من الضلال كمسامة بن قاسم ومحمد بن مسرة
جاءوا بكل مضرة ومعرة . ورحل البلوطي فلقبي الجبائي وجاء ببدعة
القدرية في الاعتقاد ، ونحلة الداودية في الاعمال . ولكن تدارك
الباري بقدرته ضرر هؤلاء بنفع اولئك ، وتماسكت الحال قليلا .
فاذا حلت بمسلم نازلة في اعتقاده لقي قاصمة الدهر من عقائد البلوطي
ومسامة وابن مسرة فاشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وراولا (١)
انهم لا يالونه تحقيقا وبرهانا . او يصادف في دينه العملي داوديا
فاذا بدينه قد تدود ، ونظام شرعه قد تبدد . فان لقي مالكيها وهي
اشبه الحال فتعرض عليه عقيدته فيحمله على الحق من غير قصد .
فيحصل السائل على الاجر ، وينوء هو بالوزر . قال النبي صلى الله
عليه وسلم القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة ، رجل
قضى بغير حق وهو يعلم فذاك في النار ، وقاض لا يعلم فاهلك حقوق
الناس فهو في النار ، وقاض قضى بالحق فهو في الجنة . وان

سأله عن مسألة من عمله في الدنيا لم يقف عند سؤاله ولكنه ان كانت في حكومة لقنه وتلقين الخصم فيه ما فيه . وان كانت فيما يختص به مثل عيّن سألته عن كيفية يمينه وسببها وبساطها ونيته فيها وجعل يلقبه (١) في الذروة والغارب لعله ان يصرفه بالخيبة عما رجلاه في تلك القضية وهذا جهالة عظمي . ❀ قاصمت ❀ فان ظهر عندهم من له معرفة او جاءهم بفائدة في الدين ، وطريقة من سلف الصالحين ، وسرد لهم البراهين (٢) (عدم مواجوابته ، ونبحوا عجائبه ، وعذبوا حقه) استكبارا وعتوا ، وجحدوا عليه وقد استيقنته انفسهم ظاهرا وعلوا ، وسعوا في احوال ذكره ، وتحقير قدره ، واقتعلوا عليه ، وردوا كل عظمة اليه . ❀ ناصمت ❀ هذا الذي قدمنا ذكره من فساد الزمان وتغير الاحوال قد انذر به المصطفى صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه كما قدمنا واخبر بان الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا كما بدا وان المنكر يصير معروفا والمعروف منكرا . ومع هذا فانه قال لا تزال طائفة من امتي منصورين على الحق لا يضرهم من خالفهم . وتدعى كل طائفة ذلك . زين لها عماها

(١) كمذا بالاصل والظاهر يفتله (٢) ما بين الهالين هذا اقرب ما ظهر من الحوب والتخريب

وجاءها كتابها واجلها . وعلى المرء ان يجتهد في ابراز الدليل و اظهار الحق . واهدى هدى الله يهبه لمن يشاء . واذا بان الدليل يبقى خلق القبول . ولا ابين من ادلة الله تعالى على يدي رسل الله بآياته الظاهرة ثم يبني القبول على قوم كثير لم يرزقوه . والذي يجب على الولي في الصبي المسلم (١) كان ابا او وصيا او حاضنا او الامام اذا عقل ان يلقنه الايمان ويعلمه الكتابة والحساب ويحفظه اشعار العرب العاربة ويعرفه العوامل في الاعراب وشيئا من التصريف ثم يحفظه اذ استقل واستبد في العشر الثاني كتاب الله وهو امر وسط متساو بين اهل المشرق ثم يحفظ اصول سنن الرسول وهي نحو من النبي حديث في الابواب نظمها البخاري ومسلم هي عماد الدين وياخذ هو بعد ذلك نفسه بعلوم القراءات ومعاني كتاباته ولا يشتغل برواية الحديث من كل كتاب فالباطل فيه كثير . وما الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كنقطة من بحر . ولا يحذر كتب الصالحين ومن ينتمى الي الوعظ فانهم لم يالوا في الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقصد وبغير قصد . ولا كتاب يعول

على حديث (١) منها الا كتاب ابن المبارك واحمد بن حنبل وهناد بن السري . ولا يفرض في علم الفرائض فانها اصل الدين وهو اول ما يذهب من المسلمين فبالسنة يفرضها وبالحساب يقسمها . ولا يخلى نفسه عن الانساب ، ولا عن شيء من الطب . [٢] وليتخذ عبارة الرؤيا اصلا . ولا يقل متى احصل هذا . فانه ليس المطلوب منها الغاية فانها لا تنالها الا افراد . وانما ينبغي لكل عاقل ان يتخصص بجزء جزء منها ولا يفرد نفسه ببعض العلوم فيكون انسانا في الذي يعلم بهيمة فيما لا يعلم . ولا سيما من اقام عمرا حاسبا او نحويا فقد هلك فانه بمنزلة من اراد صناعة شيء فشجد الالة عمره ثم مات قبل عمل صنعته ولا يصنع الى من يقول له تكن مقصرا في كل علم اذا فعلت هذا والى بك ان تقف نفسك على علم واحد ، فانه قول جاهل بالعلم . اذا اخذ المرء نفسه بهذا القانون الذي رسمناه سيعتمد على ما يراه او كد ويجعل الباقي تبعا . وانبذكم اني مارايت بعيني محيطا بهذه العلوم التي ذكرت لكم ولا مشاركا فيها الا واحد فبان ان الاحاطة غير ممكنة والمشاركة ممكنة والاحاطة بعلم

واحد غير ممكن، هذا النحو ما علمت من احاط به الاسيوييه
والفارسي البدعي وقد افسدت عليه بدعته كثيرا من نحوه . واذا
فهت هذا فلا تنكر ان لا تجد عالما ان وجدته الا واحدا
فان الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا كما بدا حتى انه لما بدا واحد
لا بد ان يعود الى واحد لا سيما في البلاد القاصية ، والشغور النائية
وحيث يكون الشوار لبعدهم عن مقر الخلافة ومعدن الامامة . ولو
شاهدتم الشام والمراق في عشر تسعين واربعمئة لرايتم ديننا ظاهرا
وعليا وافرا ، وإمانتسقا ، وشملا منتظما ، لا تمكن عبارة عنه ، لبهرة
حاله ، وزهرة كماله فهبت عليه من المقادير جرجف من شمائل وجنائب
فتركت الشام كامس الذاهب ، ومحت كليت الاسلام عن
المسجد الاقصى ، وقتل فيها في غداة الجمعة لاثنين عشر بقيت
لشعبان سنة اثنين وتسعين واربعمئة ثلاثة آلاف ما بين
عابد وعالم ذكر وانثى ومعتكف من مشهور الحالة ، ومذكور
بالديانة . وفيها قتلت العالمة الشيرازية بقية [١] السلسلة في جملة
النساء . وبموت الملك العادل في سنة ست وثمانين وبموت المقتدى

بالله ظهرت الفتنة بارض خراسان قامت الباطنية واختلفت اولاده .
 وتمكنت الروم فغزت الشام واستولت على ثالث مشاهد الاسلام ،
 وخرجت وقد اخذت من ابي جاد الى حطى . وبلغنى انها قد
 استولت [١] منه الظلمة الساكنة . وقد ذكرت في ترتيب الرحلة
 من سيرة القضاة والفقهاء وانتسابهم [٢] للاقضية والاحكام ما
 فيه كفاية . لقد كنت يوما جالسا بمدرسة الشافعي بباب الاسباط
 في المسجد الاقصى وقد انعقد على الطوائف من الشافعية والحنفية
 وهم في مجلس النظر فاذا سائل قد وقف علينا وخاطب صاحب
 المدرسة القاضي رشيد يحيى بن مفرج المقدسي وكان اسن اصحاب
 نصر فقال له حللت بالطلاق ثلاثا من امرأتى الا آكل جوزا ثم اكلتها
 ناسيا فنظر اليهم وقال ما تقولون فقالت الحنفية عن بكرة
 ابيها يحنث واختاف قول الشافعية فيها فتبسم القاضي الرشيد وقال
 له اذهب لاشئ عليك . وكنت اشاهد الامام ابا بكر فخر
 الاسلام الشاشي في محاسنه بباب العامة من دار الخلافة ياتيه
 السائل فيقول له حللت الا البس هذا الثوب فيأخذ من هديته

(١) في خ استوفت وهو الظاهر (٢) اقرب ما ظهر

مقدار الا صبع ثم يقول له البسه لاحنت عليك . وشاهدته اذا جاء
اليه رجل قال حلفت الا افعل كذا واضطرت اليه فيقول له قل
اذا وقع على امرأتي طلاقي فهي طالق قبله ثلاثا ثم يكتب له انه
قال كذا فليفعل ما شاء وليطلق متى شاء فانه لا يقع عليها طلاقه .
فانظر الى لينهم للخلق وتسهيلهم عليهم ، وفي ذلك قدوة بعمر
بن الخطاب . قال ملك في الموطن ان رجلا قال لامرأته حبلك
على غاربك فكتب الى (١) عمر ان يوافيه بالموسم فبينما هو يطوف
بالبيت اذ لقيه الرجل فسلم عليه وقال له انت الذي امرتني ان اقدم
عليك فقال عمر برب هذا البيت ما أردت بقولك حبلك على غاربك
قال اردت الفراق فقال عمر هو ما اردت . فانظر كيف رفق به
على غلطته وحلفه حين اتهمه . ولم يبق لمن وضع قيد راحلته على
غاربها فيها بقية من ربط ، ولا جزء من قيد . ولكن قلده دركه .
وكفى به قدوة ، واما في المسئلة (٢) القاضي في رفع الحنت
عن الناس فانه (٣) دين . وما اخذ الله الناس بحكم في الدنيا
ولا بذنب في الآخرة . وكل من حنت ناسيا فالحق انه لا شيء عليه

[١] لعل الاصل اليه [٢] لعل الاصل في مسئلة [٣] خ فاقامة دين

بجال . واما المسئلة الثانية في الحث ببعض الفعل وعدم البر ببعضه
فما لك فيها على الحق حسب ما بيناه في موضعه . واما المسئلة
السريجية فهي تلاعب بالدين لا ينبغي ان يلتفت اليها . والحيل في
تغيير الاحكام غير نافعة في دين الاسلام . ولكن ينبغي للفقهاء
المجتهد لا للعافظ للمسائل المقلد اذا جاء من وقع في انشودة من يمين
ان يخلصه بمسئلة ظاهرة بين الصحابة والتابعين اذا رأى انه ان
لم يخلصه بها وقع في اشد منها ، وهو ان يستهين بالمسئلة ويفتح فيها ما
لا يجوز قالاً فضل المفتي ان يفتح له باباً ويمشي به على طرائق .
قانه ان سد عليه باب الشرع (١) فتح هو الى الحث باباً يقتحمه ،
واخذ في طريق من المعصية يسلكه ، ورأى انه قد وقع في ورطة لا
يبالي ما صنع بعد ذلك وهذه سيرة العلماء المتقدمين ، وطريقة
الاجبار الراسخين . قد كان ملك رضوان الله عليه يفتي بان من
قال ان تزوجت فلانة فهي طالق انها تطلق عليه . اذا تزوجها ،
فلما ساله المخزومي عنها له او لغيره قال له لا شيء عليه . وكذلك
كان ابن القسم يفتي فيمن حلف بالمشي الى مكة فحث انه يلزمه

المشى اليها . فلما وقعت المسئلة لوالده افتاه بمذهب عائشة رضي الله عنها انه يحزبه كفارة يمين مخافة ان يكلفه المشى فلا يفعله فيستهيئ بمسئلة في الدين فيكون ذلك طريقا الى غيرها فيستهيئ ايضا بها فاراد ان يخرجها عنها . ويحتمل ان يكون رأى ذلك ابن القسم فقال له ما رأى . والله اعلم . وكذلك مسئلة الحلال عليه حرام على اختلاف الفاظها وهي عشرة ، وتعدد احكامها وهي خمسة عشر قولاً . وقد بينها في احكام القراءان وغيره . وفي المدونة في بعض الاقوال انه لا شىء فيها . وملك لم يرب هذا القول حرمة الا اذا قصد به الزوجة . فاما لو قال الحلال عليه حرام فجعلها علياؤنا كناية عن الزوجة ينوى فيها في موضع ولا ينوى في آخر . وقال في الحلال عليه حرام له ان يحاشيها بقلبه ويقول لم انوها . وليس معه ما يحرم سواها فاذا حاشاها بقي اللفظ لغو فلم يعد ملك بذيا (١) ورأى القول ساقطا . فاذا ضعفت المسئلة عند العالم كان ما تركب عليها اضعف مثل ان يحلف بالحلال عليه حرام الا يا كل كذا فاكله ناسيا . فدخلت مسئلة النسيان على مسئلة الحرام

فضعفت . وليس في القوة كمن يحلف بالطلاق ناسيا فيحنت ، كما
يقال في الحرام انه ينوى ما قصد مما لم يقصد كذلك يقال (١)
في النسيان لم يقصد فلا يدخل في اليمين . وهذا جزء (٢) من
الفتوى عظيم في تركيب المتفق عليه على المختلف فيه ، وهو امر
خفي على علمائنا فافهموا ، وكذلك مسألة الايمان اللازمة ، عظم
القول فيها المتأخرون ، وانتهى الحال ببعضهم الى ان يلزموه
الطلاق الثلاث ويعطوا من كل اصل من الايمان اقله الا الطلاق
فانهم يلزمونه اكثره ، وملك قد اعطاه الاقل في قوله له على
اشد ما اخذه احد على احد ، قال يطلق نساء ، ومذهب مالك الصريح
انه اذا لزم الرجل نفسه جميع الطلاق كان لغوا فاحري اذا
لزم نفسه جميع الايمان ان يكون لغوا ، وهذا دستور في
الفتوى ينبغي ان ينظر به سواه ، فاما ان وقعت نازلة عظيمة بالمسلمين
فلا ينبغي ان يقتصر فيها على عالم واحد ، كما كانت الصحابة
تفعله ، وليسثل عنها كل من يظن ان عنده علما ، فانها ان وضعت
في يدى غير اهبا كان ذلك عائدا بفساد الحال ، وربما تعدى الى

(١) في نسخة يقال له ان في النسيان (٢) كذلك بالاصل والظاهر جزء

أكثر منه . وكفى بك داء أن تعرض علتك على غير طبيب ، لا سيما أن كان هنالك حسارة (١) ، وعلى إيثار الدنيا على الدين هوادة . فتلك علة لا برء منها . وعشرة لا لها ، كحادثة بقي بن مخلد فانه جاء بعلم عظيم واستأثر بذهب لا مامته ولم ير أن يقلد احدا فرمته القرطبية عن قوس واحد فاستقل به ابن أبي هاشم الوزير ، بل قل اغاثه العزيز القدير ، وحماه ، ومات على ظهور وجاه . ولقد سمعت يونس بن محمد وكان من حلة القرطبية يقول أن بقي بن مخلد حضر في جنازة احتفل فيها أهل الدولة والوزير ابن أبي هاشم حاضر واقاموا ينتظرون الجنازة فجدبوا ذيل الحديث إلى أن نظر الوزير إلى تلك الشارة الزهراء ، والابنة العظمى ، والحفل الأكبر . فقال لبق بن مخلد يافقيه أين هذا الهيبة والجلالة من التي رايت (٢) بتلك . فقال له بقي جهرًا أنتم تزيدون عليهم بثلاثة أشياء . فاشتشف الوزير إلى سماع كلامه (٣) مستبشرا بما صرح به من الزيادة لهذه الحال على تلك . فقال له وما هذه الأشياء التي (٤) ذكرت زدنا عليهم . قال الجاهل ، والفقر ، وقلة

(١) أقرب ما ظهر (٢) أو في تلك (٣) أقرب ما ظهر (٤) كذا بالأصل والعبارة الموفقة
فذكرت الأربعة عليهم بها

العقل ، فخبجل الوزير وابهت الكل . واحتملها (١) كان بينه وبينه ، ولان الاصل فهو (٢) الحق ان الله وقالا . وكذلك وجدت الحال انا هناك وهاهنا بعد ما تين [٣] وثمانين عاما على تلك النسبة وكذلك يكون الى يوم القيامة . والله اعلم



تمت العواصم من القواصم بحمد الله وعونه يوم الاربعاء في العشر
الاوسط من شهر ربيع الآخر سنة خمس وخميس وستمائة
والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد خاتم
النبين وآله وصحبه اجمعين ، ولا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم

م

(بياض بالاصل والعبارة التامة واحتملها لما كان (٢) او وهي (٣) اقرب ما ظهر

فهرس

الجزء الثاني من « العواصم من القواصم »

للإمام ابن العربي

فهرس

الجزء الثاني من الكتاب

فيه بيان العواصر والقواصر واهم المباحث

١ قاصمة في طائفة اصحاب الاشارات متعلق هذه الطائفة من كلام السلف

٢ استدلالهم بقصد الشريعة

استدلالهم بسيرة العربية

توضيحة باشارة ابن عباس على عمر بتاخير خطبته في شأن البيعة والخلافة حتى يلقيها على الخاصة

٣ سوء التاويل مخوف

استدلالهم بامثال الله في كتابه

انموذج من تاويلهم

٤ عاصمة في بيان منزلة الاشارة من الصريح والمقبول منها والمردود

٥ الاشارة في الاحكام

الاشارة في التوحيد

ضرب المثل في التوحيد

الإشارة في التذكير وشرط قبولها

ثلاثة أمثال في ذلك

٦ كلام الإمام علي قوله تعالى «ضرب الله مثلاً رجلاً أياً وهو المثل الأول

ما ظهر حكمه صريحاً في دليل هل يطلب بالتظمين من غيره؟

٧ كلامهم علي قوله تعالى «اخلع نعليك» ورد القاضي عليهم

وهو المثل الثاني

٨ المثل الثالث فيه كلامهم علي حديث «لا تدخل الملائكة بيتاً

فيه كلب ولا صورة» واعتبارهم به

٩ انكار القاضي هذا النوع من الاعتبار وإبطاله بوجهين

الرد عليهم في تمسكهم بكلام السلف وبيات السلف

في الاستدلال

١٠ الرد عليهم فيما زعموه من قصد الشريعة

الرد عليهم فيما تمسكوا به من حديث عمر وقلبه عليهم

١١ ذكر آيات صريحة في أحوال القلوب مغنية عن ذلك النوع

من الاعتبار

الكلام على آيات ابراهيم عليه السلام

اقوال العلماء فيها

بحث القاضى فى القول الاول

١٢ بحثه فى القول الثانى

بحثه فى القول الثالث

تصحيحه القول الرابع واستحسانه

١٣ تقرير نفيس لمعنى محاجة ابراهيم عليه السلام

١٤ عصمة قلوب الانبياء عليهم السلام قبل النبوة والدليل عليها

١٥ سؤال على ما اختاراه فى معنى محاجة ابراهيم عليه السلام

وجوابه

وجه ارتباط قوله (اتعبد اصناما ءالهة) بقوله (وكذلك

نرى ابراهيم)

١٦ زيادة تقوية للمعنى الذي اختاره

توجيه استدلاله عليه السلام بالتغير

١٧ تنظير بما فى حديث وصف الدجال

قاصمة فى عقائد الطائفة الظاهرية فى العقائد من غلاة

المنتسبين الى الامام احمد بن حنبل

١٨ ما اداهم اليه الفلاس في الظواهر

مجلس الامام القشيري ببغداد وما كان فيه من الحنابلة

١٩ قولهم في الحرف والصوت

قول بعض ائمتهم

ذكر بعض رؤسائهم

٢٠ فرج الامام الاسفرايني بانه غلب عاميا في المناظرة

وتوجيهه لذلك

لقاء القاضي للطوائف ورايه في منزلة الباطنية والمشبهة بينهم

٢١ اجتماع القاضي بابن السمناني

حالة حنفية خراسان والعراق وما وراء النهر الاعتقادية

درجة ابن السمناني في الفقه

٢٢ عاصمت في الرد عليهم

الطريقة النافعة في مناظرتهم

شبههم باليهود ، في الجمود ،

٢٣ تكذيب الله لليهود

نقض استدلالهم بآية (هل ينظرون الا ان ياتيهم الله)
معنى بناء ظاهر

كلام على معنى الفاظ آية (الرحمن على العرش استوى)
٢٤ مناقشتهم على مدعياتهم في هاته الآية وتحكمهم

ما سمعه القاضي من مثل عقيدة هذه الطائفة بالاندلس لما ورد
من المشرق

القول بانه تعالى فوق العرش بذاته

٢٥ بحث نفيس للمؤلف على الآية وفيه اصل العقد في مثلها

٢٦ انكار التنطع الكلام على معنى الآية

نقض استدلالهم بحديث (والله فوق ذلك)

درجة حديث حكم سعد وبيان معناه

نقض استدلالهم بحديث (ينزل ربنا) وبيان يناقضهم فيه

٢٧ كلام نفيس جدا في بيان معنى الحديث على مقتضى لسان العرب
المخاطبين به

٢٨ بيان منشأ قولهم بقدح الحرف والصوت

استدلالهم بحديث عبد الله بن اليس ونقضه

بيان معني (يناديهم بصوت) و (ياتيهم في صورة)

٢٩ حكم من قال بالصورة والصوت

فهم البخاري حقيقة هذا الكلام

صورة ما قيل للامام احمد لمناظرته في خالق القراءات

٣٠ لما اذا امتنع الامام من المناظرة

منزلة الامام في الاسلام

بحث نفيس في حديث [اذا قضى الله في السماء امرا]

٣١ قول علمائنا المتقدمين في صفة اليمين

قول المتأخرين من اصحابنا وتوجيه القاضي له

رد قول بعض اصحابنا في اليمين

٣٢ ذكر الكف

نكتة لعلمائنا فيما جاء في القراءات وما جاء في اخبار

الاحاد من الصفات

كلام نفيس على حديث (ان الصدقة تقع في كف

الرحمن] على سيرة العربية

ذكر لفظ الساعد والذراع

٣٣ تفسيرهما

لفظ الاصابع

ما جاء مطلقا لا يقال مضافا

٣٤ المعنى فيها

نكتة بديعة في النهي عن تفريق ما جمع او جمع ما فرق من

صفاته

لفظ القدم والرجل والساق والوطئي بالقدم

٣٥ درجة حديث المخاصرة والكلام على معناها

مناقشتهم في مدعياتهم على هاته الالفاظ

٣٦ ما جاء من طريق الاحاد هل تثبت به صفة ؟

الضحك والفرح والكلام على معناها

مناقشتهم بطريق الالزام

٣٧ اضافة الالفاظ الجوارحية واطافة البيت والدار

٣٨ تفقه جليل في معنى هذه الاضافة

كلام نفيس على حديث [ان الله خلق آدم على صورته]

٣٩ العقل يزكى الشرع والشاهد لا يجرح المزكى

انكار على ابن الفراء الحنبلي

٤٠ من استطاع التاويل ومن قصر نظره

من يقبل على الله

مراتب احاديث الصفات

٤١ تنزيل احاديث كل مرتبة في منزلته

وجوه من التاويل لبعض الالفاظ

٤٣ عاصمة في ذكر اخبار يعارض ظاهرها العقل

احكام العقل وما يتعرض له الشرع منها

٤٤ اقسام الاخبار

من رد اخبار الاحاد

خبر « من رآني في المنام » فيه الكلام على معناه ورواياته

٤٥ سؤال القاضي لشيخه الغزالي وجواب الغزالي

رأي القاضي في حقيقة الرؤيا

خبر « اول ما خلق الله القلم الخ »

٤٦ الكلام على العرش

الكلام على الكرسي فيه تاصيل جليل

الكلام على القلم هل هو واحد او متعدد واختيار القاضي

٤٧ الكلام على كتابة القلم

الكلام على اللوح

قول طائفة في معنى الكتابة واللوح والقلم ، وهي نزعة

باطنية

٤٨ رد القاضي عليهم

تكملة في كتابة الخالق وكتابة الخلق

٤٩ دستور فيه اعجاز القرءان بجمعه للكثير من العلوم في القليل

من الحروف

٥٠ خبر « يوتى يوم القيامة بالموت الخ »

رد طائفة له

٥١ قبله ، اخرون وتاولوه فيه ذكر تاويلين وترجيح احدهما

٥٢ حال اهل القيامة حتى لم تبق عندهم عجيبة

٥٣ كيف تنال العلوم . في قطعة من النشر بليغة

تحقيق في خروج الروح من الجسد

٥٤ مقارنة بين الروح والريح

ذبح يحيى

الحياة بعد الموت فى الدنيا

٥٥ كيف يأكل اهل الجنة من لحم حيوانها

طريقة الكلام فى مسألة ذبح الموت ودفع اشكالات فى المقام

٥٦ خبر رؤية النبي الانبياء على جميعهم الصلاة والسلام ليلة الاسراء

بحث نفيس فى توضيح جواز ما كان فى الاسراء

مع من يتكلم بالغيبيات السمعية

٥٧ خبر رؤية الجنة والنار فى حديث الكسوف

معنى الرؤية عند القدرية

معنى الرؤية عند اهل السنة

تفسير الروية المذكورة وتجويز تناول العنقود

٥٨ تفسير القدرية لهذه الرؤية والرد عليهم

احتمال اخر فى تفسيرها وتعزيده

٥٩ درجه حديث خلق العقل وتوجيهه لو صح

معضلة فيها كلام على الحوض والصراط والميزان

ذكر الصراط والميزان ، فى السنة والقرآن

درجة حديث انس

٦٠ الاختلاف في معنى الوزن والميزان : قول اهل السنة

قول غيرهم

ما نقل عن مجاهد والانكار عليه

تعيين محل النظر في مسألة الميزان

٦١ تحقيق في لفظ الميزان والوزن والموزون

دخول النار والخروج منها بالسيئات والايمان

٦٢ الرد على من انكر الكل لا تستشكراله الوزن

تقرير الالموزون هو اصحائف

راي الفلاسفة والقدرية فيما يكون به الشقل والخفة ، وراي

اهل السنة

٦٣ ترجيح راي اهل السنة والاستدلال له

سؤال وجوابه في حكمة خلق الصراط والميزان

٦٤ اتيان البقرة وءال عمران يوم القيامة

تفسير المشكل بالمشكل

خبر آخر اهل النار خروجا منها

انكار قوم لما فيه بوجهين خطاين

٦٥ تفسير الغزالي له

راي القاضي في تفسيره

حديث ابن عباس فيما في الجنة وفي الدنيا . وشرحه بذكر

الفوارق ما بينهما وفيه تصوير تقريبي لحالة المرء في الجنة

٦٦ قاصمة في المذهب الظاهري في الاحكام

٦٧ انشعاب الظاهرية من الخارجية

٦٨ رأى ابن العربي في ابن حزم

حال ابن العربي في اهل بلادنا ونقضه لكتب ابن حزم

عاصمة في الرد على الظاهرية ،

٦٩ وصية ابن العربي في مناظرة المبتدع

مسالتان بديعتان مستمبطنان من حديث

٧٠ ابطال قوهم لم نؤمر بالاقتداء باحد

حديث جليل في فضل جماعة من الصحابة

٧١ مراتب البيان عند المحدثين

٧٢ فقه في الاقتداء بالشيخين

٧٤ الاقتداء بعمار اذا تعارض دليلان

الاقتداء بعمر في رواية الاثر

كلام نفيس في جمع الصحابة القران دون الحديث

٧٥ ما اذا يكون لو درست احاديث الاحاد

كلام على آية « انا نحن نزلنا الذكر »

٧٦ الاجماع عند الظاهرية

فيما اذا ينبغي ان تكلمهم

ثلاثة انظار ظاهرية متشابهة

٧٧ مسألة فيها تشنيع ورد على الظاهرية .

٧٨ دستور لقهر ابن حزم

مسألة فيها قول ابن حزم في القدرة على اتخاذ الولد والرد عليه

٧٩ مسألة قضاء تارك الصلاة عمدا ، رأي ابن حزم ، الآية التي

يمكن التمسك بظاهرها ، والجواب عنها من خمسة اوجه

٨١ حكمة ما يعدو لا صلى الله عليه وسلم من المعاني الجبلية

٨٢ حكاية الاجماع في مسألة قضاء ترك الصلاة عمدا

ذكر الخلاف في اسلام التارك

٨٣ المعاني التي عارضت حديث فقد كفر

مبحث في لفظ كفر

٨٤ اختلاف العلماء في قتله

اختيار ابن العربي ، وراي امام الحرمين والرد عليه

٨٥ ثلاثة مسالك في رد استدلال الحنفية لعدم القتل

٨٦ الاستدلال على وجوب القضاء بوجوب

موافقة اصحاب داود في الوجوب

٨٧ بحث في لفظ القضاء والاداء

بناء الاحكام الشرعية على المصطلحات العلمية ، وعلى مه تبني

الاحكام

الاحاديث المتمسك بها في الوجوب

معنى النسيان في العربية

٨٩ راي ابن العربي في مسقطي القضاء

٩٠ مسألة فيها كلام ابن حزم على معاني لفظ القراءان وما منها هو مخلوق.

٩١ رد القاضي عليه

٩٢ بحث في النهي عن السفر بالقراءان الى ارض العدو

- ٩٤ مسألة فيها قول داوود في الظهار والرد عليه في عدة منازل .
- ٩٨ تفسير ايه الظهار
- ٩٨ كيف قام عمود الدين وكيف كان الكمال وابتد النقصان بموته عليه الصلاة والسلام
- ٩٩ عاصمة فيها كيف تدارك الله الحال
- ١٠٠ خطبه الصديق رضي الله عنه ، وسقيفة بني ساعدة وخطبته فيها ايضا
- ١٠١ حوار الشيخين في جيش اسامة وقتال ما نعى الزكاة وحديث الصديق في الارث والدفن
- ١٠٢ تنقل الخلافة ، وكلام نفيس في عمان ومنزلة الخارجين عليه
- ١٠٣ كلام مختصر جليل في موقف الصحابة ازاء عثمان والقائمين عليه وموقفه هو ازاء هؤلاء
- ١٠٢ قاصمة في المظالم المكذوبة على عثمان
- عاصمة في ابطالها واحدة واحدة
- ١٠٥ جمع القراءان في عهد الصديق
- ١٠٦ جمعه في عهد عثمان

- ١٠٧ خطبة ابن مسعود بالكوفة
- ١٠٨ ابوذر ومذهبه ، والخلطة والعزلة .
- ١٠٩ سجن عمر المكثرين في الحديث النبوى
الخصوص لا يعمم
- ١١٠ قوة ولاية معاوية
- ١١٢ كلام ابن عمر في علي وعثمان
- ١١٣ ما جاز للحاجة يزاد فيه اذا زادت
- ١١٤ منزلة مروان عند كبراء الامة
- ١١٥ كبير حد في الحمر
- ١١٦ امثل ما روي في قصة عثمان
- ١١٧ ذكر الذين ساروا اليه
- ١١٨ ما دار بين الثايرين وبينه من الكلام
- ١١٩ اقترحاتهم عليه وامتناعه منها وشارة ابن عمر عليه
- ١٢٠ منعه الصحابة من الدفاع عنه
- ١٢١ التزوير على عائشة
- ١٢٢ تبرئة الصحابة من دم عثمان

- اختلاف العلماء في الاستسلام
 ما اصاب ابن العربي بسبب امره بالمعروف ونهيهِ عن المنكر
 ١٢٣ الكتاب المصنوع على لسان عثمان
 ١٢٤ كيف بويص لعلي
 ١٢٥ كذبة لم تدبر
 دفع اراد على بيعة علي
 ١٢٦ قاصمة فيها مبدا امر الجمل ووقعته
 ١٢٧ عاصمة في بيان الحق في خروجهم
 ١٢٨ الجواب عن خروج عائشة
 ١٣١ قاصمة في وقعه صفين
 ١٣٢ عاصمة في بيان الحق فيها
 استصواب نظر علي
 ١٣٣ حكم التهاون بحدود الدين
 ١٣٤ لم يفعل معاوية في خلافته ما كان يطالب به قبلها
 الاستدلال على اصابة علي وعدم كفر البغاة
 ١٣٥ قاصمة التحكيم

١٣٦ منزلة ابي موسى الاشعري من العقل والدين

١٣٧ عاصمة فيها ابطال الروايات الكاذبة وذكر ما هو الحق

١٣٩ نصيحة عظيمة من ابن العربي

١٤٠ قاصمة فيها رأى غلاة ايرافضة من الامامية

١٤١ عاصمة في الرد عليهم

١٤٢ الدليل على بطلان الوصية بعلي

١٤٣ استصواب رأي العباس

الاستدلال لخلافة ابي بكر

١٤٥ الاستدلال لخلافة الراشدين

١٤٦ ولاية الهداية وولاية الضرورة

اصناف حفاظ الدين

١٤٧ حديث غدير خم

١٤٩ المرضي عنهم وخيارهم

ما ظهر من الفقه على يد علي رضي الله عنه

١٥٠ خصومة علي والعباس في الاوقاف

١٥١ الجواب عما وقع فيها

- ١٥٢ ابداء وجول الاحتمال في حديث لا نورث الخ
- ١٥٣ قاصمة فيها تسليم الحسن رضي الله عنه في الخلافة
- عاصمة فيها تخطئة المعترضين عليه وتصويب فعله وتوجيه سياسته
- حديث سفينة في الخلافة وما يعارضه
- ١٥٤ الاستدلال لخلافة معاوية رضي الله عنه
- الملك والخلافة ، والملك والنبوة
- ١٥٥ قتل معاوية لحجر
- ١٥٦ ما كتب على ابواب مساجد مدينة السلام
- ما قيل من دسه على الحسن وابطاله
- ١٥٧ عهده ليزيد وما روى في ذلك
- ١٦٣ شروع القاضي في الكلام على ما تقدم
- ١٦٤ تصحيح البيعة
- ١٦٥ رواية البخاري المبطله لغيرها
- ١٦٦ وصية ابن العربي بما يوخذ به عند التعارض
- ١٦٨ الاستدلال على ولاية المفضول
- راى ابن العربي في يزيد

١٦٩ قتل الحسين رضي الله عنه ، واستنكار ابن العربي وشدة
اسفه ، وامثل ما روى في الحادث

١٧٠ ما رواه المؤرخون

توجيه خروج الحسين رضي الله عنه ، ومخالفته لا شارة
عظيمين

١٧١ دعوى ابن العربي انه ما خرج احد الى الحسين الا بتاويل
كلمة لابن خلدون نقلت في حاشية الكتاب

١٧٣ استشكال ابن العربي لخروج الحسين

١٧٤ احمد بن حنبل ، ويزيد

مسألة من كتاب الاحكام نقلت في الحاشية

١٧٥ ترجيح لنظر ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم

١٧٦ نصيحة لابن العربي

نكتة في صحة اصل ولاية بن امية من عهد النبوة وعهد

الشيخين

احاديث وردت فيهم

١٧٧ الكلام على استلحاق معاوية زياد وما يتعلق بزياد

- ١٧٩ بيان ما هو حق في امر زياد
- ١٨١ القول في استحقاق معاوية زياد
- اختلاف العلماء في استحقاق الاخ
- ١٨٢ بحث ابن العربي مع الشافعي
- ١٨٣ من لعنوا زياد ولما ذا لعنوا
- الاستدلال على ان الزنا يجرم كالنكاح
- ١٨٤ تصريح ملك بنسب زياد
- ١٨٥ تفسير الدهاء
- ... نكتة في الولايات والعزلات
- ١٨٦ تحذير ابن العربي من كتب المورخين
- ١٨٧ قاصمت فيها كيف افترقت الفرق في صدر الاسلام
- ١٨٩ عاصمتها فيها تحذيرات ووصايات . جلية
- ١٩٠ نقد افراد من المؤلفين
- راي ملك في عبد الملك واستحقاق زياد
- صورة بيعة ابن عمر لعبد الملك
- ١٩٢ تحرير فيما يرويه المجان عن الخلفاء وهو مبحث نفيس

١٩٣ قاصمة وعاصمتها في حديث انزل القرآن على سبعة احرف
فيه كلام جليل

١٩٥ الاستدلال على استعمال الراي والحكم بالمصالح

١٩٦ مرويات بعد الحديث الصحيح

فائدة المصاحف

١٩٧ حكمة اعتماد المصاحف بلا نقط ولا ضبط

فيما اذا اختلفت المصاحف من الحروف والكلمات

راي ابن العربي في الرويات المعروفة

١٩٨ ضبط الامر على سبع قراء ليس له اصل ،

اصل التسبيع

سبب انتشار مذهب مالك وقراءة نافع بالمغرب

١٩٩ كلية في ورش

الى اين انتهى الاختلاف في وجوه القراءات

راي ابن العربي في هذه الوجوه المنتشرة

٢٠٠ رأيه في التهليل والتكبير والبسمة اول الاجزاء والبسمة

في الاربع المشهورة

انتهت الجهالة الى البدعة

كيفية القراءة اليوم

٢٠١ راي اسماعيل القاضي فيما يقرأ به

ما اختاره ابن العربي

رايه في قراءة الجمع

رايه في القراءات وما اختاره من كتبها

٢٠٢ قوله فيما صح سنده وخالف خط المصحف

كره رجال من الصحابة مقالة ابن مسعود ونفي خجته على عثمان

وظلمه له

٢٠٣ سبب الاختلاف

الذي اختاره ابن العربي لنفسه حين يقرأ

٢٠٤ اقوى القراءات سنداً

كلمة للشيخ ابن غازي نقلت بالحاشية

قاصدة في مصائب نزلت بالعلماء في طريق الفتوى

٢٠٥ كيف كانت منزلة الفتوى وكيف صارت

قاصدة في حكاية سبب هذا الخبال

٢٠٦ اصل التقليد الضغط السياسى

ذكر بقى بن مخلد وابن وضاح

٢٠٧ ما آلت اليه الحال بالقلدين

قاصمة في تعلم العلم

الطائفة التي حفظ الله بها العلم في تلك الديار

٢٠٨ طائفة اخرى على طريقة اخرى

اول من جاءهم ببعدة القدرية ونحلة الداودية

حال العامي بالاندلس بين القدرية والظاهرية ومقلدة المالكية

٢٠٩ قاصمة فيما كانت يلقاه العالم المستدل من كيد المقلدين

تلك الايام

عاصمة

٢١٠ ما على المرء ان يجتهد فيه

ما على الولي في تعليم الصبي

التهذير في الرواية

٢١١ ما اختاره من كتب الزهاد

رأى ابن العربي في المشاركة والتخصص

٢١٢ رأي ابن العربي في سيبويه والفارسي
ما حكاه عن مدينة المشرق وعمرانه وما طرأ عليه أيام الحروب
الصلبية

٢١٣ ما حكاه عن مجلس النظر بالمسجد الأقصى وعن مجلس
الشاشي

٢١٤ رفقهم بالناس وقدوتهم في ذلك
قوله في الحنث ناسيا

٢١٥ المسألة السريجية

ما ينبغي للفقهاء المجتهد مع من وقع في الشوطة يمين

٢١٦ مسألة الحلال عليه حرام

٢١٧ تركيب المتفق عليه على المختلف فيه

ما إذا ينبغي إذا وقعت نازلة عظمية

٢١٨ بقي بن مخلد مع القرطبية

جواب بقي بن مخلد للوزير ابن أبي هاشم

موافقة ابن العربي على جواب بقي

التعريف بكتاب « العواصم من القواصم »
للامام ابن العربي

ان العالم لا يكون اماما في الاسلام حتى يكون اماما في
فقه العربية . اماما في فقه القرآن ، اماما في فقه السنة ، اذ بدون هذه
لا يفقه الاسلام ، فتلك لغته التي بها انزل ، وذلك كتابه الذي عليه
يعول ، وتلك بيانه ممن به ارسل . وان العلماء الذين بلغوا هذه
الذروة في الثلاثة في كل عصر ومصر قليلون ، وفي درجات هاته
المنزلة متفاوتون ،

اذا نظرنا في آثار ابن العربي التي ركبها لنا في كتاب
احكام القرآن وقد نشر ، وكتاب المسالك على موطا مالك ومنه
نسخة خطية في المكتبة العمومية بالعاصمة ، وكتاب القبس على موطا
مالك بن انس ومنه نسخة عتيقة اندلسية في خزانتنا — ونسنتشرها
ان شاء الله ، وعارضة الاحوذى على جامع الترميذي وكتاب
العواصم من القواصم الذي بين ايدينا — اذا نظرنا في هذه الآثار
علمنا ان هذا الامام ممن بلغوا تلك الذروة وانه جمع الى امامة نبي
تلك الاصول الامامة في الاصلين ، وفي الفقه ، وفي علوم الحديث .

والتبحر في سائر العلوم الاسلامية المعروفة في عصره ومصره الراقين
المزدهرين ، والبصر باقوال الفرق الاسلامية بذلك العهد ، والخبرة
باحوال الناس والزمان . وانه كان في استقلاله العالى كما قال عن نفسه
في هذا الكتاب : « هل انا الا ناظر من النظار ادين بالا اختيار
واتصرف في الاصول بمقتضى الدليل » .

قد كتب هذا الامام في علوم الاسلام الكتب الممتعة
الواسعة وسار فيها كلها على خطة البحث والتحقيق والنظر
والاستدلال بعلم صحيح وفكر ثاقب وعارضة واسعة وعبارة راقية
في البلاغة واسلوب حلو جذاب في التعبير .

وهذا كتاب «العواصم من القواصم» من اخر ما ألف قد سار فيه
على تلك الخطة ، وجمع فيه على صغر حجمه بين سائر كتبه العلمية
فوائد حمة وعلوما كثيرة ، فتعرض فيه لاراء في العلم باطلة ،
وعقائد في الدين ضالة وسماها قواصم ، واعقبها بالاراء الصحيحة
والعقائد الحقّة مؤيدة بادلتها النقلية ، وبراهينها العقلية المزيفة لتلك
الاراء والمبطلات لتلك العقائد وسماها عواصم . فانتظم ذلك مناظرة
الفلاسفة السفطائيين والطبائعيين والالاهيين ، ومناظرة الباطنية

والجاولية ، وارباب الاشارات من غلاة الصوفية وظاهريه العقائد ،
وظاهرية الاحكام ، وغلاة الشيعة والفرقة المتعصبة للشخص
باسم الاسلام واستتبع ذلك ذكر ما وقع في الصدر الاول من
الفتن ، والكلام على الخلافة والامامة وبيان فضل الصحابة
واندرج في اثناء ذلك له تحقيقات تاريخية ومباحث حديثة
وتفسيرية ولغوية ونصائح علمية وارشادات تذكيرية كلها في
افادة وإيجاز حتى لا تخلو صفحة من صفحات الكتاب مما تشد عليه
يد الضنين .

سالكاً في سبيل الاحتجاج لعقائد الاسلام ، وابطال العقائد
المحدثة عليه من المنتمين اليه ، السبيل القوم الارشاد ، سبيل
الاستدلال بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية التي هي ادلة عقلية
في نصوصها عقلية برهانية في مدلولها ، وهذه الطريقة التي ارادها
بقوله في هذا الكتاب : « وهكذا هي حقيقة الملة من اراد ان
يدخل فيها داخلة رد عنها اليها بادلها » وهي طريقة القراءات
الذي اتضح به حال الشريعة في عقائدها وادلتها .

واذ لم يكن بد من الخطا لغير المعصوم فليس تفاضل الناس في

السلامه منه ، وانما تفاضلهم في قلته وكثرة الجواب التي تغمره
وللامام ابن العربي في كتابه هذا مما ذكرناه في وصفه من كمال ما
يذهب بما قد يكون فيه من بعض خطأ يسير لا يسلم منه بشر ، وحسب
كتابته هذا ان يكون موردا معينا لطلاب العقائد الاسلامية الحقة
باداتها القاطعة ، واصول الاسلام الحالية مما احده المحدثون من
خراف وتدجيل ، وان يكون نموذجا راقيا في التحقيق في البحث
والتمق في النظر والاستقلال في الفكر والرجوع الى الدليل
والاعتقاد بانظار الائمة الكبار . وان يكون صفحة تاريخ صادق لما
كانت عليه الحالة الفكرية للمسلمين بالشرق والغرب في عصر المؤلف
وهو القرن الخامس الهجري . وكفى بهذا كله باعنا لنا على طبعه ونشره
وتعميم فائدته

اول سماعي بهذا الكتاب وفضاه كان من العلامة الكبير
استاذنا الشيخ محمد النخلي احدا ساطين جامع الزيتونة المعمور ، والنهضة
الفكرية بتونس فاستعرت نسخه من خزانة الجامع وكانت هي
النسخة الوحيدة للكتاب بها .

كتبت هذه النسخة بخط اندلسي قديم في القالب الربيعي

وكتب في آخرها : تمت العواصم من القواصم بحمد الله وعونه يوم
الاربعاء في العشر الاوسط من شهر ربيع الاخر سنة خمس وخمسين
وستمائة »

كانت هذه النسخة في خزانة الجامع كالكنز الدفين ، يمنع
من الاستفادة التامة منها صعوبة خطها وتخليط اوراقها واطن ان
المسفر لما جمع اوراقها عند التفسير جمع كما اتفق . ففككت سفرها
وبذلت الجهد في ترتيبها حتى مكنت كما هي بدون ان تنقص
منها ورقة ثم بعد بسنوات عازمت على نشرها فاستعرت النسخة من
خزانة الجامع المذكور واستنسخت منها بنفسى نسخة قدمتها للطبع
بالمطبعة الجزائرية الاسلامية بقسنطينة وابتقيت النسخة الاصلية لراجعها عند
التصحيح وقد بذلت الجهد في النقل والتصحيح رغم صعوبة الخط
ومواضع المحو والتخريج ثم راجعت الجزئين بعد تمام طبعهما
فالحقت بكل واحد منها جدول الخطا والصواب واذا بقيت بقايا قليلة
فانها لا تخفى على اللبيب .

والله اسأل قبول العمل وغفران الزلل ونفع المستفيدين
انه جواد كريم رؤوف رحيم

وواهباً ، ففأ الى الرواية والسماع ، وما استفاد من آمال تلك الاطماع
وقال عنه ابن فرحون : « سمع ببالة من ابي عبد الله بن منظور
وابي محمد بن خزرج . وبقرطبة من ابي عبد الله محمد بن عتاب وابي
مروان ابن سراج ، وحصلت له عند العبادية اصحاب اشبيلة رياسة
ومكانة ، فلما انقضت دولتهم خرج الى الحج مع ابنه القاضي ابي بكر
يوم الاحد مستهل ربيع الاول سنة خمس وثمانين واربعمائة »
وبعد ما مكث بالمشرق بضع عشرة سنة توفي بالاسكندرية
اول سنة ثلاث وتسعين .

(نشات)

نشأ ابوبكر في كنف ابيه — وقد عرفت من هو —
فارضعه اخلاف الادب واحضرة مجالس العلم فتادب وقرأ القراءات
وسمع من ابيه وخاله ابي القاسم الحسن الهوزني . واستكمل العلم
وحصل اسباب الامامة بعد رحلته الى المشرق مع ابيه
وقال هو عن نفسه : حدثت القراءان ابن تسع سنين ثم ثلاثا
لضبط القراءات والعربية والحساب فبلغت ست عشرة وقد قرأت
من الاحرف نحواً من عشرة بما يتبعها من اظهار وادغام ونحوه ،

وتمرت في الغريب والشعر واللغة ثم رحل بي ابي الى المشرق .
(رحلته)

رحل مع ابيه في التاريخ المذكور وسنه اذ ذاك سبعة عشر
عاما ، وقال صاحب المطمح عن سنه وحاله ايام الغربة مع ابيه :
« وابوبكر اذ ذاك في ثرى الذكاء قضيب مادوح ، وفي روض
الشباب زهر ما صوح ، فالزمه مجالس العالم رائحا وغاديا ، ولازمه
مدائقا اليها وحاديا ، حتي استقرت به مجالسه . واطردت له مقايسه
تجد في طلبه ، واستجد به ابو لا متمزق اربه ، وبقي ابوبكر متفردا ، وللطلب
متجردا ، حتي اصبح في العلم وحيدا ، ولم تجد عنه الرياسة محيدا »
دخل الشام والعراق وبغداد وحبج سنة تسع وثمانين وعاد الى
بغداد ثم صدر عن بغداد واقام بالا سكوندريه ثم انصرف منها الى الاندلس
سنة خمس وتسعين بعد عامين من وفاة ابيه فقدم بلده اشبيلية .
وقال صاحب المطمح عن قفوله الى وطنه « فكر الى الاندلس
فخلها والنفوس اليه متطالعة ، ولا نبأه متسمعة . فناهيك من حظوة لقي .
ومن عزة سقي . ومن رفعة سما اليها ورقي ، وحسبك من مفاخر تقلدها
ومحاسن انس اثبتها فيها وخالدها »

واذ كان رجل سنة خمس وثمانين وسنه سبعة عشر عاما
ورجع سنة خمس وتسعين فقد قضى في الغربية عشرة اعوام وقفل
الى وطنه اماما عظيما وسنه سبعة وعشرون عاما .
اشياخه

سمع بالاندلس اباه وخاله وابا عبد الله السر قسطنطين وببجاية ابا
عبد الله الكلاعي وبالمهدية ابا الحسن بن الحداد الخولاني وبالا سكندرية
من الانطاكية وبمصر من ابي الحسن الخادمي ولقي بها ابا الحسن بن
مشرف ومهديا الوراق وابا الحسن بن داود الفارسي . ولقي بالشام
ابا نصر المقدسي وابا سعيد الزنجاني وابا سعيد الرهاوي وابا القاسم
ابن ابي الحسن القدسي والاكفاني وابن الفرات الدمشقي . وسمع
ببغداد من ابي الحسن الصيرفي والبرزاز وابن طرخان ومن
النقيب ابي الفوارس الزينبي وجعفر بن احمد السراج زكرياء التبريزي
وابن بNDAR . وسمع بمكة من ابي علي الحسين الطبري . ولقي
ببغداد ايضا الشاشي والامام ابا بكر والامام ابا حامد الطوسي
الغزالي والامام ابا بكر الطرطوش

تلامذته

اشهر من اخذ عنه القاضي عياض والامام السهيلي صاحب
الروض الانف والحافظ ابن بشكوال في كثيرين غيرهم .
منزلته في العلم والفضل

ونريد ان نتعرفها ممن ترجموا له من تلامذته والقريبين
من عصره . قال الحافظ ابن بشكوال فيه : « الامام الحافظ ختام
العلماء الاندلس ، كان موصوفا بالعلم والكمال » وقال ابن سعيد :
« هو الامام العالم القاضي الشهير فخر المغرب » وقال ابن الزبير .
« قيد الحديث وضبط ما روى واتسع في الرواية واتقن مسائل
الخلاف والاصول والكلام على أئمة هذا الشأن وكان فصيحاً
حافظاً اديباً شاعراً كثير الملاح مليح المجاس » ثم قال ابن الزبير :
قال القاضي عياض بعد ان وصفه بما ذكرته : « وكثرة حديثه
واخباره وغريب حكمياته ورواياته اكثر الناس الكلام وطعنوا في حديثه »
من يعني القاضي عياض بالناس الذين اكثروا الكلام وطعنوا
في حديث ابن العربي ؟ قطعاً لا يعني بهم العلماء لاننا سمعنا فيما تقدم
ما وصفوه به ومنهم القاضي عياض نفسه . وانما عني بهم العامة

واشبالا العامة ممن تضيق اذهانهم عن تصور ما لم تره ابصارهم من
 مثل ما شاهده ابن العربي في مدن الشرق ومدنيته الزاهرة في
 ذلك العهد ، وتقصير مداركهم عما تحيط به عقول العلماء المتوسعين
 في العلم الراسخين فيه مثل ابن العربي « خزانة العلم وقطب المغرب »
 وهالك واقعة دالة على سعة علم ابن العربي وتحامل اهل القصور
 عليه حتي جاء امام عظيم فبين صدقه وقصور اولئك المتحاملين :
 « قال الزرقاني في شرحه على المواهب في غزوة الفتح :
 وروى ابن مسدي ان ابا بكر بن العربي قال لا بن جعفر بن المرخي
 حين ذكر ان مالكا تفرد به (حديث انس في دخول النبي صلى
 الله عليه واله وسلم مكة وعلى رأسه المغفر) قد رويته من ثلاثة
 عشر طريقا غير طريق مالك فقالوا له افدنا الفوائد فوعدهم ولم
 يخرج لهم شيئا . وقال الحافظ ابن حجر في نكته : « استبعد
 اهل اشبيلية قول ابن العربي حتى قال قائلهم :

يا اهل حمص ومن بها اوصيكم بالبر والتقوى وصية مشفق
 فيخذوا عن العربي اسمار الدجي ❀ وخذوا الرواية عن امام متقى
 ان القتي ذرب اللسان مهذب ❀ ان لم يجد خبرا صحيحا يخلق

واراد باهل حمص اهل اشبيلية » قال الحافظ : « وقد تتبعته
طرقه فوجدته كما قال ابن العربي بل ازيد » فعد ستة عشر نفسا غير
مالك رووا عن الزهري وعزاها لخرجها قال : « ولم ينفرد الزهري
به بل تابعه يزيد الرقاشي عن انس . اخرج به ابو الحسن الموصلي في
فوائده ولم ينفرد به انس بل تابعه سعد بن ابى وقاص وابو برزة
الاسلمى في سنن الدار قطنى وعلى بن ابى طالب في المشيخة
الكبرى لا بى محمد الجوهري وسعيد بن يربوع والسائب بن يزيد
في مستدرک الحاكم » قال : (فهذه طرق كثيرة غير طريق
مالك عن الزهري عن انس ، فكيف يحل لاحد ان يتهم اماما
من ائمة المسلمين بغير علم ولا اطلاع) انتهى

لله در ابن العربي لما وعدهم ولم يخرج لهم شيئا . لقد ضن
بعلمه على المعاندين . ولم يعدم حقه من ينصره ولو كان ذلك بعد
قرون ، وجزى الله الحافظ ابن حجر عن العلم وائمه خير الجزاء .
ولنعد الى نقل كلام مترجميه فيه . قال ابن فرحون : (وقدم
بلده اشبيلية بعلم كثير لم يات به احد قباه ممن كانت له رحلة الى
المشرق ، وكان من اهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها

والجمع لها متقدما في المعارف كلها متكليا في انواعها نافذا في جميعها حريصا على آدائها ونشرها ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها . ويجمع الى ذلك كله آداب الاخلاق مع حسن المعاشرة وكثرة الاحتمال وكرم النفس وحسن العهد وثبات الود) ولا يتم القضاء

ولي قضاء قضاة كورة بلده اشبيلية فقام فيه بالعدل والقوة ولحقه من جراء ذلك بلاء ومحنة ابقت له ثناء وذكرًا ثم صرف عنه . قال ابن الزبير : « وولي القضاء مدة اولها سنة ثمان (لعله بعد الاربعمائة) فنفع الله به لصرامته ونفوذ أحكامه ، والتزم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى اودى في ذلك بذهاب كتبه وما له فاحسن الصبر على ذلك كله ثم صرف عن القضاء واقبل على نشر العلم وبثه »

وقال القاضي عياض : « واستقضى ببليدة فنفع الله به اهلها لصرامته وشدة ونفوذ أحكامه . وكانت له في الظالمين سورة مرهوبة وتوثر عنه في قضائه احكام غريبة »

وقال المقرئ في نفع الطيب : (وقام بامر القضاء احمد قيام

مع الصرامة في الحق والقوة والشدة على الظالمين والرفق بالمساكين،
وقد روى عنه انه امر بشقب اشداق زامر (ولعل هذا من الاحكام
الغريبة التي اشار اليها القاضي عياض .

محنته

قد عرفنا مما تقدم ان ابن العربي اصابته محنة في قضائه بسبب
شدته في الحق وصرامته في الاحكام . وقد ذكر هو هذه المحنة
في كتاب العواصم وانها كانت بسبب الزامه الناس الصلاة والامر
بالعروف والنهي عن المنكر . وقال المقرئ : (وما برح معظما الى
ان تولى خطة القضاء ووافق ذلك ان احتاج سور اشبيلية
الى بنيان جهة منه ولم يكن بها مال متوفر ففرض على الناس جلود
ضحاياهم . وكان ذلك في عيد اضحي فاحضروها كارهين . ثم
اجتمعت العامة العمياء وثاروا عليه ونهبوا داره)

ولا منافاة بين هذا وما قبله فان امره بالمعروف ونهيه عن
المنكر كان متكررا وعند هذه الواقعة — والامر فيها عام — قامت
عليها العامة ولا شك انها لا تخلو من ايعاز من حساد ابن العربي من
الخاصة . وهكذا من يريد ان يقوم بالامر بالمعروف والنهي عن

المنكر على وجه التنفيذ — مقدر له ان يلتقى هذه وامثالها .

تصانيفه

كان هذا الامام من المصنفين الكثيرين المجيدين قال ابن الزبير — ونقله عنه ابن فرحون — : « وصنف في غير فن تصانيف مليحة كثيرة مفيدة . منها احكام القرآن كتاب حسن (مطبوع بمصر) وكتاب المسالك في شرح موطا مالك (منه نسخة في مكتبة الجزائر بها نقص وعندنا منه جزء فيه مايكمل ذلك النقص) وكتاب القبس (سنمثله للطبع ان شاء الله) وعارضة الاخوذى على كتاب الترمذي (منه نسخة بجامع الزيتونة) والقواصم والعواصم والحصول في اصول الفقه وسراج المريدين وسراج المهتدين وكتاب المتوسط وكتاب المتكلمين (كذا في ابن فرحون واراها المشكلين مشكل الكتاب والسنة) وله تاليف في حديث ام زرع وكتاب الناسخ والمنسوخ وتخليص التلخيص وكتاب القانون في تفسير القراء العزيز وله غير ذلك من التأليف . وقال في كتاب القبس انه الف كتابه المسمى انوار الفجر في تفسير القراءان في عشرين سنة ثمانين الف ورقة وتفرقت بايدي الناس (قلت) : — ابن فرحون — واخبرني الشيخ الصالح يوسف الحزام المغربي بالاسكندرية في سنة ستين وسبعائة قال رايت تأليف القاضي ابي بكر ابن العربي في تفسير القراءان المسمى انوار الفجر كاملا في خزانة السلطان الملك العادل امير المسلمين ابي عنان فارس ابن السلطان امير المسلمين ابي الحسن علي ابن السلطان امير المسلمين ابي سعيد عثمان بن يوسف بن عبد الحق .

وكان السلطان اذ ذاك بمدينة مراکش ، وكانت له خزانة كتب يحملها معه في الاسفار وكنت اخذ به مع جماعة في حزم الكتب ورفعها فعددت اسفار هذا الكتاب فبلغت عدتها ثمانين مجلدا ولم ينقص من الكتاب المذكور شيء . قال ابو الربيع وهذا الخبر يعني يوسف ثقة صدوق رجل صالح كان يأكل من كده » وذكر المقرئ من تصانيفه : كتاب مراقي الزلف وكتاب الخلافات وكتاب نواهي الدواهي وكتاب النيرين في الصحيحين وكتاب الامد الاقصى باسماء الله الحسنى وصفاته العلا وكتاب في الكلام على مشكل حديث السجرات والحجاب وكتاب العقد الاكبر للقلب الاصغر وتبيين الصحيح في تعيين الزبيح وتفصيل التفضيل بين التحميد والتهليل ورسالة الكافر في ان لا دليل على النافر ، وكتاب السباعيات وكتاب السلسلات وكتاب التوسط في معرفة صحة الاعتقاد ، والرد على من خالف السنة من ذوي البدع والاحاد وكتاب شرح غريب الرسالة وكتاب الانصار في مسائل الخلاف عشرون مجلدا وكتاب حديث الافك وكتاب شرح حديث جابر في الشفاعة وكتاب ستر العورة وكتاب اعيان الايمان وكتاب ملجاة المتفقهين الى غوامض النحويين وكتاب ترتيب الرحلة وفيه من الفوائد مالا يوصف .

مولده وفاته

ولد ليلة الخميس ثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين واربعمائة . وتوفي منصرفه من مراکش من الوجهة التي توجه فيها مع اهل بلدة الى الحضرة (عاصمة مراکش) بعد دخول الموحدين مدينة اشبيلية فحبسوا بمراكش نحو عام ثم سرحوا فادركته منيته فحمل ميتا الى مدينة فاس فدفن بتربة القائد مظفر خارج باب المحروق وصلى عليه صاحبه ابو الحكم بن حجاج وكانت وفاته في ربيع الاول سنة ثلاث واربعين وخمسمائة رحمه الله ونعمه انتهى

يتأكد تصحيح الكتاب بورقة الخطا والصواب

صفحة	سطر	خطا	صواب
٠٦	١٠	الاعواض	الاعراض
٠٩	١٦	مجرين	مجرى
١١	١٠	ازبعة	اربعة
١٢	٠١	الناظر	بالناظر
١٢	١٣	٠٠ى	ترى
١٣	٠٦	المك	الملك
١٣	٠٩	يعد	بعده
١٣	١١	٠٠ا	يراه
٢٥	٠٥	بكلمة	بكلمة
٢٨	١١	ولا	والا
٣١	٠٣	لحد	لحمد
٣٦	٠٧	من طريق	فاما ما جاء من طريق
٣٩	١١	بعد الله	بعدائه
٥٢	٠٦	يتمعض	يتبعض
٥٣	٠٩	الحل	الحال
٦٠	٠٥	عماء	علمه
٦٢	١٠	بالالفاظ	فالفاظ
٠٠	٠٠	(وكذا بالاصل)	
٦٢	١٦	فما	بما
٦٣	١٠	اجين	اجعين

صواب	خطا	سطر	صفحة
الصراط لحجة	الصراط لحاجة	١١	٠٠
يحمل	عمل	٠٥	٦٤
يخبر	يخبير	٠٨	٦٤
خير من الدنيا	خير الدنيا	٠٤	٦٥
يحملونه	يحلونه	٠٤	٦٨
الذيت حضرتي	القيت حضرتي	٠٤	٠٠
لا يفة	لا فحة	٠٠	٠٠
قد	لقد	٠٩	٦٩
في علمي	في عمل	٠٣	٧٠
بظلمهم	بظلمهم	١٥	٧١
العوراء	العور	٠٤	٧٢
تنفي	تنقي	٠٥	٠٠
صغار	مغار	١٦	٠٠
الجوف	الجناف	٠١	٧٣
تعد	تعدّل	٠٤	٠٠
ابن موسى	ابن موسى	٠٤	٧٤
بذاء	بقاء	٠٧	٨٠
يفيد	نقيد	١٣	٨٠
فما	فيها	٠٨	٨١
بفعله	يجعله	٠٤	٨٢

صفحة	سطر	خطا	صواب
...	٠٣	في النائم	و النائم
	١٥	سقط بعد قوله لماتت هذه الكلمات :	
		« انما اختلف العلماء قديميا وحديثا فيمن ترك الصلاة متعمدا هل يكون بذلك كافرا » فقل احمد الخ	
٠٨٥	٠٥	هو	وهو
٠٨٩	٠٩	فما	فيها
٠٩٤	٠١	انجب	الجب
٠٩٤	٠٧	بررا	بريا
٠٩٦	٠٤	لفظله	لفظه
١٠١	١٤	من تركنا	ما تركنا
١٠٥	١٠	بقتل	مقتل
١٢٠	١٣	ابن عمر وعلي	ابن عمر (فقط)
١٢٠	١٥	انصار الله	انصار الله مرتين
١٣٨	١١	ابوسف	ابو يوسف
١٤٢	٠١	فيما	فما
١٤٩	١٠	فلم على	فلم يبق على

صفحة	سطر	خطا	صواب
١٦٥	٠٩	بياض	مسلمة
١٧٨	١٥	أبا بكر	أبا بكر
١٨٠	١٦	الحافة	الحافة
١٩١	١١	لقضايه ايضا	بقضائه ايضا
١٩٧	٠٩	بياض	يحيط
٢٠٦	١٤	عنه	عند
٢١٢	٠٤	بدا واحد	بدا من واحد
٢١٤	١١	غلطته	غلطته
٢١٤	١٤	الناس	الناسي

انتهى